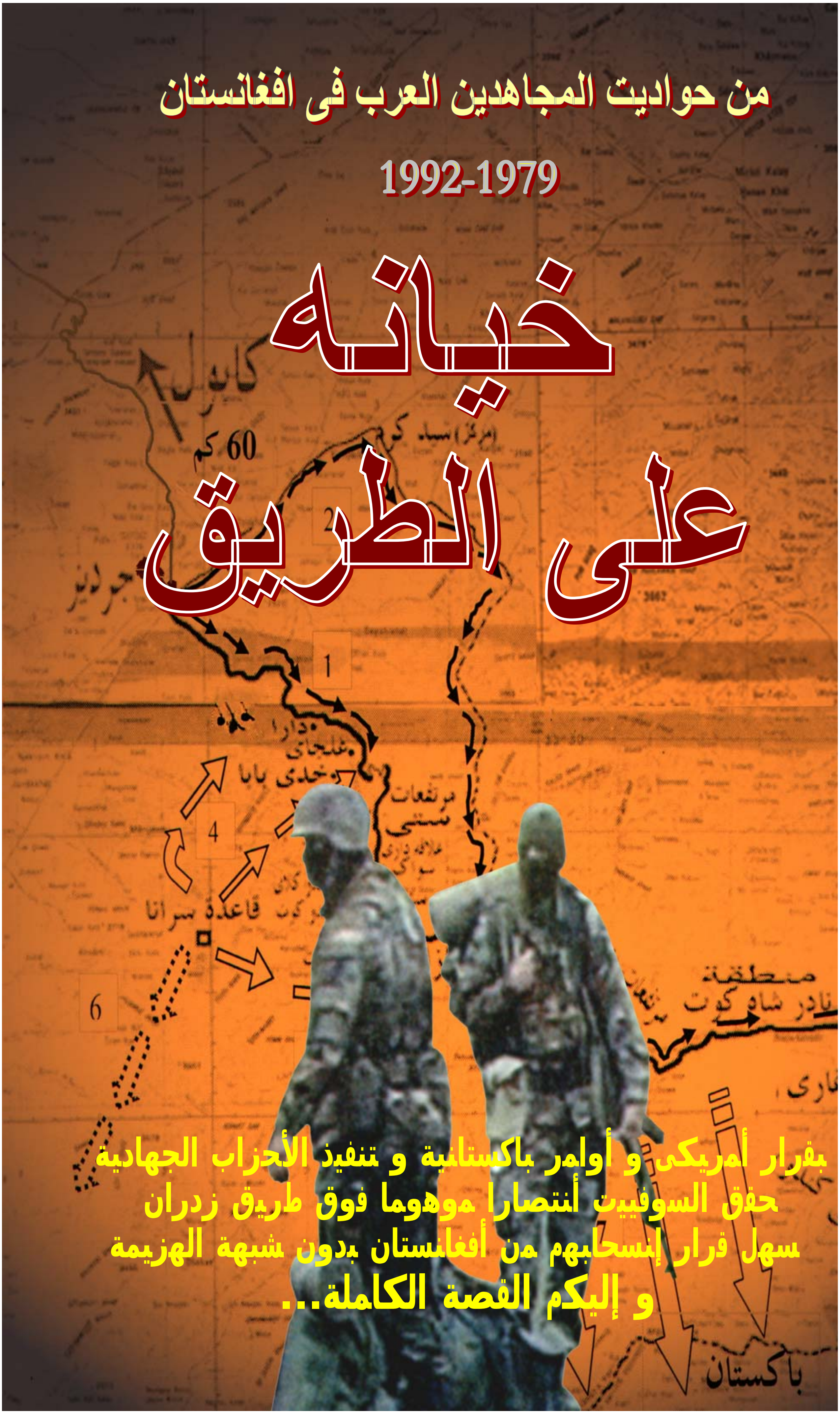
من حواديت المجاهدين العرب فى افغانستان

1992-1979

خيانه على الطريق



بقرار أمريكى و أوامر باكستانية و تنفيذ الأحزاب الجهادية
حقق السوفييت أنتصارا موهوما فوق طريق زدران
سهل قرار إنسحابهم من أفغانستان بدون شبهة الهزيمة
و إليكم القصة الكاملة..

ثرثرة فوق سقف العا !

سلسلة كتب من أدب ا طاريد

الكتاب الثالث

3

بقلم:
مصطفى حـامـد

الكاتب في سطور

_ مصطفى حامد .
ـ من مواليد مصر عام 1945 محافظة الشرقية/ مدينة بلبيس.
ـ تخرج من جامعة الأسكندرية كلية الهندسة عام1969
ـ عمل في الصحافة خلال فترة السبعينات ،في عدد من الصحف الأهلية في أبو ظبي .
ـ كتب عن الجهاد الأفغاني وشارك فية منذ عام 1979 قبل التدخل السوفيتي .
ـ في 1985 أقام مع أسرته في باكستان . وعمل هناك مديراً لمكتب صحيفة الإتحاد الظبيانية حتي عام 1986 .
ـ أقام في أفغانستان منذ عام 1993 وحتي الحملة الأمريكية عام 2001م .
ـ تعرف عن قرب علي عدد من الشخصيات العربية الهامة التي عملت في القضية الأفغانية مثل الدكتورعبدا عزام وتميم العدناني وأسامة بن لادن الذي يعتبره صديقاً شخصياً له .
ـ له مجموعة من الكتب لم تنشر جميعها . وتدور حول تجربة العرب في الجهاد الأفغاني ، الذي عاصره منذ بدايته وحتي نهايته .
ـ تعرف عن قرب علي حركة طالبان ، وأميرها الملا محمد عمر ، وربطته بهم علاقة طيبة .
ـ من قندهار عمل مراسلاً لقناة الجزيرة القطرية لمدة عام ، إلي ما قبل الحرب الأمريكية علي أفغانستان .

الفهرس

1988 عام النكبات الكبرى ص5

خريطة : معركة طريق زدران ـ ديسمبر 1988ص 18

المعركة كما يرويها حقانى ص 17

معركة طـ ـ ـريـق زدران ، نقطة تحول دولية ص 24

مرة أخرى .. الحرب والسياسة ص29

الإعلام الدولى فى معركة طريق زدران ص32

جولة سريعة مع الأحداث ص40

التاريخ ... الضحية الأولى للكذب ص58

غرابان بين طيور الكنارى ص62

معسكرات و مدربين ـ معسكرات سعودية ـ إسرائيل تهدد السعودية

حكومة .. لا تحكم أحـ ـ ـدا ص72

كارثـ ـ ـة (أوجـ ـ ـ ـ ـرى) ص81

الطريق الطويل إلى تورغـ ـ ـار ص87

الإسكندرية ـ ميران شاه : صراع حضارات ص 102

أحبك فى ا ياصخرى ص 122

من القتال ... إلى المحاضرات ص126

هل يرضى عنى أبى ؟ ص 128

لا تقل لى أنك ولي ص131

غريزة مشوشة ص132

أين ا ص134

أمريكا تفترس أولادها (إغتيال ضياء الحق) ص135

تشابكات تاريخيـــــــــــــة ص 142

قندهار المدينـة المغــــــدورة صفحة رقم 146

صناعة المستقبل: **ربانى** ـ مسعود ص 149

عـام الإنسحابات الكبرى ص 150

أحزان فى موسكو ـ كرنفال فى واشنطن ص153

وداعا..عام الكوارث **ص154**

ملحق الكتاب: ثرثـرة الأم الثـكلى ص 157

****

خرائط ـ صور

* خريطة معركة طريق زدران 1988 ص 18
* صورة قبل شهر من الفجيعة . ص 164

بدأت فى كتابة هذا الجزء فى معسكر الفاروق خوست ـ يوم الأربعاء20/9/ 1995

1988: عام النكبات الكبرى

الجمعة "الأول من يناير 1988 "

 فى ورشتنا الصغيرة التى تشغل غرفة واسعة فى بيتنا فى ميرانشاه، بدأنا منذ الصباح الباكر فى فحص أجهزة التحكم من بعد " الروموت" أو الكراكير حسب تسميتنا لها. فثبت لنا صلاحيتها، فهى آخر ما توصلت إليه التكنولوجيا العربية فى بيشاور.

وصلنا أيضا من هناك زوج من أجهزة اللاسلكى الصغيرة المتحركة صناعة اليابان.

كان العمل كثيفاً والجميع مشغولون والإحتمالات مفتوحة على مصراعيها بحيث لايستطيع أحد الجزم بما يمكن أن يحدث بعد قليل.

فى مثل ذلك الجو لم يكن ممكناً أن أهتم بأولادى الصغار خالد و عبد الرحمن أو أن أحقق آمالهما بدخول أفغانستان للإستكشاف والمغامرة، فجهزت أمور سفرهما إلى إسلام آباد وطلبت منهما الرحيل. أنفجر عبد الرحمن بعصبيته المعهودة وأخذ يبكى بحرقة قائلاً: لم أذهب إلى جاور ولم أر شيئاً. أما خالد فقد إمتقع وجهه وكتم مشاعرة فى حزن عميق وخيبة أمل مزقت قلبى . وكما فى كل مرة كان سفرهما مؤلما وشاقاً على نفسى.

كل معداتنا أصبحت جاهزة. أرسلنا أحد المجاهدين للحصول على تصريح لمرور سيارتنا بالأسلحة والذخائر من سلطات ميرانشاة ، كما هى القوانين السائدة، وكان ذلك غير ممكن فى يوم الجمعة لذا لابد من الإنتظار إلى الغد .

أخبار القوات الشيوعية مضطربة حتى بتنا نظن أنها لم تدخل خوست ، وأن ما رآه مجددى وآخرون لم يكن إلا إنسحاباً جزئياً للقوات الشيوعية من مضيق "دوامندو" لأيهام المجاهدين بأن القوات السوفييتية قد وصلت .

وصلتنا أيضاً إشاعات أخرى بأن حقانى مازال فى "سرانا"، وإستنتجنا أنه ربما تمكن من تطهير ماحولها، لم تكن كل تلك الإشاعات صحيحة وأن كانت قد رفعت روحنا المعنوية مؤقتاً.

قررنا الإستمرار فى عملية" تورغار" وبما أنها تحتاج إلى وقت طويل لذا فقد قررنا أيضاً البدء بالمطار أولاً، فور وصولنا إلى منطقة بارى.

السبت 1988/1/2

إجتمعنا مع خمسة من شباب أبو عبد ا " أسامه بن لادن " وكوادره العسكرية وشرحنا لهم عملية "جبل تورغار" وأهميتها ودورنا فيها والإحتياجات المطلوبة.

وتكفل الوفد بإعداد القوة العربية وتجهيزها. وأرسلنا سيارة محملة بالمعدات والأفراد من ميرانشاه إلى مركز مالى خان فى بارى. واستأجرنا سيارة أخرى لتنقلنا إلى نفس المركز، ولكن السائق ما أن دخل إلى " شارع الصحافة" حتى راعته وعورته ورفض المسير فرجعنا إلى مركز " عيد جول" وقضينا ليلتنا هناك وكنا أربعة أشخاص من العرب.

الأحد 3/يناير/1988

بعد تناول شاى الصباح توجهنا إلى مركز منان الواقع على مسافة قريبة كى نزور صديقنا شفيق الذى يترأس سبعة من جماعة أبو عبدا كمجموعة إستطلاع ورماية بالهاون.

أسعدنا تواجد منان معنا فى المركز، خاصة فى تلك الظروف، ولكنه حمل إلينا هذه المرة ثلاثة أخبار سيئة دفعة واحدة.

الأول: أن القوات الشيوعية قد عبرت الطريق إلى خوست.

الثانى: أن تلك القوات قد دخلت "سرانا" مركز قيادة حقانى قرب "جارديز".

الثالث: أن جلال الدين حقانى قد جرح فى المعارك الأخيرة.

وقد أذيع الخبر الأول فى الإذاعات أما الخبرين الآخرين فمصدرهما مكالمة لاسلكية من عند حقانى.

حسمت أخبار منان حالة التشويش التى خيمت على الجميع منذ مقابلة مجددى.

لقد إتضحت الأمور الآن بجلاء، فلقد حققت القوة أذن معظم مهماتها الرئيسية وكنت أتصور أن خطوتهم التالية هى إغلاق المنافذ الحدودية، خاصة مدخلى" صدقى" و "غلام خان"، وبالتالى كنت أتصور أن المعركة التالية سوف تكون بين جبال بارى لمنع وصول القوة إلى" غلام خان". ترافقها معركة أخرى فى "ليجاه" وحول جاور لمنع وصول القوة إلى "صدقى" .

كنت أتصور أيضاً أن المواقع الخلفية الرئيسية لن يكون لها دور يذكر لأنها معلومة بدقة لدى العدو وسوف تقع تحت ضغط هائل من الطيران والمدافعية وأن الأهمية الأكبر ينبغى أن تكون للمجموعات الخفيفة المتحركة.

لذا قررنا فوراً ترحيل كل أفرادنا غير المدربين أو الجاهلين بالمنطقة حتى لايسببوا لنا إرتباكاً وخسائر غير ضرورية، كذلك ترحيل كل الذخائر والمعدات التى لاتلائم العمليات المتوقعة، أو إخفائها فى أماكن سرية يمكن وصولنا إليها عند الضرورة.

تحركنا لرؤية جماعتنا فى مركز مالى خان وكانوا فى معظمهم من جماعة " توريااليه" وكان أبنى وليد معهم محتفظاً بمعنويات طفولية عالية. زرنا مركز جماعة محمدى وكان يحتوى على مغارتين ضخمتين جداً داخل الجبال العالية، داهمتنا إثناعشر طائرة ودارت فوق رؤسنا فلجأنا إلى المغارات وبقى قليلون يتابعون حركتها ." ثلاثة رشاشات ثقيلة " زيكوياك 14.5 مليمتر . أطلقت نيرانها على الطائرات لكن الطائرات كانت مرتفعه وخارج مدى مدافع المجاهدين. دارت الطائرات وقصفت المنطقة حول مركز منان، ولم تحدث خسائر.

علمنا ذلك عند عودتنا إلى مركز منان الذى أخبرنا عندما سألناه عن أخبار المطار بأن الطائرات لم تستخدمه منذ ثلاثة أيام ، أى منذ أخبرنا مجددى عن دخول القوة إلى خوست . يؤكد ذلك أن أهمية المطار قد تراجعت كثيراً بعد فتح الطريق البرى، وهو أمر منطقى ومتوقع بل أنه من الأهداف الرئيسية للحملة، أى إستبدال الجسر الجوى باهظ التكلفة بطريق برى أرخص وذو قدرة أكبر على نقل معدات ثقيلة وكميات أكبر من الأمدادات

الإثنين 4 /يناير/1988

فى الصباح تناقشت مع عبدالرحمن فى المواقع الواجب على العرب التمركز فيها تمهيداً للمهمة القادمة التى نتوقعها للقوات الشيوعية، وهى إغلاق منفذى الحدود "صدقى" و"غلام خان".

قدمت إقتراحاً بأن نطلب من أبو عبدا تشكيل قوة من جماعته للعمل فى "بكتيا" ينضم إليها

أصدقاؤنا شفيق وأبوأنيس، فأكمل عبدالرحمن وأقترح بأن أنضم شخصياً إلى تلك القوة على أن يخصص لى راتباً أتعيش منه. رفضت الفكرة، وكان عبدالرحمن يعرف المعضلة المالية التى أعيشها. ولكن الفجوة كانت واسعة جداً بيننا وبين جماعة أبوعبدا فيما يتعلق بالمسائل السياسية والعسكرية فى أفغانستان.

مرة أخرى وجدنا كمية لابأس بها من المعدات الكهربائية والألكترونية لاحاجة لنا بها، وكانت ملء صندوق كامل، ولابد من إعادتها إلى ميرانشاه.

لقد تغير شكل العمليات المتوقعة بشكل حاد، وبدلا من مهاجمة المطار ، وبالأحرى مهاجمة الطائرات وهى جاثمة على المدرج، وبدلا من مهاجمة "تورغار" الرهيب، فالمتوقع الآن معارك فى ساحة واسعة من الجبال ذات الشجيرات والمياه الوفيرة، فى منطقة بارى التى نعرفها جيداً ، بل نعشقها كأنها مسقط رأسنا. كنا نتصور دوماً أن قتالا بهذا الشكل فى منطقة كهذه ممكن أن يكسر عظام السوفييت.

نقطه حيوية فى تلك المعارك هو معرفة الأرض بشكل جيد، وعلى هذا فإن معظم العرب، لايصلحون لها، ماعدا أفراد قلائل عرفوا شيئا قليلاً عن المنطقة، فيمكنهم العمل بشئ من المجازفة والخطورة.

السلبية الكبرى هو عدم تعود المجموعات الأفغانية على تلك الحرب فهم يفضلون القتال من ثبات عند خط التماس الأول، فإذا حدث تراجع فإنه عند معظمهم لايتوقف إلا عند حدود بيته فى المهجر، أى فى باكستان.

كنا نتصور أيضاً أن مجموعة منان هى أنسب المجموعات للعمل معنا فى مثل ذلك البرنامج، وفى الحقيقة كنا نفضلهم فى كل عمل عسكرى كشريك كامل.

 من المنطقى أن يكون تسليح المقاتلين خفيفاً أى أنه يشمل البنادق بأنواعها والقاذف الصاروخى "آر/بى/جى" كتسلح رئيسى للجماعة المقاتلة، وأيضاً الرشاشات الخفيفة من طراز "ستكا" أو"بيكا" السوفييتية، ولكن الذى قد لايتصوره كثيرون هو أن هاون من عيار "82مليمتر" يمكن إستخدامه فى أمثال تلك المعارك خاصة فى المناطق ذات التضاريس الوعرة، وضد قوات كثيفة مسنودة جوياً، ومدفعياً بكثافة، ولهذا السلاح إمكانية مناورة أيضاً وإن لم تكن كبيرة، ولكنها كافية ، بل ومرعبة للعدو خاصة إذا إستخدمه طاقم جيد يتمتع بترصد مناسب، ويعرف جيداً مسالك المنطقة التى يعمل بها.

قد حدث ذلك بشكل واضح فى معركة جاجى 87 مع بعض هاونات العرب والتى عمل على معضها أفغان ذو كفاءة مثل" معلم عبدا " الذى ساهم على الهاون بأسهامات بارزة فى تلك المعركة خاصة ضد تحشدات الكوماندوز السوفييت منذ أول شوال 1407هـ .

أيضاً المدفع عديم الإرتداد "من عيار82" أثبت كفاءة ومرونه كبيرة وقد إستخدمه الأفغان فى أحوال كثيرة كبديل عن القاذف الصاروخى "آر/بى/جى" وتفوق عليه فى أوقات كثيرة، خاصة فى حالات القتال من حالة الحركة بإستخدامه من فوق الكتف.

أيضاً صاروخ كاتيوشا "عيار107 مليمتر" يعتبر سلاحاً مناسباً أيضاً لتلك المعارك عند إطلاقه بدون قاذف أى من فوق الأحجار.

تلك الأسلحة الثقيلة لايشترط حملها والتحرك بها طول الوقت، بل تستخدم من موقع معين ثم يتم إخفائها فى موقع آخر ليعاد إستخدامها فيما بعد من موقع جديد، وبذلك نتخفف من أحمال

كثيرة ونظل متمتعين بمرونة كبيرة فى الحركة، مع قوة نيران لايستهان بها.
وهكذا نرى أن المعرفة الجيدة بالأرض، لاتعنى قدرة أكبر على المناورة فقط، بل تعنى أيضاً قوة نيران أكبر، بإستخدام أسلحة أثقل ، مع إخفائها وتحريك مواقعها بإستمرار.
أما الألغام والمتفجرات والشراك الخداعية فهى بلاشك أفضل مايمكن إستخدامة إذا توافرت الخبرة المناسبة فنياً، مع الإستخدام التكتيكى الذكى مع الإنتباه إلى السيطرة الجيدة والتفاهم بين المجموعات حتى لاتقع مجموعاتنا المقاتلة فى مكائد فريق المتفجرات.
 إستأجرنا سيارة من بارى للإنتقال بها إلى ميرانشاه ونقل أدواتنا التى وضعناها فى صندوق خشبى متوسط الحجم من صناديق الذخيرة.
ركبت السيارة ومعى أبو أنس وشفيق، وفى الطريق ركب أفغان كثيرون، ومررنا بسلام من نقطة غلام خان، ولكن فى نقطة ثانية تدعى "حسدار" لمح رجال الميليشيا الصندوق وأصروا على تفتيشه، ويبدو أنهم ظنوها ذخيرة قادمة من داخل أفغانستان، و كان ذلك ممنوعاً رسمياً، ولكنه ممكن كأى شئ آخر إذا إستخدمت الرشوة.
تعقدت المشكلة فجأة عندما أكتشف جنود الميليشيا أننى "أجنبى" وطلبت من الزملاء مواصلة الرحلة إلى ميرانشاة وإستدعاء نجدة من مكتب حقانى. وكنت أدرك أن مثل تلك المواقف لاتشكل خطورة ويجرى حلها باتصالات عادية أو بعض الرشاوى.
فلم نكن، كعرب مطلوبين، بل كنا موضع ترحيب، وتوقيفنا يتم برفق إذا إستدعت الضرورة ذلك، مثل ضغوط مفاجئة من السعودية(فى حالات خشيتها من أن يتورط شبابها فى تدريبات عسكرية معينة أو إختلاطهم بالتيارت الفكرية لفئات مشبوهة).
صرفت الميليشيا جميع الركاب وإحتجزونى مع السيارة وسائقها.
ولكن هذا الأخير تمكن بوسائله الخاصة من أقناعهم بأنه لادخل له بهذه "الجريمة"، فسمحوا له بالإنصراف، وبقيت أنا والصندوق فى قبضة رجال الميليشيا - الذين تجمعوا بأعداد كبيرة - لا أدرى من أين جاءوا، ليشاهدوا هذا الصيد العجيب . ثم توجه أحدهم إلى داخل مبناهم الكبير القريب من الطريق كى يجرى إتصالات لاسلكية مع مسؤولين كبار، كما فهمت من حديثهم.
بدأت عملية تفتيش الصندوق وقام بها إثنان من الجنود وجلس ثالث يدون فى كشف خاص نوع وكمية المضبوطات، وأدركت أنهم لايفهمون شيئاً مما فى أيديهم من محتويات الصندوق فبدأوا يسألوننى عن أسمائها حتى يستطيعوا كتابتها فى الكشف، فتحول الموقف إلى شئ من الكوميديا ومالبثنا أن بدأنا التحدث بشئ من الود، وإلتقطت لهم عدة صور بالكاميرا التى أحملها معى غالباً - فسبب لهم ذلك سروراً مفاجئاً، فأجلسونى على كرسى خشبى حتى يحضر المسؤولون لإستلامى. بعد حوالى ساعة، حضرت سيارة فخمة من طراز، "رانج روفر" من ذلك النوع الذى يركبه قادة الأحزاب الأفغانية، ولكن بداخلها رجلان علمت من ملامحهما أنهم من ضباط الإستخبارات العسكرية.
كنت أشعر بالحنق تجاه جنود الميليشيا الحمقى وهم يقلبون فى محتويات الصندوق بإنهماك كامل، بينما القوات السوفيتية قد دخلت خوست، وأصبحت ميرانشاه على مرمى حجر. لم أتمكن من التعبير عن مشاعرى لسببين، الأول: هو عدم وجود لغة مشتركة. والثانى: هو أنهم حمقى لايدركون فى الدنيا شئ سوى السلب والنهب تحت حماية ملابسهم الرسمية نهاراً، وتحت حماية الظلام ليلاً.
ولكن أتيحت لى الفرصة كاملة للتعبيرعن مشاعرى وآرائى عندما وصل ضابطى الإستخبارات

، أمدنى بالشجاعة شعورى بالإحباط الناتج عن موقفى الخاص والموقف العام، فبينما يوقفنى هؤلا "الأوباش" أثناء عودتى من الجبهة، يتقدم السوفييت إلى خوست وقد تصبح ميرانشاه هدفاً تالياً.وإن لم تحتل فإنها قد تتعرض للتدمير بالقصف المدفعى والجوى.

ألقى ضابط الإستخبارات نظرة على محتويات الصندوق، وفهموا ماذا تعنى، فسألونى عن إسمى وعملى وكيف حصلت على هذه الأشياء ولماذا ؟.. إلخ.

قدمت نفسى بإسم "عزالدين حميد" صحفى مصرى.. قادم من بارى من أحد مراكز حقانى وهو مركز "عيد جول". كانوا يعلمون أسماء الجميع فى بارى وغيرها، وأن هذا الصندوق لهم أوصونى بإيصاله إلى مكتبهم فى ميرانشاه، ثم تحول الحديث إلى الأحداث الدائرة فى خوست فوضعتهم تحت نيران النقد العنيف والإتهام المباشر.

قلت لهما فى البداية أنى رأيتهما فى جاور أثناء معركة1986 ، فقال أكبرهما أنه كان هناك فعلاً، وعندما سألنى عن محل إقامتى، فظهر أنه يسكن فى شارع مجاور لبيتى فى إسلام آباد، وأن أخوه يمتلك مطعماً هناك بإسم "المطعم الباكستانى الأفغانى"..

ثم سألنى عن الأوضاع فى خوست وبارى وتحديداً فى المطار، هل هبطت طائرات هناك، وهل صعدت قوات روسية فوق جبل تورغار؟.أخبرته بما أعلم ثم سألته بشئ من الحدة، لماذا تركتم السوفييت يدخولون خوست؟.

فأجاب: لم نتركهم يدخلون، ولكن المجاهدون لم يستطيعوا منعهم.

فقلت له بل أنتم تركتموهم يدخلون، ولو أردتم منعهم لكانت هناك إجراءات أخرى.

فأجاب: لايمكننا القتال بدلا عن الأفغان، وهذه هى حربهم.

فقلت له، إن وصول السوفييت إلى خوست يجعل مكاننا هذا وميرانشاه كلها فى مرمى مدافعهم وصواريخهم، وهكذا تجد نفسك معنياً بالأمر!!. كان يمكنكم منع السوفييت من عبور ذلك الطريق فأنا أعرفه جيداً.. مئة أو مئتى مجاهد مدرب يمكنهم ان يمنعوا أى جيش فى العالم من إستخدام الطريق، إن حماية هذا الطريق مسأله تمس أمن بلادكم، حتى لو لم يرغب الأفغان فى القتال دفاعاً عن أرضهم - وذلك شئ مستحيل - فكان من الممكن إرسال عدة مئات من رجال قبائل البشتون فى باكستان للقتال هناك ولايمكن للسوفييت تمييزهم عن البشتون الأفغان فهم من نفس القبائل التى تعيش وتتنقل على جانبى الحدود.

ولكن تركتم بدلاً من ذلك قادة شيوعيون من أمثال "نظر محمد" الذى يعمل مع سياف كى يضع فى يد قواته المفتاح الإستراتيجى للطريق فوق جبال"ساتى كندو"ـ وقد سلمها فوراً إلى السوفييت مع كامل الأسلحة والذخائر التى بحوزته.

ظهر الإهتمام على وجه الضابط وسألنى بحدة: أين نظر محمد الان ؟.

ولم أدرى سبب هذا الإهتمام، وهل هو حقيقى أم مصطنع، وهل هو حقا لايعلم أم أنه فوجئ بمعرفتى بأمر داخلى لايعرفه "الأجانب" عادة.

فأجبته قائلاً: كيف لى أن أعرف أين هو الآن؟ ربما عاد إلى كابل كى يحصل على أوسمة جديدة، وربما كان فى ميرانشاه أو بشاور أو إسلام آباد- أو فى "بابى" عند زعيمه سياف، ولكن ذلك لن يغير الأمر الواقع فى شئ، فالجيش الأحمر فى خوست الآن، ولابد أنه سيحاول إغلاق المنافذ الحدودية على الأقل، هذا إذا لم يفكر فى إختراقها بقواته أو قصف مناطقكم الحدودية الآهلة بالسكان.

قال الضابط بهدؤ وثقة صدمتنى،أو ألقت على رأسى الملتهب "سطلاً" من الماء البارد:

لاتقلق من وجود السوفييت فى داخل خوست، هذا أمر عادى وطبيعى. لن يغلقوا منافذ الحدود أويقصفوا مناطقنا الحدودية، فقط سوف يعملون على تموين المدينة وتقوية دفاعاتها ثم يغادرونها، إنهم يفعلون ذلك دائماً.
أذهلنى أنه لايتكلم كأنه يتوقع مجريات الحدث ولكن يخبرنى عن شيء يعرفه بالتأكيد.
وقفز إلى ذهنى على الفور ماذكره لى "أبوأنيس" عما سمعه فى السعودية عن هدف الحملة، وهو ما ينطبق تماماً مع مايذكره لى ضابط الإستخبارات الآن!!.
جزمت وقتها بصحة معلومة أبوأنس، وفهمت سر هدوء ذلك الضابط وثقته فى نفسه فى ظل ذلك الخطر الداهم على بلاده والرابض على مسافة قريبة من الحدود.إن مايجرى الآن هو عمل عسكرى فى ظل صفقة سياسية كبرى، أو هو هزيمة مفروضة على المجاهدين، ونصر مصطنع للسوفييت. شعرت بقسوة وسفالة تلك الصفقات، والتى تهدر فيها أرواح المئات أو الآلاف، لالشئ إلا لأنهم يعارضونها أو لايفهمونها. لقد باعتنا باكستان للسوفييت، وبأوامر من أمريكا، وسوف تنقلب علينا، نحن العرب بعد نهاية الحرب بأوامر من أمريكا أيضاً، فأين إدعاءات ضياء الحق والساسة فى باكستان عن الجهاد في سبيل ا ، والأخوة بين المسلمين؟؟.
لقد ركن المجاهدون إلى طواغيت السياسة، فذاقوا وبال أمرهم.
{ومن الطريف أنه مثل ذلك اليوم الرابع من يناير وبعد خمسة سنوات كاملة إعتقلت فى إسلام آباد وتم تحقيق آخر معى بناءاً على طلب من الداخلية الباكستانية والسفارة المصرية فى إسلام آباد لإبعادى عن باكستان بدون إبداء أى سبب لذلك}.
تهيأ الضابط للإنصراف وهو يقول: لقد إنتهت المعركة بدخول السوفييت إلى خوست، وأن على حقانى أن يعود إلى جاور للدفاع عنها تحسباً للأمر.
شعرت بالغيظ من عنجهيته فى تقرير مصير المعارك ومحاولة إلقاء الأوامر بهذا الإستهتار إلى قادة كبار من وزن حقانى.
فأجبته بحنق محاولاً التشفى منه: أنت لاتعرف من هو حقانى،إنه سوف يستمر فى القتال على الطريق وحول مركزه فى سرانا حتى يدفع السوفييت إلى الخلف أو أن يقتل هناك. لن يترك حقانى مكانه فى المعركة طالما هو واقف على قدميه إنه مثل فارس الجبال الذى يرفض الهزيمة ويقاتل حتى النفس الأخير مهما كانت المعركة تسير فى غير صالحه.
توجه الضابطان إلى سيارتهما، بدون أن يتكلما عن موضوع إحتجازى، فعلمت أن أمرى لايهمهم في شئ، وربما ضاقا صدراً بما أقول، وأن قرار إحتجازى هو من مسؤولية جهات حكومية آخرى فى ميرانشاة.
بعد حوالى ساعة وصلت سيارة فخمة وضخمة في حراسة سيارتين من الحرس نزل منها ضابط ذو رتبة كبيرة من حرس الحدود، علمت أنه حاكم ميرانشاه.
تبادل حديث قصير مع جنود الميليشيا وأمر بوضع الصندوق فى أحد السيارات التابعة له، ثم حدثنى بالأنجليزية طالبا منى الركوب فى أحد السيارات ثم توجهنا إلى قلعة ميرانشاه. وهى مقر الحكومة وفيها السجن الرئيسى. لم يضعونى فى السجن لحسن الحظ ولكن أجلسونى على كرسى خشبى وسط الحديقة، وجلس القائد الكبير على كرسى آخر وألقى عدداً من الأسئلة ثم تركنى ومضى، وجاء شخص بملابس مدنية ذو جسم سمين، عرفنى بنفسه أنه ضابط بالجيش. وبدأ يسألنى فى أشياء كثيرة ولما علم بأنى صحفى أزور أفغانستان من وقت إلى آخر سألنى

بتعجب وسذاجة شعرت أنها طبيعية: وهل تستطيع المشى فى الجبال؟.
وزنه الضخم جعل السؤال طبيعيا ولا يدعو إلى الدهشة.
تركنى هو الآخر وبقيت وسط الحديقة الخضراء منزرعاً فيها فوق كرسى خشبى. حاولت أن أتسلى بجمال الأشجار والخضرة، ولكنى لم أشعر بغير التقزز من المكان وكل من فيه، من بشر وشجر، وتمنيت أن أغادر فى أقرب فرصة.
فى الواحدة والنصف جاء الفرج مجسداً فى شخصين الأول" حاجى دين محمد "صديقى القديم والمحرك الحقيقى"لحزب إسلامى" التابع لمولوى خالص، وبرفقته صديقى "عبدا خان" الذى إستأجرنا بيته لجماعة أبوعبدا ، وكان شاباً مهذباً رقيقاً مجاملا مضيافاً. لكنه ملئ بالألغاز أيضاً، على الأقل بالنسبة لى.
لم يتعرف " حاجى دين محمد" علي، فكلانا قد تغير وزاد الشعرالأبيض الذى يتلألأ فوق وجه ورأسه، فلما عرفنى زال تحفظه، وإنطلق فى سجيته المرحة، يلقى بالنكات والتعليقات الساخرة، فقال لى ضاحكاً: أنا لم أعرفك، لقد تغيرت كثيراً وزاد الشيب فى لحيتك ورأسك!! هل تحب أن نتركك هنا فى سجن القلعة ؟!! أنت لاتعرف سوى حقانى فقط ؟؟ هل نسيت أصدقائك القدماء ؟.
كان عتاباً ضاحكاً لايخلو من تقريع ، وقبل أن يغرقنى الخجل تحول دين محمد بنيرانه الساخرة على قائد المنطقة نفسه.
وأدهشنى تلك الصداقة التى بينهما والتى لاتستدعى شيئاً من التكلف حتى أن دين محمد قال للضابط: إن قبيلتكم "أفريدى"، مشهورة بسرقة الأسلحة والمتاجرة بها.
ورد الضابط الكبير: إن أحزابكم تختلس الأسلحة وتبيعها، وبعضكم يلعب فى تجارة المخدرات.
لم يكن حاجى دين محمد فى حاجة لأن يقول للضابط الكبير غير:" هذا الأخ صديق قديم هل تريدون منه شئ ؟ ".
ضحك الضابط قائلاً: يمكنك أن تأخذه معك، وأيضاً الصندوق. وإلتقطت للضابط صورة فوتوغرافية شرط ألا أبتزه بها فى المستقبل كما قال لى ضاحكاً.
إنتهت إذن المشكلة، وبدون أية مشكلة !!.
ولاداعى للتذكير بما تعنيه" أمانات الصندوق الخشبى" وأنها كانت كفيلة الآن بأن تجعلنى أشهر مشنوق بأمر محاكم أمن الدولة فى بلدان كثيرة.
ظل كلام ضابط الإستخبارات العسكرية يطن فى رأسي مثل خليه من النحل.
فإذا صح ذلك الكلام، وهو غالباً صحيح حسب ما أصبحت أعتقد وقتها- فمعنى ذلك أنه لا معركة لنا فى "بارى"، وأننا يجب أن نعيد حساباتنا، وأن ننظر مع من نتعامل؟ فمن هو المجاهد؟ ومن هو عميل أجهزة المخابرات على أنواعها؟ وما هو موقعنا- كمتطوعين عرب فى وسط هذه الأمواج والتطورات العنيفة التى لاتعرف الرحمة ؟ هل يطردوننا؟ أم يقتلوننا؟ أم يضعوننا فى السجون؟ هل نتعرض نحن أيضاً إلى "إيلول أسود" من نوع إسلامى؟
هل إمتطتنا القوى الدولية إلى غايتها القصوى بينما عجزنا نحن عن تحقيق شيئ لإسلامنا؟!
هل نحن بشر تعقل أم دواب تمشى بلا عقل وحتى بلا أعين؟.
لأول مرة أرى خيانات هائلة الحجم مثل هذه، فإلى إى مدى تصل تلك الموجه؟ هل تطوى القضية الأفغانية كلها وتطوينا معها أيضاً؟.
□ فى بيت أبوعبدا الجديد ـ مقر قيادته ومقر ضيافة جماعته ، أخذت الصورة تكتمل

بالتدريج. وعندما إتضحت لم نصل جميعاً إلى نفس النتائج بدليل أن التجمع العربى لم يتأثر كثيراً فى فكرة وحركته بدروس تلك المعركة الرهيبة، وظل كما هو تقريباً يتحرك بنفس الأساليب السابقة.
لقد عادت المجموعة التى أرسلها أبو عبدا إلى منطقة " دومندو " التى تضم المضيق الإستراتيجى الممتد عدة كيلومترات والذى يدخل منه طريق " زدران " إلى وادى خوست الفسيح . فى تلك المنطقة عدد من المراكز القوية.. للمجاهدين، وكان يمكنها فعل الكثير تجاه قوة عسكرية تسير أمامها فى طريق ضيق متعرج بين الجبال، ولكن ماحدث كان شيئاً آخر. وصل الشباب إلى هناك، حيث كان متواجداً فى نفس المنطقة "مطيع ا " القائد الشهير لدى جماعة خالص ، فطلبوا مقابلته ولكنه رفض!! ويمكن تفسير ذلك الرفض بتبريرات مختلفة، ولكن الشباب طلبوا مقابلة قائدا آخر هو "خان سردار" وذهبوا إليه فى بيته .. ولكنه لم يقابلهم بل أرسل لهم رسالة يشكرهم فيها على الحضور، ويخبرهم بأن أهل المنطقة قد باعوها للحكومة ولايسمحون للمجاهدين للعمل فيها!! وفى نهاية رسالته اليهم قال:" أرجو أن تكون هى آخر ليلة لكم هنا".
وبالفعل قضى شباب العرب ليلتهم فى بيت "خان سردار" فلم يكن لديهم بديل آخر فى ليالى الصقيع الشتوى. وغادروا صباحاً كى يشاهدوا آثار الهزيمة أو الخيانة فى الطريق، فالمجاهدون ينسحبون إلى الخاف نحو منطقة قبيلة "تاناى" ساحبين معهم أربعة راجمات صواريخ "B.M.12" لم يطلقوا منها طلقة واحدة.
فمن باع منطقة "دوامندو" الإستراتيجية؟ هل هم الأهالى؟ أم مجموعات المجاهدين؟.
لاشك عندى أن خان سردار كان كاذباً.وأنه كان ينسحب طبقاً لأوامر قيادته الحقيقية أى المخابرات الباكستانية. وذلك لايمنع أن أهالى المنطقة أو من تبقى منهم قد تلقوا بعض الهدايا من القوات الغازية كما تفعل عادة فى مثل تلك الحالات، التى يلتزم فيها الأهالى بقواعد السلوك الحسن.
 الذين عادوا من عند جلال الدين حقانى قالوا أنه قد جرح منذ خمسة أيام تقريباً، بينما كان يستطلع القوة المتقدمة مع أحد مرافقيه، فاجأتهما قذيفة دبابة قتلت المرافق وجرحت حقانى. قالوا أيضاً أن حقانى ينوى التوجهه إلى النقطة الحدودية "بغر" من أجل العلاج، وأن القوة السوفيتية تطارده فى العمق بعد سرانا وعلى بعد سبع ساعات من الطريق العام.لم يكن ذلك صحيحا فلم تتعمق القوة السوفيتية أبعد من سرانا لعدم جدوى ذلك وخطورته، وربما أيضاً لأنه خارج برنامج الخيانة المتفق عليه، فهناك أماكن لاتبعد كثيراً عن سرانا مثل منطقه "نكا" التى كانت مكتظه بالسكان والمجاهدين والإمدادات وهيئات الأغاثة بشكل غير عادى ولكنها لم تقصف بالطيران وكان ذلك مثيراً للادهشه والتساؤل!!.
ثم نقلوا عن حقانى رسالة الى المتطوعين العرب تقول لهم بعدم ضرورة حضورهم نتيجة لبدء تهاطل الثلوج، ولعدم معرفتهم بمسالك المنطقة وعدم توافر الطعام والمأوى.ثم طلب منهم الدفاع عن جاور فقد يحاول العدو الوصول إليها، مستفيداً من عدم تواجد حقانى مع حالة الإنهيار والإحباط السائد بين المجاهدين مع إرتفاع معنويات العدو وقوات خوست والميليشيات الشيوعية بها.
 عقدنا ليلاً إجتماع فى بيت أبو عبدا ، عرضت فيه كل مجموعه تقارير عن منطقتها،

وكان القرار فى النهاية إتخاذ إجراءات للدفاع عن جاور على أن تبدأ تلك الإجراءات من جبل رغبلى الشهير والذى كان ركيزة الحملة الشيوعية الماضية، وقررنا إرسال دورية لدراسة المنطقة هناك لوضع خطة عمل.
 قبل المغرب وصل أبوحفص وأبوجهاد مع أبوخالد ، والجميع أصبحوا الآن فى تنظيم الجهاد المصرى، وكان أبو حفص يحمل لى رسالة من الأهل فى إسلام آباد، أخبرونى فيها أنهم إستلموا بعض الأموال من أصدقاء فى أبوظبى.
أما أبو الحسن المدنى فقد أفاد أن هناك ضغوطاً كبيرة على القادة السبعة الأفغان،قادة المنظمات كى يلقوا بثقلهم فى المعركة، وأن أحدهم سوف يتم تعيينه قائداً عاماً لها.
ولاداعى للقول بأن شيئا من ذلك لم يحدث، وأنه ربما كان جزءاً من خطة تعمية على حقيقة مايحدث ودور باكستان وقادة الأحزاب الأفغانية فيه.
قال أبو الحسن أيضاً أن شباب كثيرون فى طريقهم إلى هنا قادمون من السعودية من أجل المشاركة فى المعركة!!.
 أخبار أخرى عن سياف فى إجتماعه مع العرب فى بشاور، وشبه مناوشه بين الطرفين أذ صرخ العرب فى سياف، أمير الجهاد في أفغانستان كما يعتقدون، بأن يتحرك لنجدة حقانى فصاح فيهم كالعادة، أنتم نصرتم حقانى أكثر من اللازم وأعطيتموه أكثر من حجمه!!
تأثر العرب وكان بعضهم قد زار حقانى وشاهده وهو جريح فقالوا له: لاوقت لمثل هذا الكلام فحقانى يقاتل وحيداً وهو جريح وليس حوله أحد.
لم يتأثر سياف بتلك الصورة المؤثرة التى نقلوها، وفى اليوم التالى شاهد مجموعة من الأفغان المهاجرين فى منطقته"بابى"وكانوا متوجهين نحو المعركة ولكنه أعادهم قائلاً: إنتهت المعركة، لقد دخلت القوة إلى خوست ... إرجعوا..

الثلاثاء 5/يناير/88

فى الثامنة والنصف صباحاً عقد إجتماع آخر مع أبو عبدا حضره من تنظيم الجهاد كل من أبوخالد وأبو حفص، لأبداء المشورة حول الموضوع.
كانت هذه أول مرة يزورنا فيها أبوحفص وأبوجهاد وهما من أفراد مجموعتنا القديمة، ولكنهما هذه المرة تحت إمرة أبوخالد وضمن تنظيم الجهاد، وقد أحاطا نفسيهما بغلاف سميك من السرية والغموض أثناء حديثهم معنا. ورغم أنهما قد أخذا بوجهه نظر"تنظيم الجهاد" فى أحداث أفغانستان، وهى وجهة نظر كنت أراها غبية وقاصرة، وهى تقول بأن أفغانستان قد أنتهت، وأن القيادات قد باعت القضية، وأن هذا الجهاد لن ينجح، وأنه حتى لونجح فلن يؤدى إلى قيام دولة إسلامية ، وبالتالى لايجوز شرعاً القتال فى أفغانستان، والأولى هو إستغلال الفرصة فى التدريب للقتال فى مصر حيث القيادة الإسلامية الصحيحة التى تفهم الإسلام، وأن دولة الإسلام لن تقوم فى" بلاد العجم" الذين ينقصهم فهم الإسلام، وتنتشر فيهم الصوفية والعقائد المنحرفة..
لقد إلتزم ذلك التنظيم بوجهة نظرة تلك بإستثناء أنه رمى بثقله العسكرى فى جلال آباد"1989م بدعوى شرعية المعركة،وتناسوا أو غيروا وجهة نظر سمعتها منهم سابقاً بعدم شرعيتها لعدم جدواها وإنحراف عقائد الأفغان وقياداتهم. وسبب هذا التغير فى ظنى هو أن أبوعبدا قد رمى ثقله كاملا فى معركة جلال آباد، فقفز خلفه كثيرون، وماكان تنظيم الجهاد ليتخاف عن القافلة !!.إعتقدت يومها أن الثقل المالى يسحب خلفه الثقل الأيدولوجى والبشرى.

علمنا من الكلام المتداول بين عرب بشاور والذين توافدوا بكثرة إلى ميرانشاه فى تلك الأيام، علمنا تفاصيل كثيرة عن إخواننا فى تنظيم الجهاد، وأنهم متوجهون إلى داخل أفغانستان، ليس للجهاد ، رغم الهجوم السوفيتى،فهم قد ألغوا من قاموسهم، فى ذلك الوقت موضوع الجهاد فى أفغانستان، ولكنهم كانوا فى طريقهم إلى منطقة زورمات لإجراء دورة سرية، ومعهم عدد كبير من الشباب المصريين الذين إنضم معظمهم إلى ذلك التنظيم فى حملة تجنيده المكثفة التى شنها بعد معركة جاجى فى العام الماضى.

لم يتوقف سيل المعلومات السرية والمجانية عند هذا الحد، ورغم أننا لم نسعى إليها إلا أنها وصلتنا عبر "إخوه"، فاعلى خير، "ومن ذلك الخير" إشاعة كل خبر سرى يصل إليهم عن نشاط إخوانهم فى الجماعات الجهادية السرية!!.

 لقد حددت لنا الإشاعات شخصية الذى سيعطيهم تلك الدورة، وكيف أنه ضابط مصرى يعمل حاليا مع الجيش الأمريكى وربما أنه إستقال من الجيش الأمريكى ويعمل مع وكالة حكومية أمريكية للمعلومات والأبحاث!!وأنه عمل مع الجيش الأمريكى فى العمليات المتعلقة بحروب العصابات فى أمريكا الجنوبية. مثل هذه المعلومات التى تأكد لنا بعضها فى أوقات لاحقة،لم نعرها إهتماماً لإدراكنا طبيعيةعرب بشاور، وغرامهم بالشائعات وإختلاق الأخبار. ولكن أحزننا كثيراً تلك الطريقة الجافة المتعجرفة التى عاملنا بها إخواننا، وكأنهم أصبحوا فى درجة بشرية أرقى، أو أنهم يخاطبوننا من داخل الفردوس بينما مازلنا نقف على الأعراف.

بلغت الأزمة ذروتها حينما دخل أخواننا أبوحفص وأبوجهاد إلى ورشتنا الصغيرة وأخذوا كثيراً من أدواتها مع بعض الخرائط بدون أى توضيح لنا، سوى ما أخطرنا به أبوجهاد لاحقاً ، بأنهم سوف يأخذون بعض الأشياء التى يحتاجونها. أصابتنا صدمة ،أنا و عبدالرحمن، وجمدنا علاقتنا بهما عدة أشهر حتى تصالحنا مرة أخرى قبل إستشهاد عبد الرحمن بفترة قصيرة.

 تحركت مع قافله عربية يقودها أبو عبدا إلى"جهاد وال"، المركز الرئيسى لجماعة حكمتيار، وهو قريب من منفذ صدقى الحدودي وإلى الخلف من جاور بعدة كيلومترات. صعدنا إلى أحد جبال المنطقة ننظر إلى خوست بالمناظير المقربة، لم نشاهد شيئاً يذكر فكل شيء هادئ تماماً، بإستثناء دبابات ثلاث تتحرك قريباً من حصن "جنداد".

فى خيمة تحت الجبل عقد أبوعبدا إجتماعاً مع المجموعة التى أرسلها إلى جبل "مانى كاندو"، وهى على بعد ساعة ونصف من جاور.

نقلت المجموعة إلى أبوعبدا النقاط التالية:

1 ـ جماعة حكمتيار فى "مانى كاندو" صرحوا بأن الحكومة الباكستانية قد طلبت منهم إخلاء طريق "جرديز-خوست" بلا قتال، طبقاً لإتفاقية سياسية بين باكستان وحكومة كابل!.

2 ـ طلبت باكستان أيضاً عدم إزعاج القوة وتركها فى حالها طالما أن هذه القوة لم تتعرض لهم.

3 ـ طلبت منهم باكستان عمل إستحكامات على الشريط الحدودى للدفاع إذا تجاوزت القوة حدودها.

لقد تم تنفيذ النقطتين الأولى والثانية حرفياً كما أمرت باكستان.

إنسحب المجاهدين من مواقعهم المتحكمة فى الطريق بلاقتال، تاركين حقانى "يأكلها منفرداً"

وأيضاً لم يتعرضوا للقوة بأى شكل فى أى وقت.
ولكن البند الثالث لم يتحقق وهو عمل إستحكامات على الشريط الحدودى.
إللهم إلا إذا كان تكدس العشرات من العاطلين فى المراكز الكبيرة والصغيرة القريبة من الحدود للنوم طول النهار وقطع الوقت فى الثرثرة المتواصلة وتعاطى "النسوار"، إذا كان ذلك هو تعزيز الدفاعات الحدودية، فقد تم ذلك بلا أدنى شك، ومنذ وقت طويل .
بعد العشاء عدنا إلى جاور حتى نتحرك غدا صباحاً إلى مرتفعات "مانى كندو" و"رغبلى".

الأربعاء 6/يناير/88

فى السابعة والنصف صباحاً تحركنا فى قافلة كبيرة، صوب "مانى كندو"، تحركت المجموعة على عدة دفعات. وصلنا إلى مانى كندو بعد ساعة ونصف من المسير، فى مواجهتنا كانت المواقع الشيوعية منتشرة فوق مساحة واسعة فى القمم، تعلوها التحصينات الحجرية وبعض الضباط يتجولون بهدؤ وإطمئنان للتمتع بأشعة الشمس الدافئة، أنها حالة هدنة غير معلنة.
تمنيت وقتها لو عاد الزمن ثمانية أعوام إلى الوراء، وأن يعود ذلك المجاهد الأفغانى العجوز ببندقيتة الإنجليزية القديمة، كى يرسل ذلك الضابط الشيوعى الذى يتبختر أمامنا، يرسله إلى الجحيم بطلقة واحدة من بندقية التى كانت أكثر بركة من أطنان الفولاذ التى بحوزة المجاهدين الآن، والتى لم تزدهم إلا خوراً وخيانة وخضوعاً لكلاب الأرض تحت إغراء الدولار.
تمنيت أيضاً لو تقيأت فى وجه قومندان الموقع، فقد كنت جد مريض.
إلى اليمين منا على مسافة ليست كبيرة يرقد جبل رغبلى ، رغم أنهم قالوا أنه يحتاج إلى ساعة ونصف من المسير، كان رغبلى تحت حماية متطوعون من باكستان من جماعة المجاهدين، حمدت ا على ذلك حتى لايبيعه بعض المجاهدين الأفغان إلى القوات الشيوعية الزاحفة. فنحن الآن فى موسم "التصفيات الجهادية" حيث تباع الجبال والطرق الحيوية بأبخس الأسعار.
 فى هذا اليوم قابلنا صديقنا "أبوعبدالرحمن B.M" الشهير، كان قد عاد لتوه فى رحله داخل أفغانستان وصل فيها إلى "نكا" حيث قابل حقانى هناك، ونقل لنا صورة عما يدور وما سمع هناك فقال: هناك نقطة إسعاف أمريكية ، فرنسية فى بلده نكا، ورغم كبر حجمها والزحام حولها فإن الطائرات الشيوعية لاتقصفها لسبب مجهول!!.
ـ للأطباء العرب نقطة طبية خاصه بهم ولديهم سيارة إسعاف ولكن تلك السيارة عندما تنقل جرحى فإنها بدلاً من أن تأخذهم إلى النقطة العربية للإسعاف فإنها تنقلها إلى النقطة الأمريكية لأن السائق أفغانى يتلقى رشوة أمريكية مقابل تهريب المرضى!!"حتى المرضى يباعون وليس المواقع العسكرية فقط"!!.
 حاجى إبراهيم شقيق حقانى هو الذى طالب المتطوعين العرب بالعودة، وتسبب فى تغيير مواقف حقانى تجاههم.
 يشك المتطوعون العرب فى وجود تواطؤ بين قادة حقانى، فقد رفضوا نصيحة العرب قصف بلدوزرات الحكومة التى كانت تفتح الطريق فوق جبل "ساتى كندو" للقوات الشيوعية.
كما رفض هؤلاء الكومندانات تلغيم الطريق!!.
 إشتكى حقانى من أن الناس الذين كلفهم بمهام تصدى للقوات او للحراسه ، قد فروا .
كما إشتكى بإن العرب فى الجبهة يعرقلون الأفغان لذا يرغب فى عدم قدومهم، ويفضل إن يبقوا فى جاور لحمايتها من تقدم محتمل للقوات الشيوعية.
 وصلت مجموعة من العرب تضم 45 شخصاً بقيادة أبوالشهيد اليمنى وفى طريقها إلى

"ساتى كندو"، ضاع منهم فى الجبال 16 شخصاً "حوالى ثلث القوة" وقد عثروا عليهم بصعوبة.
 إستشهد شابين من العرب قبل وصولهم إلى بلدة "نكا" نتيجة القصف، دفنهم زملائهم فى نفس المكان كما هى عادة العرب. وكالعادة أيضاً سرت أشاعة بين الأفغان تقول بأن العرب يتركون شهدائهم ويرحلون. وصلت الأشاعة إلى حقانى فطلب إحضار جثة الشهيدين مقابل 500 روبية للجثة، وقد ظن أنهم تركوا بدون دفن .
 أخيراً أخبرنا أبوعبد الرحمن أن الشيخ حقانى موجود حالياً فى "بغر" لإجراء أشعة على ركبته المصابة، فإذا ثبت أن بها شظايا فسوف يرسله الأطباء الى بشاور للعلاج.
 قابل أبوعبد الرحمن أثناء عودته مجموعة أبوخالد وأبوحفص وأبوجهاد وهم فى طريقهم من باكستان صوب "بغر" فأخبرهم بوجود حقانى هناك.
****
فى تعليق هنا نقول بأن العرب فى تلك المعركة دخلوا فى العمق، فى ظروف مناخية صعبة وحالة إرتباك شديد فى الجبهة، بل أن الجبهة نفسها كانت فى حالة إنهيار مادى ومعنوى وعدم جاهزيه لمعركة بهذا الشكل فى هذا المناخ القاسى. إن العرب قد عانوا الكثير خاصة مع جهلهم بالمنطقة وعدم معرفتهم بمجاهديها سابقاً، وعدم حصول معظمهم على تدريب قبل دخول المعركة ، وعدم وجود إمدادات خاصة بهم فى منطقة فى حالة حرب وتفتقر إلى كل شئ .
فى ظل هذا الكابوس فإن بعض العرب يحاوا له توجيه النصائح "العسكرية" للمجاهدين ، وهى غالباً نصائح غير واقعية، وغير مناسبة، ولكنها إذا رفضت أو تجاهلها المجاهدون، فهذا يعنى فى نظر أخواننا العرب تحدياً وكراهية للعرب.
والعرب كغرباء كانوا فى حاجة إلى إدلاء معهم، وإلى من يقدم لهم خدمات المأوى والطعام . بالطبع لم يجدوا شيئاً من ذلك فتذمروا وتذمر منهم الأفغان ، وتمنى كل طرف لو أنه تخاص من صاحبه بأى شكل معتبراً أياه مصيبة حلت به.
قص لى واحد ممن حضر الموقعة من العرب، بأن بعض الشباب العرب من فرط الإرهاق والجوع والتوتر والسير المضنى وسط الثلوج بثياب مبتلة وبطون خاوية وقصف معادى، كان يعجز عن المسير ويسقط فى الوديان ثم يخرجه أصحابه بصعوبة، وآخرون رموا أسلحتهم وحقائبهم فى الثلج لأنهم لم يعودوا قادرين على حملها.
 وأخيراً فى نهاية ذلك اليوم جلست مع عبدالرحمن نتحادث فطرحنا فكرة الذهاب سوياً إلى حقانى فى "بغر"، كنا نرى أن من الأولى له الحضور إلى هنا لترتيب أوضاعه من جديد وتكوين مجموعات "مقاومة سرية" للتعامل مع الخونة الذين باعوا الطريق، ومجموعات للعمل ضد العدو فى خوست داخلها وخارجها.
فى ميرانشاه وجدت خطابين تركهما لى أبوحفص ،واحد منها من العائلة فى إسلام آباد ،والآخر من أبو آسامة "عبدالعزيز على".
الخميس 7/يناير/88
إجتماع فى العاشرة صباحاً مع أبوعبدا وآخرين. طرحوا فكرة تواجد عربى صغير فى بارى، طلبوا منى المشاركة، فقلت بأنى أريد رؤية حقانى أولاً ويمكنهم الإعتماد على عبدالرحمن فى المساعدة.
ذهبنا إلى غرفة المخابرة التابعة لمكتب حقانى كى نسأل عن أخباره فقالوا بأنه قد غادر "بغر"

إلى جهة غير معلومة قد تكون أفغانستان وقد تكون باكستان.
بعد العصر وصل أبو أسامة المصرى"عبدالعزيز على"، وكان موضوعه الرئيسى الذى وصل لأجله هو بحث إنشاء معسكر تدريب للشباب العربى القادم إلى الجهاد فى أفغانستان.وكان أبوعبدا بالتنسيق مع الدكتور عزام، قد إستدعياه لذلك الغرض. وقبل أن يدخل فى بحث موضوعه الأساسى مع أبوعبدا أخبرنا بما يدور فى بشاور وأصداء معركة الطريق هناك.
فقال بأن الشيخ الصواف قد إجتمع مع سياف يستحدثه على مساعدة جلال الدين فى محنته الصعبة، فرد سياف بكذبة كبيرة حين قال، بأنه عرض على حقانى ـ باللاسلكى ـ أن يرسل له قوة كبيرة لمساعدته، ولكن حقانى رفض ذلك مشترطاً أن تكون القوة من أبناء المنطقة.
ومن سوء حظ سياف أن تميم العدنانى الذى عاد لتوه من عند حقانى كان جالساً ، ورغم هيامه الشديد بسياف إلا أنه لم يطق صبراً على ما يسمع من أكاذيب، فإنفجر قائلاً:
" أنا كنت عند جلال الدين ولم يصله شيئ منك أو من أى أحد آخر، وقد أوصانى بإستنفار العرب والعجم لنجدته".
 علمنا أن الشيخ حقانى قد وصل إلى بيته فى ميرانشاه، ذهبنا إلى هناك بعد العشاء، وتركنا له رسالة بأننا نرغب فى جلسة مطولة معه فى مساء الغد.

****

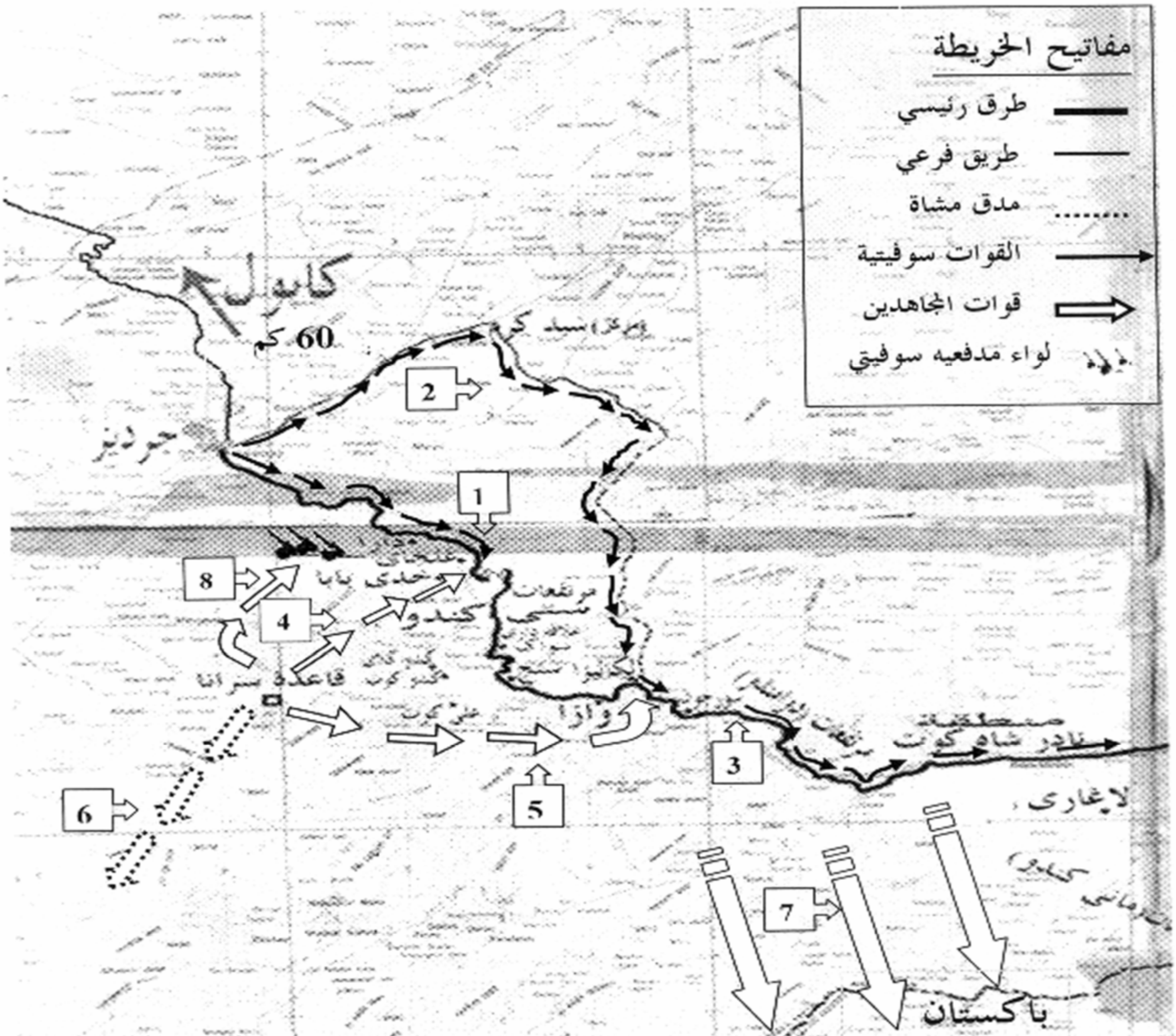
المعركة كما يرويها حقانى

الجمعة 8/يناير/88

عاد إلى ميرانشاه الدكتور "محمد حسن" الذى كان يعمل فى نقطة الإسعاف العربية فى "نكا" وأخبرنا بأنه قابل فى الطريق كل من أبوخالد وأبوحفص وأبوجهاد والأخرون.
بعد صلاة العشاء ذهبت مع عبدالرحمن وآخرون لمقابلة حقانى، وكان هناك تميم العدنانى الذى يحرص على ملازمة الشيخ، ومساعدته فى مقابلة العرب وجمع التبرعات له.
وأخيراً وصل الشيخ حقانى والضمادات تحيط بركبته ولكنه يستطيع المسير بصعوبة نسبية، كتبت فى مفكرتى عن حقانى فى ذلك اللقاء:
سلمنا عليه، كان مرهقاً... ويبدو محطماً بشكل لم أشاهده من قبل... لكنه كان نشط الذهن متجلداً...بدأنا فى حديث مطول حول مادار فى تلك المعركة، أخذت أسجل كتابيا مايقول حقانى بينما إعتنى عبدالرحمن بتسجيل الحديث فى شريط كاسيت مازلت أحتفظ به إلى الآن.
يقول حقانى عن تلك المعركة:
جمع الشيوعيون قوات ضخمة روسية وأفغانية بهدف فك الحصار المضروب حول خوست منذ ثمانية سنوات ونصف السنه.ومنذ ثمانية أشهر قبل الحملة الأخير، كان مطار خوست يقصف بواسطة المدفعية والصواريخ فإشتد الحصار على المدينة.
بدأت المعركة فى جبال "ستى كندو"، ولكن القصف الجوى والمدفعى طال كل قرى المنطقة، والتى كانت آمنه من القصف منذ مدة طويلة، فقتل عدد كبير من النساء والأطفال، وإنشغل المجاهدون بنقل عائلاتهم إلى خارج المنطقة فى ظل ظروف الشتاء القاسية والثلوج المتراكمة.

معركة طريق زدران

ديسمبر 1988م



1	هجوم سوفيتي فاشل.
2	إلتفاف سوفيتي ناجح.
3	تقدم السوفيت إلى خوست.
4	هجوم معاكس لجماعة حقانى، أوقف التقدم السوفيتي.
5	محاولة حقانى مواجة الإلتفاف السوفيتي.
6	انسحاب حقانى و جماعته بعد إصابته.
7	انسحاب المجاهدين بأوامر المخابرات الباكستانية قبل وصول القوات السوفييتية.
8	هجوم حقانى على مواقع المدفعية السوفييتية فى غلجاى.

بالنسبة لخسائر العدو فى تلك المعارك فهى ليست معلومة لنا بدقة حتى الآن، فالجنود الأسرى لايعلمون سوى بخسائر وحداتهم، بينما ساحة المعركة واسعة جداً ومدة المعركة كانت طويلة.
أكثر الخسائر البشرية ، كما شاهدنا ، كانت فى الجنود الروس لأنهم جاهلين بالمنطقة، ولم يتعرفوا على تكتيكات المجاهدين، فى القتال ومواقع حقول الألغام التى زرعناها.
ونحن فى إنتظار أخبار تأتينا من كابول حول خسائر العدو من المتعاونين معنا هناك، والآن يمكننى تخمين أن الروس خسروا 300 قتيل والجيش الأفغانى خسر 200 قتيل.
وكنا قد حصلنا على قائمة بحوزة ضابط روسى قتيل تحتوى على أسماء من قتلوا من وحدته وكانوا 85 شخصاً.أما عدد الشهداء عندنا فلا يزيد عن مئة شخص.
 لقد أسقطنا للسوفييت خمسة طائرات من بينها 3طائرات ميج، وطائرة هيلوكبتر واحدة، وطائرة نقل واحدة ، كما دمرنا لهم مابين 70 / 75 آلية مابين سيارة ودبابة، وحطمنا له مابين 25 /30 مدفعاً نتيجة هجمتين لنا على معسكر المدفعية فى جارديز.**(قرب قرية غلجاى)**
عن القوات الشيوعية التى شاركت فى الحملة، قال حقانى: أن الفكرة عنها ليست كاملة ولكن ماهو معروف أن القوة تشكلت من فرق أفغانية مختلفة، مع قوات روسية كانت هى الأغلبية من قوات الحملة.
وقد شاركت قوات روسية قدمت خصيصاً من منطقة "سيبريا" حتى تكون قادرة على العمل فى منطقتنا الباردة والجليدية فى ذلك الفصل الشتوى، أما الفرق الأفغانية التى شاركت بعض قطاعاتها فى الحملة فهى فرقة غازنى"فرقة 14" فرقة جارديز"فرقة12 "و الفرقة السابعة، و فرقة قارغاه "فرقه 8" مع قوات روسية من كابول وغازنى وجرديز.
ويمكن القول بأن القوات كانت كثيفة جداً بشكل غير عادى وكانت تملأ كل وادى وتل وشارع مع إمدادات غزيرة.
بالنسبة للموقف الآن فإن المجاهدين من أهل المنطقة مازالوا يواصلون عملياتهم ونأمل أن يتمكنوا من تنظيم صفوفهم، والعدو لم ينشئ مواضع دفاعية "بوسطات" على الطريق ولكن فقط نقاط حراسة. ولاندرى المدى التى ينوون الإحتفاظ فيه بالطريق لأنه مشكلة كبيرة عليهم، ويكفى أن تعلم أنهم خلال 37 يوماً من القتال لم يستطيعوا أن يخترقوا الطريق.
ولكنهم عندما هاجموا مراكزنا "سرانا" شغلونا وفتحوا نصف الطريق فى يومين.
وللأسف فإن مجاهدى المنظمات الأخرى قد هربوا وتركوا المنطقة خالية وهذا هو السبب الرئيسى لفتح الطريق.
عن كمية الإمدادات التى وصلت إلى خوست فهى غير معلومة لأن العدو يسير بها ليلاً فى قوافل من السيارات مطفأة الأنوار حتى لانعلم حجمها.
وتوقع حقانى أن يكون من أهداف القوة الشيوعية طرد المجاهدين من مراكزهم حول خوست لتأمين المدينة، ثم الوصول إلى القواعد الرئيسية خاصه جاور كما يمكنهم قصف ميرانشاه للضغط على باكستان حتى تتدخل لتقييد نشاط المجاهدين كما يحدث فى منطقة "طورخم" الحدودية على طريق بشاور ـ جلال آباد.
قلت لحقانى أنه فى الظروف الحالية يبدو أنه غير ممكن عمل شيء كثير ضد القوة بسبب الشتاء، وإضطراب المجاهدين وبالتالى فإن القتال الرئيسى سوف يكون فى الربيع والصيف، فما هى فكرته حول المعارك القادمة؟.
رد حقانى قائلاً:" لن نتركهم حتى الربيع والصيف لأن أفضل وقت لضربهم هو الآن، لأنهم

مازلوا يجهلون المنطقة بينما نعرفها نحن وإذا تركناهم فسوف يتعرفون على المنطقة جيداً وعلى حقيقة أوضاع المجاهدين، وسوف يقيمون نقاطاً منيعة لحماية الطريق، بينما حراساتهم على الطريق الآن مازالت ضعيفة".

وفى الأمس ضرب مجاهدونا قوافل العدو على الطريق، وقد ظل العدو يقصفهم بالمدفعية طوال الليل.

وسألت حقانى:" لكن لماذا لم يحاول المجاهدون مهاجمة خوست والإستيلاء عليها قبل تلك الحملة ؟".

أجاب قائلاً: "كانت دفاعاتها ماتزال قوية، وبها قوات روسية وأفغانية وأرضها منبسطة لاتتناسبنا فى ضعفنا الراهن".

□ هل لهذه المعركة صلة بالوضع السياسى لأفغانستان؟.

بالطبع لقد أهتم السوفييت بهذه الحملة أكثر من أى حملة أخرى فى حرب أفغانستان حتى أن وزير خارجيتهم كان يدلى بتصريحات حولها. وكانت أول معركة يتابعها التلفزيون السوفيتى بالصورة والخبر. وأدعوا أن هذه أول معركة يشاركون فيها!!.

وأعلن السوفييت أن خمسين مستشاراً أجنبياً كانوا يقاتلون إلى جانب المجاهدين. ويبدو أنهم نقلوا ذلك عن الإذاعة البريطانية التى ذكرت أن خمسين خبيراً أمريكياً كانوا مع المجاهدين، وأن واحد من هؤلاء المستشارين قد أسر، ويدعى عثمان ، وإثنان آخران قد قتلا.

"ملحوظة": (عثمان المذكور هو صديقنا عثمان الصعيدى وقد تعرفت عليه بعد المعركة بعدة أشهر، والذى حدث هو أنه كان ضمن مجموعة من العرب فى سرانا، وقد ضل طريقه مع إثنين آخرين من العرب. وأبلغ المجاهدون بالمخابرة أن الثلاثة قد فقدوا وأنهم عثروا على جثة إثنين منهما وأن عثمان ربما يكون قد أسر.

ولكن صديقنا عثمان ،الشاب الصعيدى الظريف لم يأسر أو يقتل قط طوال حرب أفغانستان. كما أنه ليس أمريكياً ولم يشاهد أمريكا طوال حياته، وكان يفخر دائماً بقوله بأنه مسلم من "صعيد ستان". وكان أول من أخترع ذلك الإصطلاح. أما مراسل الإذاعة البريطانية فى ميرانشاه ، وهو أفغانى ، وكان على صلة ممتازة بعمال أجهزة اللاسلكى لدى مكاتب المجاهدين، وكانوا أهم مصادرة الخبرية، وذلك مقابل مبالغ نقدية جيدة ، المراسل النشيط سمع بالخبر فأضاف إليه التوابل المناسبة مثل وجود خمسين مستشاراً أمريكياً وربما كان يقصد العرب فى منطقه "ساتى كندو" و"سرانا".

وقال أيضاً بأن عثمان كان يدرب المجاهدين على إستخدام صواريخ "ستنجر"، وهذا غير صحيح قطعاً لأن صديقنا عثمان لم يلمس فى حياته ذلك الصاروخ ناهيك عن إستخدامه).

□ <u>عن ملاحظاته حول الأسلحة التى إستخدمتها القوات الشيوعية فى حملتها تلك قال حقانى:</u>

" لقد إستخدم السوفيت حوالى ألف قطعة مدفعية وقد إستخدموا فى بعضها ذخائر إنشطارية، وكذلك قنابل طائرات عنقودية، بعض أنواع المدافع كان جديداً ويستخدم لأول مرة ومن عيارات كبيرة طويلة المدى مثل عيارات 150مليمتر، 170 مليمتر".

فسألته: ولكن لماذا إنهار الوضع بهذه الطريقة غير المتوقعة ؟.

فأجابنى قائلاً: السبب الأساسى فى ظنى هو أن الناس تركوا الجهاد وكرهوا المجاهدين والأسلحة.

*فى اليوم التالى وضعت نفسى داخل أحد الباصات العامة فى طريقى إلى إسلام آباد. كنت فى

حالة نفسية كمن وجد نفسه فى غياهب "بحر الظلمات". سحبت أوراقاً من جيبى كتبت فيها الملاحظتين التاليتين تعبيراً عن مشاعرى وقتها. قلت فى الملاحظة الأولى:

 "أكثر الرجال نبلاً وشجاعة هم هؤلاء الذين يجدون فى أنفسهم القدرة علي خوض حرب عادلة تماماً، ولكنها يائسة".

أما في الملاحظه الثانيه فقد جاء فيها :

"أجد نفسى فى موقف يشبه موقف جلال الدين، مع الفارق،فكلانا هزمه أصحابه" .

□□□□□□□□□□□□□

الإنسحاب المفاجئ

فجأة إنسحبت القوات الشيوعية، وتركوا حتى مرتفعات "ستى كندو" الإستراتيجية وتم ذلك الإنسحاب فى 24 يناير 1988.

أتعجب من حماقة هؤلاء الروس!! يقدمون أثماناً باهظة وخسائر جسيمة فى مقابل مكاسب تافهة . هاهم الآن قاتلوا "37" يوماً فى مقابل إستخدام الطريق لمدة 24 يوما فقط ، أى أنهم قاتلوا يوماً ونصف فى مقابل كل يوم إستخدموا فيه الطريق!!.

وفى معركة "جاور" عام 86 قاتلوا لمدة شهر تقريباً كى يمكثوا فى القاعدة يوماً ونصف أى أنهم قاتلوا عشرين ساعة فى مقابل كل ساعة مكثوها فى جاور !!.. لماذا ؟؟.

كم أهدروا فى هذه المعارك وأمثالها من أرواح الجنود وآلاف الأطنان من العتاد والمهمات فى مقابل لاشيء تقريباً.

لاعجب إذن أنهم خسروا الحرب . فالحرب لايكسبها من يفكر بحذائه بدلاً من عقله. ولننظر إلى الرابح الحقيقى فى تلك الحرب، وهم "أصدقاؤنا" الأمريكان. لقد كسبوا الحرب ولكنها لم تكلفهم سنتاً واحداً.

لأن "المملكة" دفعت كل الفواتير. كما لم يريقوا فيها قطرة دم واحدة، لأن الأفغان و"المتطرفون" العرب أراقوا مايكفى وزيادة. بينما ربح الأمريكان الأذكياء ليس حرب أفغانستان فقط ولكن نفط الخليج، وإحتلوا جزيرة العرب، مهبط الوحى، ومن ثم سيطروا على العالم أجمع كقوة قاهرة فوق كل الخلائق!!.

لقد خسر الروس لأنهم فكروا بأحذيتهم بينما نحن سحقتنا تلك الحرب لأننا لم نفكر أصلاً. فكما قال بعض إخواننا من حكماء الحركة الإسلامية "إن التفكير يناقض الإيمان!!". و فى خلقه شئون، فلا عجب فيما يحدث لنا الآن.

****

فى الثامنه والنصف صباحاً فى اليوم الأخير من يناير قابلت حقانى فى غرفته المخصصة لإستقبال ضيوفه المرتبطين معه بأعمال.

قال حقانى: بإن سلسلة من الإجتماعات تبدأ اليوم بين قادة المجاهدين فى خوست، وبين قادة الأحزاب أيضاً وذلك لمدة يومين.

والموضوع الرئيسى فى الإجتماعات المنتظرة هو تشديد الحصار حول خوست.

أما بالنسبة "لجارديز" فإن الثلوج تمنع حالياً تصعيد العمليات حولها.

المفاجأة التى لم أتوقعها هو ما قاله حقانى من أن أوضاع خوست سيئة، فلم يتم تعزيز

القوة المدافعة عنها بأفراد أو معدات جديدة!!.
إن كمية الأمدادات التى وصلت فهى غير معلومة ، ولكن المعنويات هناك منخفضة وتوترت العلاقه بين العسكريين وبين المدنين. فالأهالى بدأوا يهاجرون بعد أن سخطوا على الحكومة التى لم تطهر نطاق المدينة الخارجى من مجموعات المجاهدين التى مازالت تقصفهم بالقنابل. وقد كانوا يتوقعون من القوة التى وصلت أن تحل تلك المشكله نهائيا ولكنها جاءت وغادرت فجأة بدون أن تفعل شيء.
كان واضحاً أن الروس يريدون فقط تسجيل أنهم إستطاعوا الوصول إلى خوست، والإستفادة من ذلك سياسياً، ولكنهم لم ينفذوا أى برنامج عسكرى لتحسين أوضاعهم فى المنطقة.
فلم يطهروا ماحول خوست من مراكز للمجاهدين، وقواعد قوية مثل جاور، كما لم يحاولوا إغلاق المنافذ الحدودية التى هى قريبة نسبياً مثل صدقى وغلام خان.
 من المفجآت الجديدة التى أوردها حقانى، وصول أنواع جديدة من الأسلحة للمجاهدين، سوف يتم "تجربتها"ضد خوست، حيث أن الطريق المؤدية إلى داخل أفغانستان مغطاة بالثلوج.
ومن الأسلحة الجديدة التى وصلت كانت مدافع ميدان صينية من عيار 85 مليمتر.
وذخائركثيرة لمدافع الميدان الروسية التى بحوزة المجاهدين، من عيار 122 مليمتر.
كذلك صواريخ من نفس العيار ذات مدى 20كيلومتر، 30كيلومتر. وهى صواريخ كان لها دور كبير وبارز منذ ذلك الوقت حتى نهاية الحرب.
واضح من الأسلحة الجديدة أنها تجهيزات لحصار المدن، وقصفها من خارج نطاقها الدفاعى الذى يصل فى بعض الحالات إلى 30 كيلومتر كما هو الحال فى كابل.
والصواريخ الجديدة هو صواريخ "صقر" مصرية الصنع. مع أعداد محدودة من قواذف رباعية لتلك الصواريخ من صناعة الصين.
وكما ذكرنا فقد كان سلاحاً فعالاً إعتمد عليه المجاهدون كثيراً لدرجة طمست عندهم الرغبة فى إقتحام المدن. ناهيك عن أوامر الإستخبارات الباكستانية، التى لايمكن تجاوزها، والتى تقضى بعدم محاولة الإقتحام، مع الضغط على المدن بالقصف الصاروخى والمدفعى، طبقاً لبرنامج تحدده الإستخبارات الباكستانية بما يتوافق مع المصالح الأمريكية وحالة الضغط المتبادلة بين واشنطن وموسكو.
 وقد وصل إلى المجاهدين أيضاً كميات محدودة من صواريخ ميلان الفرنسية المضادة للدبابات.
 كما وصلتهم "الأفعى المتفجرة" لفتح ثغرات فى حقول الألغام،ولكن بعدد محدود جداً كما أنها لم تكن عملية.
 عن الوضع المالى المترتب على المعركة قال حقانى بأنه مازال مديناً. فقد كلفته المعركة كثيراً خاصة النقليات، فالمسافات بعيدة، والبرد والثلوج تضاعف المشاكل أما خطورة القصف وأحوال الحرب فقد جعلت أصحاب السيارات يبالغون كثيراً فى أسعار النقل.
فعل سبيل المثال كان إيجارسيارة بيك آب من نقطة الحدود عند "بغر" وحتى "نكا" تكلف أربعة آلاف روبية باكستانية.
هذا لنقل الأشخاص، أما نقل الذخائر، فإن نقل صاروخ كاتيوشا واحدة كان يكلف نقله من بغر إلى نكا ألفى روبية باكستانية.
(كان سعر الصاروخ وقتها فى سوق السلاح خمسمائة روبية فقط ! أما بعد نهاية الحرب فقد كان التجار

يجمعونه من" المجاهدين" بسعر خمسين روبية!! وهو سعر الحديد الذى يحويه الصاروخ!! ولاعجب!!).

* قال حقانى أن مساعدات وصلته من رابطة العالم الإسلامى والهلال الأحمر السعودي، وكذلك تميم العدنانى الذى بذل جهداً كبيراً فى جمع التبرعات من الداخل والخارج، أما أبوعبدا فلم يقدم مساعدات له.

كما إشتكى حقانى من أن مولوى يونس خالص قد إحتجز تبرعات جاءت لحقانى عن طريقه، ربما بوصفه، أى حقانى، أحد قيادات حزب خالص. وقد عرف حقانى بأمر ثلاث مئة ألف دولار، كانت قادمة إليه من متبرعين أثناء المعارك، ولكن مولوى خالص إحتجزها.

 أخبرنى حقانى أيضاً أنه فور وصوله إلى ميرانشاه، بعد إصابته طلب الرئيس ضياء الحق مقابلته. فقال لهم حقانى أنه سيفعل لو إن فترة بقائه فى باكستان زادت عن أسبوعين، لأنه ينوى العودة إلى زدران مرة أخرى، ولما ظهر له الآن أن فترة بقائه سوف تطول فقد طلب منهم تحديد موعد المقابلة.

 ثم إنتقل حقانى إلى نقطة لم نتفق بشأنها أبداً، وهى موقف باكستان وإستخباراتها العسكرية، فقد سألته عن إحتمال تورطهم فى مؤامرة دولية لفتح طريق زدران وهو ما أعتقده ـ ولكنه نفى ذلك وكان يعتقد شيئاً آخر، " وهو فى الحقيقة رأى الإستخبارات الباكستانية" فقال أن ما حدث هو مؤامرة من قيادات الأحزاب فى بشاور، الذين يحقدون على حقانى بسبب قوته ونفوذه ومعاركه الشهيرة التى تضعه فى الصدارة منذ سنوات، لذلك فهم يتمنون هزيمته فى كل معركة كبيرة لهذا سحبوا قواتهم من الطريق رغم أن باكستان ضغطت عليهم كثيراً حتى يساعدوه وأعطتهم أسلحة كثيرة وأموال!!.

وقال حقانى بأن "الكولونيل إمام" مسئول "ISI "عن قطاع تقع فيه مناطق حقانى وغيرها، "إمام" هذا زار حقانى فى "نكا" وشاهد الوضع على الطبيعة، وكان حقانى قد أصيب لذا حضر إمام للإطمئنان عليه، وبعدما شاهد الأحوال على الطبيعة قال لحقانى متأثراً: "إن الأحزاب كذبت علينا".

وحتى نهاية خدمة "إمام " فى تلك المنطقة ونقله منها إلى مكان لا أعلمه، كان حقانى يثق فيه تماما، وكان معيار الثقة هو المعونات الكبيرة التى تصل عن طريقه ثم العلاقات الشخصية القريبة. ولكننى كنت أرى أن "إمام" ذلك ليس سوى ضابط إستخبارات ناجح فى مهمته طالما إكتسب ثقة ضحاياه، وأن ماقاله لحقانى فى "نكا" ليس إلا مثالاً لألاعيب الإستخبارات فى الوقيعة بين المتنافسين فى ضحاياها طبقاً لسياسة سادتهم البريطانيين التى تلخصها حكمة "فرق تسد".

نعم لقد إستلم قادة الأحزاب أموالاً وأسلحة من الإستخبارات الباكستانية وقت المعركة، ولكن ليس من أجل أن يشاركوا فيها كما أدعى "إمام" ولكن لهدف معاكس تماماً أى حتى لا يشاركوا فيها.. وبعبارة أخرى: "كان ما أخذوه من الإستخبارات الباكستانية هو ثمناً للخيانه.. لا أكثر". ولكن حقانى مازال إلى الآن لايصدق ذلك، ولايتصوره!!.

 فى نهاية الحديث أخبرت حقانى عن إستعدادى للعمل فى مجلتهم المنشودة على أن تكون صوتاً للمجاهدين فى مواجهة الكاذبين فى بشاور، أسعده ذلك. ولكنى قلت له أننى لن أكتب فى المجلة لأن كتاباتى سوف تسبب لكم المشاكل، فضحك من ذلك.

ثم إستشرت حقانى حول كتابة ونشر قصة وتفاصيل المعركة الأخيرة، وموقف الأحزاب منها، فقال أن الضرر الذى سينتج من ذلك العمل هو أضعاف الفوائد الناتجة عنه، لعدة أسباب:

أولاً: أن العدو سوف يستفيد من ذلك كثيراً لأنه يعرف أنك تكتب من داخلنا.
والسبب الثانى: هو أن زعماء الأحزاب سوف ينسون معركتهم مع الروس وسوف يتوجهون بالحرب ضدك مباشرة لأنك فضحتهم وسوف يصورون المسألة للناس على أنك عميل للروس، وقد جئت إلى هنا كى تكذب على قادة الجهاد وتوقع بينهم.
وافقته على ماذهب إليه، فقد كان رصيد تجاربى السابقة يؤيد مايقول.
****

معركة طريـق زدران
نقطة تحول دولية

قبل يومين فقط من كتابه هذه السطور مررت بذلك الطريق الإسطورة.." طريق زران الذى يربط مدينتى خوست وجرديز". مرت سبع سنوات تقريباً على المعركة التى نتحدث عنها. سنوات ليست بعيدة جداً ولكنها كانت كافية لزوال الطريق تقريباً، فتحول إلى مجرد "مدق" جبلى لا أثر فيه للأسفلت وإن كانت الجسور مازالت سليمة فيما عدا جسر قديم الطراز، أزالت السيول نصفه مع جزء من "المدق" الذى كان طريقاً يعادل المستويات الدولية. ونهر شمل فى هذا الموسم الخريفى لايحتوى سوى كمية ضئيلة من الماء الرقراق، لاتشغل سوى حيزاً ضيقاً من ممره الواسع الذى يشهد فى الربيع ثورة هائلة من المياة الطينية الهادرة، والناجمة عن ذوبان ثلوج جبال "ستى كندو".
 يبلغ طول الطريق حوالى122 كيلومتراً. وعلى المسافر من جرديز فى إتجاه خوست أن يقطع حوالى عشرة كيلومترات فى منطقة تحيط بها تلال من الجانبين أحياناً ومن الجانب الأيسر فقط أحياناً أخرى، حتى يصل إلى بداية جبل ستى كندو المـغطى بأشجار الصنوبر ويمضى الطريق متعرجاً على سفوح الجبل المهيب حوالى عشـ ـ ـرة كيلومترات أخرى حتى يصل إلى الجانب الآخرمن الجبل، وعندها يرافقه نهر شمل حتى نهاية الرحلة إلى خوست لايفترقان بل فى الغالب متلازمان تماماً حتى دوامندو فى مدخل وادى خوست حيث يبتعدان قليلا، ولكن لايفترقان أبدا. ويمضى النهر إلى باكستان ولكن الطريق ينتهى تماما فى مدينة خوست تاركاً المجال لمدقات ترابيه تربط المدينة بما حولها.
فى عدة مناطق يصبح الطريق معلقاً فى الفضاء بجوار حائط صخرى مرتفع إلى اليسـار وهوة عميقة نحو النهر الفضى فى وادى شمل، وكثيرة هى الإنحناءات الحادة التى يظهر عندها الطريق وكأنه قد أحكم أغلاقه بواسطة تلال صخرية ضخمة من أمامه وجنباته.
أما نهر شمل الرقراق، فهو قليل الماء فى معظم العام، أما فى الربيع عندما يبدأ الثلوج فى الذوبان، فهو ثورة خطيرة من المياه المعتمة المحملة بالطمى الغزير. وإذا كانت الأمطار تهطل فوق الجبال فى نفس الوقت، وهو مايحدث عادة فى الربيع فإن عبور النهر يصبح مستحيلاً لعدة أيام على الأقل.. ولغير السيارات الثقيلة يكون العبور وقت الفيضـ ـانات مغامرة خاسرة. وفى معارك فتح خوست "1991" التى دارت فى الربيع، شكل النهـ ـ ـر الهائج نوعاً من التطويق لخط الدفاع الجنوبى عن المدينة، وفقدت القوات الحكومية عدداً من المركبات والمدرعات التى حاولت العبور لنجدة المواقع أو الإنسحاب منها، وكذلك فقد المجاهدون عدة سيارات وغرق بعضهم فى النهر، ومنهم عدد من العرب أثناء محاولتهم العبور خلف القوات المنسحبة ومطاردتها. لقد فرض نهر شمل هدنة إجبارية على الطرفين

وقتها لمدة يومين كاملين.
إختصاراً فإن شمل الفضى الهادئ الوديع معظم العام، قد يتحول الى وحش هائج، لابد أن يحسب الجنرالات حسابه.
تلك إذن عناصر لاتنفصم فى طبيعة المكان وهى الجبل والنهر والطريق. بقى من عناصر المعركة عنصران بشريان تفاعلاً مع العناصر الطبيعية الثلاث لتجعل من المنطقة كلها مزيجاً فريداً فى الحرب الأفغانية، العنصران هما: القبيلة والقائد.
ولا أدرى مدى صحة إستنتاج صفات الناس وطبائعهم من صفات المكان ومناخه .
فالجبال هنا جميلة وعرة ومتعرجة. إرتفاعاتها فى مناطق زدران من 1500متر جهة خوست حتى تصل حوالى خمسة كيلومترات فى "ستى كندو" وغيرها من قمم المنطقة الغنية بأشجار الجوز والصنوبر.
مناخ منطقة زدران رائع معظم العام ماعدا الشتاء الذى يصبح قاسياً جداً فى الجبال العالية وقربها حيث تسقط ثلوج كثيفة، الأرض المتاحة للزراعة قليلة جداً، وهى"للمفارقة" لاتعتمد كثيراً على النهر بل على مياه العيون النابعة من الجبال.
فى الصيف والربيع الطقس متقلب يشهد أمطاراً مفاجئة قد تكون غزيرة تؤدى إلى إنقلابات فى مسيرة شمل الهادئة، لذا من الخطأ الحكم على حالة الطقس ليوم كامل من خلال الحكم على ساعة معينة منه، فالمفاجئات هى القاعدة، والثابت الوحيد فى الطقس هو التبدل المفاجئ.
هل يمكن إذن أن نستنتج شيئاً عن حالة السكان المزاجية والنفسية، من قبائل زدران خاصة؟..
أشياء مثل القوة، والشجاعة، والكرم، والكبرياء، وعشق الحرية وحب الدين والولاء للقبيلة والحرص عليها وعلى أرضيها وشرفها.. وسهولة الإنجراف إلى القتال.
مع تقلب الأمزجة وعدم الثبات على موقف واحد ... أظن أنه يمكننا ذلك بدون خطأ كبير.
ونضيف أيضاً أنه من طبيعة قاسية وفقيرة الموارد مثل تلك، مع قلة التعليم بل وندرته ، مع طبيعة السكان القتالية والمعتدة بنفسها، يصبح الحصول على المال بواسطة القوة عملاً معتاداً أى أن "الإكتساب المسلح" إن جازت التسمية، تعتبر عملاً طبيعياً. والروح الفردية قوية جداً لاتحدها سوى مصلحة القبيلة، وهى مصلحة عليا لاتحدها سوى توازنات القوى مع القبائل المجاورة، ومحاولة جميع المتجاورين تحاشى الحروب القبلية التى لاتمثل سوى هلاكاً مؤكداً لجميع المصالح وإتلاف الثروات والأرواح. أما الدولة فهى عنصر جديد فى معادلة تلك القبائل وليس لها إعتبار كبير فى وجدانهم "كمواطنين"بالمفهوم المتداول فى العالم المعاصر.
ولكن الوزن المادى للدولة، يعتبر كاسحاً بالنسبة للقبيلة لذا لابد من بذل شيء من الخضوع له.
كما أن ثورة القبيلة أو تمردها يمكن أن يحطم مصالح الدولة فى تلك المناطق، وإذا كانت مناطق حدودية فإن الخطر يصبح أكبر لإحتمال تدخل الجيران وإستغلالهم لفرص الإضطراب الحادث. تاريخياً فإن قبائل باكتيا ـ ومن ضمنها زدران ـ قد ساندت نادرشاه فى إستعادة عرش عائلته من الثوار، فى مقابل تعهدات تضمن لهم هامشاً واسعاً من الحرية، وقد وقع نادر شاه ذلك العهد مع كبار زعماء باكتيا ، ومن ضمنهم جد نجيب ا حاكم أفغانستان الشيوعى " 1986 / 1992".
وكان من شروط تلك المعاهدة هو عدم فتح طريق أو مدارس أو مستشفيات إلا بموافقة زعماء القبائل، الذين قبلوا بدخول أبنائهم فى سلك الضباط، وليس التجنيد الإجبارى فى جيش الدوله.
لهذا كان لشباب باكتيا تواجدا قويا فى الجيش، وبالتالى فى الكوادر الشيوعية التى سيطرت على

الدولة منذ الإنقلاب الشيوعى فى إبريل 1978.
ويكفى وجود قيادات شيوعية من أمثال الجنرالين عبدالقادر وأسلم طنجار، من منطقة زورمات.
ومن أمثال نجيب ا وهو من منطقة سيد كرم الواقعة فى الإمتداد الشرقى لمدينة جرديز وتعتبر من ضواحيها.
ومن أمثال الجنرال شاه نواز تناى وهو من أبناء قبيلة تناى التى تقع أراضيها غرب وادى خوست وتتصل جبالهم بجبال جيرانهم " زدران " عند مضيق "دوامنو" الشهير.
ثم من أمثال سليمان لايق، الذى شغل مناصب وزارية مختلفة، وهو من قبيلة زدران نفسها، وغيرهم كثيرون فى مراتب الجيش والدولة الشيوعية.
كان يمكن لأهالى باكتيا أن يضمنوا لأنفسهم مكاناً مرموقاً فى العهد الشيوعى أفضل من أمتيازاتهم فى العهد الملكى الذى أعطاهم أيضاً مكاناً مميزاً.
ولكن العقبة الكبرى أمام خضوع باكتيا وولائها للنظام الشيوعى، كانت فى إعتقادى هى ظهور قيادة مثل جلال الدين حقانى فى قبيلة مثل زدران" التى كان نصيبها " الإستراتيجى، ذلك الطريق الذى يربط بين أهم مدينتين فى الولاية جرديز العاصمة، "وخوست "المدينة العسكرية ذات الموقع الإستفزازى والهجومى الذى يهدد أمن الجارة الكبرى إلى الجنوب ، "باكستان" .
كذلك جبال زدران التى تربط وتهدد المدينتين كلاهما أيضاً.
 لقد كان الجانب الشخصى واضحاً فى معارك باكتيا، خاصة معركة طريق زدران فكانت معركة بين فريق باكتيا الشيوعى بقيادة نجيب رئيس الدولة ، من حزب بارشام، ومعه عدد من الوزراء والجنرالات ـ وكلهم تقريباً من حزب خلق الذى تعتبر باكتيا وخوست بوجه الخصوص أهم معاقلة فى أفغانستان كلها لكونه حزباً ذو طبيعة بشتونية.
هذا الفريق فى ناحية، وحقانى فى الناحية الأخرى الذى خاض تلك المعركة وحيداً تماماً.
ليس فقط حين إنفض عنه معظم رجاله فخاض المعركة أكثر الوقت مع بعض حرسه الخاص وعدد من الطباخين فى المعسكر ـ فقد كانت ظروف المعركة أصعب من أن نتخيلها .
ولكن أيضاً لأن حلفاء حقانى وإخوانه من علماء باكتيا وباكتيكا قد إستشهد عدداً كبيراً منهم فى السنوات الماضية كما حالت ظروف مختلفة دون حضور ومشاركه من تبقى منهم .
لم يلاحظ سوى أهل باكتيا أنفسهم ذلك الجانب الشخصى من المعركة بين عمالقة باكتيا على الجانبين الإسلامى والشيوعى.ولم يتداول غير أهل باكتيا تلك البيانات الغريبة التى أطلقها رديوا كابول على لسان الرئيس نجيب وغيره، على هيئة تحذيرات موجهه إلى "قومندانات" المجاهدين فى باكتيا، طالباً منهم إعتزال القتال فى تلك المعركة لأنها موجهه شخصياً ضد حقانى ولاشأن لأحد آخر بها...
لقد نجح نجيب فى عزل حقانى، لابسبب تلك البيانات ولكن بسبب إتفاق دولى بين ريجان وجورباتشوف فى نفس الشهر الذى بدأت فيه المعركة، وتحددت فيه نتائجها سلفاً. وإنسحب جميع الكومندانات من حراس الطريق، تاركين حقانى يخوض معركته وحيداً لمدة شهر تقريباً، فعلوا ذلك بناء على طلب من ريجان وصل إليهم على صيغة أمر من الإستخبارات الباكستانية .
كانت شخصية حقانى هى العنصر المحورى فى باكتيا، حيث أن العناصر الإيجابيةالأخرى مثل طبيعة الأرض أو البشر والقبائل ـ يمكن أن نجد لها مثيلاً فى أماكن أخرى قريبة أو بعيدة، ومن مزايا حقانى التى أهلته لذلك الدور غير العادى هى:

أ ـ مكانته المعنوية والإجتماعية كعالم دين.
ب ـ قدرته القتالية العالية وشجاعته وموقعه الشهير وإنتصاراته.
ج ـ شخصيته القيادية.
د ـ مناقبه الشخصية مثل القوة البدنية والهيئة المكتملة، لين الجانب مع الحزم ومعرفته الفائقة بشئون القبائل وسياساتها، قدرة غير عادية على معرفة تضاريس الأرض ومعالمها، والأقوام التى تعيش عليها وأسماء قادتها، وذلك فى وقت قصير جداً حتى ولو أثناء عبور سريع عليها. مع ذكاء غير عادى وسرعة كبيرة فى فهم الأشياء الجديدة" إضافة إلى غريزة قتالية ممتازة".
تلك المزايا فى شخصية عالم الدين المقاتل هذا، كانت كفيلة بأن تجعل منه شخصية ذات شأن على مستوى أفغانستان كلها لولا حالة التحجيم التى فرضها أصدقاءالأفغان من أمريكان وباكستانيون ، لمنع ظهور زعامة ميدانية تقود ذلك الشعب فى وحدة واحدة.أى لمنع تكرار ظاهرة "الأمام شامل" بطل القوقاز الذى قاتل الروس وأنهك قواتهم لأكثر من ثلاثين عاماً بدون أى مساندة خارجية سواء إسلامية أو أوروبية.
لقد تساوى السوفييت والأمريكان فى خوفهم من تكرار ظاهرة "الإمام شامل" وعملا معاً بشكل جماعى للقضاء على أى تهديد بهذا الشكل فى أفغانستان أو فى آسيا الوسطى والقوقاز.
هل أراد السوفييت القضاء على شبح جديد للأمام شامل فى شخص حقانى؟وعبر حملة عسكرية ضخمة لايقل حجمها عن 30 ألف جندى وبدعم أمريكى كامل يضمن نجاح الحملة وسلامتها وتحطيم العدو المشترك؟.
إعتقد أن هذا الإعتبار كان قائما عند متآمرى الحملة. وقد أشرنا سابقاً إلى مجهود أمريكا لمنع ظهور قيادات علمائية فى مناطق " أهل السنة" التابعة لهم. وكيف أن إعتماد الصيغة الحزبية الأوربية والتى هى غريبة تماماً على الشعب الأفغانى، قد فرضها الأمريكان فرضاً للتخلص من قيادة العلماء، وأساليب التنظيم الدينى التاريخى فى تلك المناطق وهى أساليب قبلية وصوفية إستفاد منها الإمام شامل وغيره ،على إمتداد تاريخ العمل الإسلامى الجهادى فى آسيا.
لقد فرضت الصيغة "الحزبية" على العمل الإسلامى فى العالم كافة، حتى تلك المناطق التى لم تتأثر كثيراً بالثقافة وأسلوب الحياة لدى كفار الغرب.
أما الجامعات الدينية فقد تمكنت دول الغرب الإستعمارية من السيطرة الكاملة عليها عبر الحكومات المرتدة، وتحويل تلك الجامعات إلى مدارس لتخريج "علماء أمن الدولة" من علماء السلاطين الذين تلقوا قشوراً من العلم الدينى تمكنهم فقط من أداء عملهم المدمر كأدوات "بطش دينى" فى أيدى طواغيت المرتدين.
وحتى نستطيع أن نفسر الكثير من أحداث أفغانستان لابد أن ندرك إنزعاج الغرب الشديد من مكانه ومتانة عالم الدين فى أفغانستان وإستقلاليته والمكانه الإجتماعية المرموقة التى يحظى بها بين قبائلها المختلفة.
ولاعجب أن نرى الإستنفار الأمريكى كلما أوشك المسلمون الأفغان على إحراز أنتصار ما تحت قيادة علمائية، إلى درجة إطلاق عبارة مثل :إن مايحدث الآن فى أفغانستان يشكل تهديداً للأمن الوطنى الأمريكى، والتى أطلقوها فى ربيع 1994 عندما أحرز طلاب الشريعة "طالبان" إنتصارات مذهله سيطروا بها على ثلث مساحة البلاد خلال أقل من نصف عام .
لقد مثل حقاني صمام الأمان ونقطة التوازن الأمنى بالنسبه لجهاد أفغانستان كله ، وأيضا بالنسبة لأمن باكستان. فكما أوضحنا بأن باكتيا كانت أقرب إلى التحالف مع نظام كابول

الشيوعى، لولا المواجة الجهادية فى باكتيا والتى قادها حقانى مع مجموعة من أفضل علماء أفغانستان المقاتلين فى أبناء باكتيا نفسها وقد إستشهد أكثرهم سنوات الجهاد.
إن باكتيا الشيوعية تعنى ضياع الشريط الحدودى الباكستانى بأكمله، الذى ينفر فى مجملة من الحكم الباكستانى ويتوق إلى العودة إلى أحضان الوطن الأم حيث باقى القبائل البشتونية فى أفغانستان، وهى القبائل المسيطرة على الحكم هناك.
لقد كان من المفروض أن تدخل الهزيمة إلى أفغانستان من فوق جثة حقانى عبر معركة طريق زدران. ولكن ذلك لم يحدث، فحقانى نفسه أصيب ولكنه لم يقتل، ومعظم رجاله لم يكونوا متواجدين وقت المعركة بسبب ظروف الشتاء، والقليل المتبقى لم يستطيع الصمود لفترة طويلة.
لقد كان ذلك مؤسفاً. ولكن الناحية الإيجابية فيه هى أن قوات حقانى ظلت سليمة بحيث لم يظهر عليه أية ضعف. وإستعاد مبادراته العملية بعد وقت قصير جداً من نهاية المعركة.
هزيمة المجاهدين فى باكتيا بواسطة معركة " طريق زدران" لم تكن فقط من أجل إعطاء تغطية سياسية لجورباتشوف كى يغطى عملية إنسحابه العسكرى من أفغانستان، بل تهدف أيضاً إلى تحطيم معنويات المجاهدين وإقناعهم بالحل السياسى الأمريكى السوفيتى.
ولكن معركة طريق زدران لم تحقق هدف الدول الكبرى. إذ لم يقتنع أحد وقتها سواء فى باكتيا أو خارجها بأن الهزيمة حقيقية أو نهائية، كما أنها كانت مؤقته تماماً إذ إنسحب السوفييت بعد وقت قصير وإستعاد حقانى نشاطه، وتشجع معه الآخرون فعادت خوست إلى سابق عهدها، ولكنها أخذت فقط جرعة إضافية من الأنفاس ولكن مشاكلها الأساسية ـ وفى مقدمتها الحصار الأرضى مازالت باقية بعد المعركة كما كانت قبلها.
ولكن ظلت عقبات كثيرة ظاهرة وخفية تمنع المجاهدين من تطوير عملهم العسكرى ليبلغ مرحلة إقتحام المدينة وتحريرها. كانت الأسباب الخفية هى الأهم والأخطر، كانت هناك خطوطاًحمراء شأن كل الحروب ـ ولكنها خطوطاً غير موجودة على الخرائط ولم يتم شرحها علناً ولكن كثيرون كانوا يفهمونها لكونها من أساسيات لعبة الأمم ".
ولكن جماعتنا من العرب لم يفهموها مطلقاً ".
اذا كان قد تعلمنا من أفغانستان دروساً جوهرية فتلك الدروس هى:
 إن الحرب عقيدة ومعنويات قبل أن تكون إستراتيجية وتكتيك .
 وإن الحرب سياسة قبل إن تكون قتالاً. وبحيث أن العمل السياسى المرافق للحرب هو أكثر أهمية وأشد خطورة من العمل القتالى. وأن طاولة المفاوضات قد تتحكم فيما يحدث على ساحة المعركة. (وإن كان من المفرض أن تكون المفاوضات مجرد إنعكاس لحقائق القوة على أرض المعركة.هذا إذا كانت السياسة والحرب كلاهما تحت قيادة واحدة، وهو أمر لا يتحقق فى الحرب بالوكالة،كما تتحول "غالبا" حروب العالم الثالث).
هذه الرؤية قد يمكن تلخيصها بهذا التعريف":إن حروب المستضعفين" هى سفينه تحاول أن تمضى إلى غايتها وسط الأمواج الخطيرة لبحار السياسة.."

****

مـرة أخرى ...الحرب والسياسة

تعريفات كلاورفتز للعلاقة بين الحرب والسياسة التى صيغت فى مقولات مثل "الحرب والسياسة وجهان لعملة واحدة" أو مقوله :"إن الحرب هى السياسة المسلحة" هى مقولات صحيحة ولكن غير كافية لتوضيح العلاقة الراهنة بين الحرب والسياسة.

فذلك التشخيص الذى وضعه كلاوزفتر فى أعقاب الحرب النابليونية لم يعد دقيقاً بما فيه الكفاية بالذات بعد الحرب العالمية الثانية ومرحلة الحرب الباردة بعدها، وحتى الزلزال الأفغانى الذى أطاح بالإتحاد السوفيتى وبالحرب الباردة معه، وحتى المرحلة الحالية التى إصطنعت لها أمريكا تعريفاً مضللا كعادتها فأطلقت عليها مصطلح النظام الدولى الجديد".

فى مرحلتى "الحرب الباردة" ثم "النظام الدولى الجديد" أصبح تعريف كلاوزفتز لايفى بالغرض وبشكل متزايد، خاصة بالنسبة "لحرب المستضعفين" من الشعوب المقهورة.

فحروب مرحلة الحرب الباردة دارت كلها على أراض الدول الفقيرة وبأيدى أبنائها، وإكتفى الكبار بالتأييد المادى والسياسي لأطراف الصراع، وسميت تلك الحروب "حروباً بالوكاله".

والقاعدة العامة لتلك الحروب أنها لاتحقق أهداف من يخوضونها ميدانياً بل تحقق أهداف القوى الدولية الكبرى" السوفييت أو الغرب بزعامته الأمريكية. وقليلاً ما خاضت القوى الكبرى حروباً مباشرة بجيوشها مثل ماحدث فى فيتنام، كما فعلت أمريكا"أو حرب جزر الفوكلاند كما فعلت بريطانيا.

فحروب الفقراء فى مرحلة الحرب الباردة"أو الحروب بالوكالة" هو ما أصفه بأنها سفن صغيرة تحاول الوصول إلى غايتها، وسط الأمواج الخطرة للسياسة،أى سياسات الدول الكبرى التى لاترى فى تلك الحروب إلا أداه خاصة بها ولتحقيق مآربها وليس مآرب أطراف الحرب أنفسهم، الذين أصبحوا خارج تعريف كلاوزفتز.

ولكن من أين تأتى الأمواج الخطرة فى بحار السياسة؟ ذلك السؤال هام للجميع بلا تفرقة، سواء كانوا مقاتلين فى ساحات النار والدماء، أومناورين حول طاولات التفاوض ودهاليز المؤتمرات.

فالأمواج السطحية فى السياسة قد تحدثها سفن الحرب.كما قد تسببها وحوش البحر التى تعيش فى عوالمها الغامضة تحت سطح السياسة، الهادئ أو الهائج. ولكنها نادراً ما تسمح لأحد أن يشاهدها لذا لاتخرج إلى السطح إلا نادراً وعندما تأمن عيون الفضوليين.

أخطر تلك الوحوش هو الوحش اليهودى الذى لايكف عن إشعال الحروب فى العالم لتحقيق نبؤات شيطانية ترتدى المسوح الدينى ولتحقيق عوائد تجارية خرافيه الحجم.

ومن تلك الوحوش تجار سلاح وسياسيون ومهربون ومغامرون يبحثون عن كنوز الذهب فى وسط حرائق الحروب، ومآسى البشر المحترقين فى أتونها.

تلك الوحوش تحدث الأمواج المميته فتغرق السفن ثم تقتات على ما بها من جثث ومتاع.

سفن الحرب وما فيها ومن فيها هى غذاء مفضل لدى وحوش الأعماق السياسية. ولكنها وحوش تأكل بعضها بعضاً ولها معاركها الخاصة،التى تظهر آثارها بدون أن تظهر أحداثها.

قد تطفو بعض الجثث أو قطع من الأشلاء أو برك من الدماء الداكنه مع هياج فى أمواج السطح ولايدرى أحد حقيقة ماحدث أويحدث هناك فى الأعماق المظلمة لبحار السياسة.

وهنا ننتقل إلى الواقع لنضرب مثلاً على ذلك العالم السفلى لوحوش الأعماق فى عالم السياسة

التى أبحرت فيها سفن الحرب الأفغانية.
إنه الرئيس ضياء الحق ذلك الوحش فى عالم السياسة السفلى، والذى إبتلعته بعد أن مزقته وحوشاً أقوى منه فى لعبة لاترحم ضعيفا ولاتراعى خلقاً. لعبة"سياسة الأعماق التحتية" التى تشعل الحروب وتبتلع الشعوب، إنها إختصاراً"لعبة الأمم" كما أطلق عليها سادة اللعبة أنفسهم.
****

 لقد دعا ضياء الحق جلال الدين حقانى لمقابلته بعد أن خرج حقانى جريحاً إلى أرض باكستان، فلماذا طلب مقابلته؟ لم يكن لدى حقانى أى جديد يستحق أن يعلمه رئيس دولة باكستان. فالقصة كلها معلومة لديه حتى من قبل أن تبدأ، بل أن ضياء بحكم موقعه لابد أن يكون قد وافق على العملية وأصدر أوامره بتنفيذها. أى أنه أصدر أوامره بتسهيل مرور القوات السوفيتية إلى خوست عبر طريق زدران، بما قد يتضمنه ذلك من إحتمال القضاء على حقانى وعشرات من رجاله.
هل كان ضياء يشعر بتأنيب الضمير؟ هذا مستحيل، فالذى يعرف كلمه "ضمير"لايصلح لدخول ذلك العالم السفلى.
ولكن الأرجح هو أن ضياء شعر أنه فى الطريق لأن يكون ضحية لتلك اللعبة الشيطانية، فأراد أن يرى عملياً، فى شخص حقانى ، كيف تشعر الضحية وكيف تتصرف. والأهم كيف نجت من مصير محتوم ومؤامرة محكمة؟.
وعموماً فعندما خرج حقانى من المعركة كانت الفترة المتبقية من حياة ضياء الحق أقل من تسعة أشهر، بعدها تم قتله بأوامر من نفس الجهات التى رتبت هزيمة طريق زدران.
لم يكن ضياء الحق راضياً عن عملية طريق زدران ولكنه أضطرإلى إصدار أوامره بتنفيذها، وذلك تحت ضغط حلفائه الأمريكان.
فمنذ عدة سنوات تعود ضياء الحق على إبتلاع الزجاج والمسامير تحت الضغوط الأمريكية.
أرغموه فى البداية على قبول "الديمقراطية" بمفهومها الأمريكى، وإعادة إبنة غريمه "بوتو" تحت حمايتهم المباشرة كى تقود معظم الأحزاب ـ والتى تمولها المخابرات الأمريكية، من أجل "إستعادة الديمقراطية". ضياء كان يدرك مثل الأخرين أن "بى نظير بوتو" هى القيادة القادمة لباكستان، وأن أيامه فى الحكم باتت معدودة وربما أيام حياته نفسها لأن أبنة بوتو تنادى بالثأر لدم أبيها الذى أعدمه ضياء الحق.
 ثم أرغمت أمريكا الرئيس ضياء على إستبعاد صديقه الحميم ومسمار حكمه الرئيسى، ومدير مخابراته الحديثه الفعاله، الجنرال أختر عبدالرحمن، لقد كان عملاً قريباً من إرغام الرئيس نفسه على الإستقالة.
 وفى عهد مدير المخابرات الجديد "حميد جول" والذى من المفروض أنه من الموالين للرئيس، تم تنفيذ أكبر عمليه تواطؤ "حتى وقتها" بتدبير عمليه مرور الجيش السوفيتى إلى خوست وضمان سلامته.
وأظنها كانت العملية الأولى من نوعها فى الحرب الأفغانية التى تفرض فيها أمريكا الهزيمة على المجاهدين، وتتدخل لمصلحة السوفييت، عدوها الأول فى العالم !!.
منذ معركة طريق زدران بدأت مرحلة جديدة فى الحرب الأفغانية وهى مرحلة فرض الهزيمة على المجاهدين، وإرغامهم على تجرعها.
فمن إبتلعها طواعية فقد يفوز بجائزة أمريكية، ومن يرفض تجرعها فمصيره القتل،إمافى ميدان

المعركة إذا كان سعيداً، أو خارج أرض المعركة، وغالباً على أرض باكستان التى بدأ يتضح دورها الحقيقى، كمقبرة للجهاد وللشعب الأفغانى ومستقبله.
حاول ضياء إبتزاز الولايات المتحدة والحصول على جزء من الكعكه الأفغانية أكثر مما تسمح أمريكا له. فكان لابد من تأديبه، ودفعه تدريجياً خارج الملعب، لأن ظروف اللعبه الدولية فى أفغانستان كانت لاتسمح بإزاحة سريعة للرئيس الطموح.
منذ عام 1986م حرص الرئيس الأمريكى ريجان على ربط المقاومة الأفغانية به شخصياً على الأقل فى مجال الدعاية العالمية. وبعد تهديد وضغط وافقت له باكستان، فتمت المقابلة بين ريجان وبرهان الدين ربانى فى ذلك العام، وفى العام التالى قابل ريجان مولوى يونس خالص. وفى المناسبتين كان الزعماء الأفغان يحضرون جلسات الأمم المتحدة ويزورون الرئيس الأمريكى. والمغزى الأجمالى سياسياً واضح، وهى أن أمريكا تتبنى الزعماء الأفغان "المجاهدين". وقضيتهم فى المجال الدولى.
وفى نفس الشهر الذى بدأت فيه معركة طريق زدران، أى فى ديسمبر 1987 كان لقاء القمة بين ريجان وجورباتشوف. وليس من الخطأ أن نستنتج أنه على قمة الموضوعات المطروحة، كانت إتفاقية بشأن أفغانستان، والتى تم توقيعها بعد أربعة أشهر تقريباً من الإجتماع المذكور وكذلك التغطية العسكرية لذلك التوقيع، أى معركة طريق زدران.
والذى يؤكد أن معركة زدران تم بحثها فى مؤتمر القمة بين "العملاقين"، ليس فقط إرتباطها الوثيق بتوقيع إتفاق جنيف حول أفغانستان، ولكن لأن مبعوثاً للأمم المتحدة قد قام فى يناير بزيارة مواقع القتال بين "الحكومة والمعارضة" فى منطقة خوست وهو تصرف لم أجد له مثيلاً من جانب الأمم المتحدة، طوال تلك الحرب!!.بما يؤكد أن "العملاقين" قد عقدا إتفاقاً أو صفقه حول تلك المعركة برعاية وسيط محايد هو الأمم المتحدة !!.
أما وكيل الخارجية الأمريكية "أرماكوست" فقد زار إسلام آباد أثناء نفس الفترة ـ أوائل يناير ـ كى يؤكد للحكومة الباكستانية وقادة الأحزاب الأفغانية، ضرورةإحترام الإتفاق "المؤامرة" وترك القوات السوفيتية تنعم بإنتصارها فى خوست فى سلام إلى أن تنسحب من هناك بعد أيام.
وبنفس الطريقة ضمنت أمريكا سلامة قوات الجيش الأحمر عند إنسحابها من أفغانستان ، وبحيث لايقوم أحد بمهاجمتها أثناء الانسحاب. وقد وصل الضغط الأمريكى عبر حكومة باكستان وقادة بشاور إلى جميع قادة"المجاهدين" فى داخل أفغانستان، خاصة أولئك الذين يمر فى مناطقهم طرق الإنسحاب الرئيسية من كابل وحتى الحدود السوفيتية، عبر ممر سالانج الإستراتيجى الذى لايمكن لأى جيش فى العالم أن يمنع الكمائن عليه.
وهكذا إنسحب الجيش الأحمر سالماً وضاعت فرصة أخرى ثمينة لتدمير ذلك الجيش السوفيتى فى أحرج لحظات ضعفه وهو منسحب فوق ممرات وعرة وخطيرة.
لقد ضمنت أمريكا للجيش الأحمر إنتصاراً مسروقاً فى باكتيا، ثم أنسحاباً آمناً ومشرفاً عبر " سالانج"، ثم إستدارت بعد ذلك كى تتفرغ بشكل كامل لمنع المجاهدين الأفغان من الإنتصار ولفرض الهزيمة عليهم، ثم إستبعاد باقى شركائها فى حصة توزيع الغنائم، وإستحوازها لوحدها على النصر الأفغانى كاملاً،ثم طرد ومطاردة وأستئصال المجاهدين العرب بعد أن أدوا "فريضتهم الغائبة"، بل قبل أن يستفيقوا من غيبوبتهم ويفقهوا شيئا عن حقائق الحياة.

الإعلام الدولى فى معركة طريق زدران

ليس من الجديد التأكيد على حقيقة أن الأعلام الدولى وكما هو حال الإقتصاد الدولى هو مجال سيطرة شبه كامله لليهود.

وليس من الجديد أيضاً التأكيد على أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست سوى مزرعة يهودية، ومن خلال تلك المزرعة تتحقق لليهود سيطرة دولية سياسياً وعسكرياً.

وهكذا إكتملت الأنشوطة اليهودية حول رقبة الجنس البشرى فى حلقات بعضها فوق بعض وهى بالترتيب حسب الأهمية: الإنشوطة الأقتصادية، فالأنشطة الإعلامية، فالأنشوطة السياسية فالأنشوطة العسكرية.

وكان الأقتصاد أول الحلقات إكتمالاً وأقدمها، وكانت أوروبا أول الضحايا ثم تلتها أمريكا، ومن خلالها صارت السيطرة اليهودية عالمية وشبه مطلقة. وبالسيطرة على الإقتصاد، خاصة المال والتجارة الدوليين، أصبحت السيطرة السياسية أمرا تلقائياً بل منطقياً.

ومع التقدم التكنولوجى وظهور الإمكانية الخارقة للإعلام الالكترونى وقدرته على تشويه العقول والضمائر والفكر الإنسانى، لم يهدر اليهود وقتاً فى السيطرة السريعة والمباشرة على أهم مفاصله وفاعلياته إن لم يكن عليها جميعاً.

وأصبح الإعلام هو السلاح اليهودى الثانى من حيث الأهمية بعد الأقتصاد، وتأخرت السياسة إلى المركز الثالث ثم القوة العسكرية إلى المرتبة الرابعة، وبحيث لاتكاد تستخدم في حقيقة الأمر إلا بعد عجز الأسلحة الثلاثة الأولى فى تحقيق الغاية اليهودية فى منطقة ما أو إزاء خصم ما. وفى الزمن الحديث أصبحت الجيوش المملوكة لأجهزة القمع "الأمن" الأكثر إستخداماً ضد المسلمين فى داخل بلدان "الردة الإسلامية" أما جيوش الكفر العالمية وخاصة أمريكاثم أوروبا بدرجة أقل،فهى بصدد بحث تحويل جيوشها التقليدية الى قوى بوليسية ضخمة لمواجهةالمسلمين فى الداخل والخارج وعلى نطاق العالم، وطبقاً للمواجهات المحتمل أن يلجأ إليها المسلمون بإتباع أساليب حرب الفقراء " أو حرب العصابات" أو تكتيكات حرب المدن ، أوالحروب الأرهابية كما يطلق عيها الغرب *(***هنا أيضا نبوءه مبكرة بالحرب العالمية ضد ما أسمته أمريكا بالإرهاب الإسلامى التى بدأت بالإحتلال الأمريكى لأفغانستان عام 2001 ثم العراق عام 2003***) .

هذه مقدمه سريعة لوضع الأعلام فى منظومه القوى اليهودية للسيطرة على الجنس البشرى.

ونستكملها ـ كنوع من التوضيح العملى والواقعى، بنبذه عن " الإرهاب الإعلامى" كما أطلق عليه البعض ونورد هذه الفقرة من كتاب أمراء الإرهاب فى الشرق الأوسط **تأليف نبيل هادى الطبعة الأولى 1985. دار الفارابى بيروت :**

(يستفاد من آراء كبار المحللين الأمريكان وكتابات الصحف فى أمريكا والعالم، ومنها صحف ومجلات عربية تابعت الحملة الإنتخابية الأمريكية لعام **1984**، أن أكبر الفائزين فى عمليةالأقتراع إثنان: التلفزيون وآلة الحرب النفسية والإرهاب الجماعى الشامل.

أكثر من ستين بالمئة من مجموع النفقات الإنتخابية لكلا الحزبين المتناسقين خصصت للإعلانات التلفزيونية وما يرتبط بها، وفى وسعنا القول بأن فوز ريجان يشكل ثانى "إنتصار تاريخى" للشاشة الصغيرة فى العالم، وبإعتبار أن زيارة أنور السادات للقدس المحتلة كانت أول تجربة من نوعها فى الهيمنه النفسية على الجمهور بواسطة الكاميرا، فيما يمكن تسميته

بالإرهاب السيكولوجى بواسطة أجهزة الإعلام الجماهيرية.
ويمكن إعطاء مثال آخر يتعلق بتحضيرات الإجتياح الإسرائيلى للبنان عام1982 عندما حرصت الأجهزة الإسرائيلية الأمريكية خلال أسابيع كاملة على إطلاق سلسلة من المؤثرات السمعية والبصرية على الرأى العام العالمى لتحضيرالنفوس لتقبل الغزو المعدة خيوطه سلفاً فى الدوائر المعنية. وكان قد ساهم فى ذلك مسؤولون أمريكيون كبار، وقياديون فى المعارضة الإسرائيلية، حزب العمل، وقيادة القوات اللبنانية بشخص "بشير الجميل" وبعض المقربين له. كما كشف فيما بعد على صفحات عدة كتب إسرائيلية. كما أن جيش الإجتياح الإسرائيلى إصطحب معه عدداً كبيراً من الصحافيين وممثلين لمؤسسات تلفزيونية وإذاعية،وإنطلاقا من قناعة بأن المطلوب ليس تحقيق ضربة عسكرية معينة أو إجتياح عسكرى فحسب، بل المطلوب أيضاً إحداث الوقع النفسى "الصاعق" فى نفوس اللبنانيين والفلسطينيين والعرب حتى يخضعوا مسبقاً لشروط آلة التدمير والغزو الإسرائيلية، وفى نفوس المجتمع الدولى الذى كانت إسرائيل تأمل أن "تبهره"بهذه العملية "الإنقاذية" الضخمة لبقعة من العالم أصبحت "بؤرة للإرهاب" الفلسطينى والعربى والسوفياتى!!.
إنه الأسلوب نفسه الذى إستخدمه إلى حد بعيد قادة الغزو البريطانى لجزيرة المالوين فى القطب الجنوبى، وقادة الغزو الأمريكى لجزيرة جرينادا فى أمريكا الوسطى. كما إستخدمته إدارة ريجان بالذات وبأساليب مدهشة فى تنوعها وشموليتها عندما كانت تعد لغزو لبنان دعماً للإحتلال الإسرائيلى وسعياً لتحويل لبنان إلى "قلعة أطلسية" وإلى الأبد، على حد تعبير أحد كبار إصدقاء أمريكا عندنا.
 والذى حصل هو أنه فور حصول محاولة إغتيال الرئيس ريجان فى**أذار مارس/1981** بادر "ديفر" إلى الدعوة لإجتماع عاجل لكبار الإستراتيجيين المرتبطين مباشرة بالرئيس. النقطة الوحيدة فى جدول الأعمال كانت التالية: كيف يثير محاولة الإغتيال لكسب شعبية ضخمة للرئيس المرشح لاحقاً ؟.
فى ذلك الإجتماع الذى إستمر لساعات وأعقبته إتصالات ومشاورات مكثفة وإستنفار لم تشهده أجهزة الحكم والحزب الجمهورى من قبل، وأعلن مدير الأتصالات فى البيت الأبيض "ديفيد جريجين" وبالحرف: يجب تسويق الرأسمال الجديد المتمثل فى محاولة الإغتيال هذه، ووصف هذه العملية بأنها "حياة جديدة" وقال أنها أعادت إليه شخصياً ثقته بنفسه وبالقدرة على جعل الجمهور يثق بالرئيس). (إ هـ).

لعل هذه النماذج التطبيقية السريعة تعطينا فكرة عن أهمية وخطورة الإعلام الالكترونى كسلاح نفسى لتنفيذ المخططات اليهودية ضد البشرية. واضعين فى الإعتبار أن تلك النماذج أصبحت تمثل مرحة قليلة التطور بالنسبة للإعلام الالكترونى الذى تطور كثيراً من ناحية التكنولوجيا المستخدمة وسعه الإنتشار وتنوع الأساليب فالإعلام أصبح السلاح الأول الذى يمهد الطريق، بل العقول والنفسيات لتقبل أو الإستسلام للهجمات السياسية والعسكرية.
حتى أصبح يقال الآن وبحق أن الحروب تشنها وتبدؤها أجهزة الأعلام. والمقصود بالحروب ليست الحروب النفسية فقط بل الحروب الساخنة أيضاً .
 كانت معركة زدران أول بداية واضحة لمجهود أمريكى سوفيتى مشترك ضد المسلمين

الأفغان فى المجالات الإعلامية والعسكرية والسياسية وقد تم ذلك التعاون وإستمر حتى الآن ضد المسلمين عامة ،الأفغان والعرب الذين قاتلوا معهم، وسوف نعدد بدون تفصيل بعض السمات العامة لذلك التعاون . ومن المفيد النظر مرة أخرى متأملين فى ذلك الإنقلاب فى الموقف الأمريكى إزاء المجاهدين الأفغان والمتطوعين العرب، بل وكل الذين ساندوا الجهاد فى أفغانستان حتى أشخاص المتبرعين فى منطقة الخليج والولايات المتحدة نفسها .

فنقول: إن آخر ماكانت تتصوره الولايات المتحدة هو أن تؤدى حرب أفغانستان إلى هزيمة سوفيتية شاملة وإنهيار كامل على أيدى شعب متخلف وفقير تقوده مجموعات سياسية وأحزاب قد أحكم الأمريكان سيطرتهم عليها. ويساعد الأفغان مجموعات من المتطوعين العرب صغار السن قليلوا التجربة، لايقلون سذاجة وفوضى عن حلفائهم الأفغان، كما أن السيطرة على حركتهم شبه كاملة ولايخشى من إنفلاتها فى المكان أو الزمان.

كانت أمريكا تتصور فى حرب أفغانستان فرصة مواتية لتأديب السوفييت وإستنزافهم ومايؤدى اليه ذلك فى زيادة حصة أمريكا فى ثروات العالم والسيطرة على شئونه على حساب حصة الشريك المنافس أى السوفييت.وما كانت تتصور أو تريد زوال القوة السوفيتية لأن ذلك سوف يربك اللعبة كلها، والتى تقوم على أساس إقتسام العالم بينهما . وقد سبق للسوفييت تأديب أمريكا فى فيتنام، ومن المناسب أن يرد الأمريكان الصاع، صاعين فى أفغانستان على أيدى المسلمين وبدماء أبنائهم المجاهدين.

ترنح السوفييت فى أفغانستان، أسعد أمريكا فى البداية، ظنا منها أنه ترنح الإعياء، ولما تبين لها أنه ترنح الموت وسكراته أصابها الفزع، وهبت لنجدة منافسها السوفيتى الذى ترى فيه، وذلك حقيقة، جزءاً لايتجزأ، من حضارة الغرب الذى تمثل أمريكا قيادته الفعلية. وهذا يجعل السقوط السوفيتى هو سقوط أمريكى فى نفس الوقت وبنفس الدرجة.

ولم أر من المسلمين حتى الآن من أدرك حقيقة ماحدث فى أفغانستان. لقد سقطت حضارة الغرب فعلياً. وفى ظنى أنه لم يتبقى سوى ثوان قليلة على الإنهيار الكبير والساحق، وبالطبع فإن الثوانى فى أعمار الدول تختلف عنها فى أعمار أمثالنا من البشر.

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

تزاحم مراسلوا وكالات الأنباء العالمية والصحف الكبرى فى إسلام آباد ليتابعوا أحداث "معركة خوست"، كما أطلقوا عليها. فكانت واحدة من أكبر "الموالد" الصحفية الدولية، والتى شهدتها العاصمة الباكستانية مرات عديدة فى مدة الحرب الأفغانية وكان من أبرز سمات ذلك "المولد"الدولى مايلى:

1 ـ لم يتواجد أى مراسل أجنبى فى منطقة القتال،أو حتى منطقة الحدود القريبة من الأحداث، ولم يقتربوا منها حتى لمجرد التطفل.

وذلك يدعو إلى الظن بأن حركة هؤلاء "الشجعان" الذين يجوبون أصقاع الأرض إنما هى حركة محكومة وموجهة، وهذا ما أميل إليه.

الإحتمال الآخر هو أن المخابرات الأمريكية ومنظمات "المجاهدين" وكذلك حكومة "جينيجو" فى باكستان لم تسمح بتحرك فرسان الإعلام الدولى إلى مناطق القتال أو قريباً منها حتى لاتتسرب الرائحة العفنة للطبخة الدولية فى "طريق زدران"، وهذا إحتمال آخر له وجاهته.

كانت المصادر الخبرية للمراسلين الأجانب فى إسلام آباد ثلاثة مصادر وترتيبها حسب

الأهمية هو:
أ- مصادر المخابرات الأمريكية العاملة تحت غطاء المكتب الثقافى الأمريكى، والتى يرمز إليها فى الأخبار بأنها " مصادر، دبلوماسية غربية" وهؤلاء يبثون المادة الخبرية المتوافقه مع المصالح الأمريكية والأهداف المتواخاه من الحملة الإعلامية والنفسية المرافقة للنشاط العسكرى الدائر فى أفغانستان.
ب - مصادر أحزاب المجاهدين، والتى إجتهدت فى حملة زدران فى تحقيق عدة أهداف هى:
 التوافق مع الحملة النفسية والسياسية للولايات المتحدة.
 تغطية خيانتها فى معركة طريق زدران بواسطة التهويل والكذب والعنتريات والتعتيم على حقيقة مايجرى.
 ثم إستغلال الإهتمام الدولى فى الدعاية لزعماء التنظيمات وقد أدلى معظمهم بتصريحات عسكرية وسياسية وبيانات. وجميع ما أدلوا به آنذاك لايمت بصله لما يحدث على أرض المعركة. وكان هدفه فقط الدعاية الشخصية والحزبية وإثبات الحضور على الساحة الدولية، إلى جانب الطبيعة الإستعراضية التى تميز أكثر الأفغان.
ج - مصادر الحكومة الباكستانية. وهى الأقل أهمية آنذاك لعدة أسباب أهمها ضعف حكومة "جينجو"، ثم الميل التقليدى فى باكستان ولدى المسئولين الحكوميين فيها إلتزام الحذر الزائد وعدم إغضاب السوفييت، مع الإلتزام بالأوامر الامريكية.
وأضيفت وقتها ورقه المعارضة "جبهة إستعادة الديمقراطية" التى ترأسها "بينظير بوتو" التى تتمتع بحماية أمريكية مكثفة.وكانت عدائية وهجومية إلى حد كبير بحيث طغت شخصيتها على الشخصية المهزوزة لرئيس الوزراء جينيجو وحكومته التافهة.وكانت المعارضة لاتخفى عداءها للمجاهدين الأفغان ودعوتها لأنهاء المشكلة الأفغانية لغير صالح المسلمين. وقد حازت بوتو فى ذلك رضاء الكتلتين الأعظم.
أما الرئيس ضياء الحق فكما ذكرنا فإنه فكان يبلع السكاكين الأمريكية واحداً بعد الآخر، وقد إبتلع بعد معركة زدران سكينين آخرين، الأول بتفجير مستودع الذخائر فى روالبندى والثانى توقيع أتفاق جنيف، كما سيرد ذكره ذاك.
وأخيراً.. تم تفجير الرئيس نفسه فى طائرته بتعاون أمريكى سوفيتى فى أغسطس من نفس العام 1988.

2- تميزت الأخبار والتقارير بإنعدام الدقة، وشمل ذلك أسماء المواقع، والأرقام بشكل عام وأينما ذكرت. وكذلك الحقائق أو توضيح الأمور، بل كان الكذب والتضليل مقصوداً فى حد ذاته لتغطية المؤامرة الدولية بشأن أفغانستان، والتى كانت المعركة الدائرة على طريق زدران مجرد مقدمة ساخنه لها.

3- "التهويل" كان من السمات البارزة فى الحملة الإعلامية الدولية والتى شارك فيها لأول مرة الإعلام السوفيتى.
ومن أجل التهويل لابد من الكذب وإهمال الدقة حتى فى ذكر المواقع الجغرافية والمسافات

وأسماء الأماكن والأشخاص.

4 ـ تضخيم دورأمريكا المساند "المجاهدين". وكان ذلك ديدن الإعلام السوفيتى سابقاً، ولكن منذ تلك المعركة إضحت المسألة محل تعاون و"إلحاح" إعلامى فى الغرب والشرق بهدف تهميش دور المجاهدين والنيل من سمعتهم، ثم إستبعاد دورهم السياسى. ونقصد بالمجاهدين هنا، المجاهدين الحقيقيين فى جبهات القتال، وليست أحزاب النفاق فى بشاور التى إغتصبت إسم الجهاد وأساءت إليه.
ودور أمريكا الموهوم فى هذه المعركه كان دوراً قتالياً بواسطة"خبراء". وهو الشئ الذى لم يحدث مطلقاً فى الحرب الأفغانية كلها(مع إستثناء واحد هو عملية "القمة الجليدية"التى إدعى الأمريكان أنهم أشرفوا على تنفيذها بواسطة جنرال أفغانى، وهو "رحيم وردك" من جماعة جيلانى).
وقد أوضحنا سابقاً قصة الخبراء الأمريكيين، والخبير "عثمان الصعيدى" الذى أصبح قصة عالمية بدأتها هيئة الأذاعة البريطانية وتلقفتها وكالة تاس السوفيتية، وتبناها نائب وزير الخارجية السوفيتيه ثم نفتها أمريكا نفياً أقرب إلى الإثبات، وهو نفس مافعلته بعد ذلك فى الإتهامات المماثلة التى توالت من كابول وموسكو وكانت إتهامات تفرح أمريكا ولاتغضبها، لذا كانت تؤكدها بصيغة النفى التى هى أقوى من الإثبات نفسه.

5 ـ رغم طول مدة التغطية الإعلامية وكثافتها إلا إن حقيقة ماجرى فى هذه المعركة لم يتم توضيحيه ولو بشكل تقريبى، وإسم جلال الدين حقانى لم يذكر سوى مرة واحدة بشكل عابر. والأخطاء الناتجة عن الإهمال وعدم الرغبة فى التأكد تجعل من يتابع تلك التغطية، فى الوقت التى حدثت فيه، أو فيما بعد بهدف البحث التاريخى مثلاً، تجعل المتابع يعيش أحداثاً وهمية فى مناطق خرافية.
 ولكن بعض شذرات الحقيقة تناثرت فى لحظات شاذة جداً.أذكر أنها مرتين فقط، حسب متابعتى لما تم نشرة ، وهما:
المرة الأولى فى مجلة " نيويورك تايمز الأمريكية" على لسان مسئول فى الإدارة الأمريكية " لم تصرح عن أسمه" والذى قال عن تلك المعركة: (إن ما يسعى السوفيات لتحقيقه هو المكاسب السياسية وليس العسكرية، وهم يريدون أن يؤكدوا أنهم مازالت لديهم القوة النارية التى تمكنهم من الوصول إلى أى مكان يريدون. وعلى هذا الأساس فإن فك الحصار على خوست وإيصال التموين إليها سيفسح المجال أمامهم وأمام حلفائهم لدخول المفاوضات وهم أكثر ثقة.
وقال هذا المسئول أيضاً أن القوات السوفيتية والأفغانية قد تستخدم خوست كقاعدة للقيام بعمليات عسكرية ضد القواعد المجاورة التى يستخدمها الثوار. إلا أنه قال أن هذا لن يشكل أى تغيير أساسى فى سياسة موسكو، لأن السوفييت لايوهمون أنفسهم بأنهم قادرون على تحقيق النصر. وقال أيضاً أنهم يعون تماماً الأهمية العسكرية لمثل هذا النصر، وأعرب عن إعتقاده بأن الثوار سيستعيدون سيطرتهم فى القريب على الطريق التى تصل مابين جارديز التى عليها الحكومة ومدينة خوست وهى طريق يبلغ طولها 120كيلومتراً) .
"جريدة البيان ـ دبى ـ 14 يناير 1988".
جاء ذلك التصريح وكانت المعركة قد أنتهت فعلاً منذ أسبوعين تقريباً. وهو يلخص بشكل دقيق

أبعاد المعركة وأهدافها.
وذلك الناطق الحكومى الذى لم يذكر أسمه هو مسئول فى المخابرات الأمريكية كما تعودنا فى مثل تلك الحالات، ونلاحظ تطابق تلك الرؤية مع ماجاء به الزملاء من السعودية فى بداية المعركة كما ذكرنا فى حينه، ويطابق أيضاً ماذكره لى ضابط الإستخبارات الباكستانية أثناء التحقيق معى على الحدود فى أول يناير 1988.
وتلك الحجة المدهشة التى أوردها المسئول الأمريكى بأن إنتصار السوفييت فى خوست.سيفسح المجال أمامهم، وأمام حلفائهم لدخول المفاوضات وهم أكثر ثقة، هى نفسها وبلا أدنى تغيير ـ الحجة التى ساقتها بلادهم لبرير مساعدة إسرائيل لتصبح قوه عظمى عسكرياً بالمستوى العالمى وليس الأقليمى فقط، بحجة أن ذلك يشجعها على دخول مفاوضات سلام مع جيرانها العرب وهى أكثر ثقة.
إن أمريكا ترى دوما أن أعداء المسلمين الذى تسلطوا عليهم وإغتصبوا بلادهم وديارهم، إنما يحتاجون دوماً إلى مزيد من القوة والعدوان والتوسع حتى يستطيعوا مفاوضة المسلمين، أو حتى مفاوضة بعضهم بعضاً، وهم أكثر ثقه !!.
والملفت للنظر أن المسئول نفسه توقع أن يقوم السوفييت بتطهير المواقع حول خوست من المجاهدين. وقد تكررت تلك النبوءه على لسان مسئولين آخرين، وكأن ذلك البند كان ضمن الإتفاق السرى مع السوفييت فى تلك المعركة المؤامرة.
وقد كان ذلك منطقياً حتى يصبح النصر العسكرى مكتملاً ، فبدون تطهير المواقع العسكرية للمجاهدين حول المدينة، فكأن شيئاً لم يحدث سوى أيصال شحنات من الأرز والبطاطس إلى الجنود المحاصرين، الذين سيقعون عاجلا تحت وطأة الحصار والهجمات المستمرة.
وكان الإنسحاب السريع للسوفييت من خوست وطريق زدران وقبل إتمام عملية التطهير عملاً مفاجئاً تسبب فى صدمة لحامية المدينة ومن تبقى معهم من مدنيين، وإنهارت معنوياتهم أكثر من أى وقت مضى.
وقد رأينا فى معركة جاور 1986، كيف أن السوفييت فعلوا نفس الشئ عندما قاتلوا لمدة شهر تقريباحتى يصلوا إلى جاور ولكنهم مكثوا فيها أقل من يومين. وبعدها فاجأ السوفييت الجميع بذلك الإنسحاب السريع بعد تلك الحرب الطويلة المضنية. وهكذا فعلوا أيضاً فى خوست عام 1988 بعد معركة طريق زدران.
 ولكن ألم يفعلوا ذلك أيضاً بالنسبة لحملة أفغانستان كلها؟.لقد حاربوا حرباً باهظة التكاليف أزهقت الأرواح بلاحساب ثم إنسحبوا فجأة قبل أن يحققوا شيئاً يذكر، تاركين تحقيق النتائج لمفاوضات جنيف التى كانت موضع شك حتى من ناحية إمكان التوقيع على بنودها ناهيك عن إمكان تطبيقها مستقبلاً.
إن تلك الملاحظة جديرة بالتأمل والدراسة وإستخلاص النتائج من أجل تعامل إسلامى أفضل مع الروس مستقبلاً. فالمعارك الأهم لم تحدث بعد، فمازالت روسيا تسيطر على كثير من أراضى المسلمين وشعوبهم، وتمتلك حدوداً أبعد بكثير من حدودها التاريخية فى إمارة موسكو الصغيرة.

 المرة الثانية التى أطلت منها الحقيقة على إستحياء، لم يخل من وقاحة تلك المقاله التى نشرتها جريدة الحوادث اللبنانية التى تصدر من لندن. تلك المقالة تخلت عن إسم كاتبها أو بلده، لكن مضمونها يتطابق مع النظرة الأمريكية للوضع الأفغانى والقتال الدائر على طريق

زدران ونتائجه، مما يؤكد أنها أحدى نشرات المخابرات الأمريكية التى يجرى توزيعها على صحف العالم بعد ترجمتها الى مختلف اللغات، وغالبا لاتتم الإشارة الى مصدرها .

" مجله الحوادث/ 15 يناير 1988 ـ ص 29"

عنوان المقال :"البغال وصواريخ ستينجر يتراجعان أمام الدب الروسي.موسكو وواشنطن ترفعان أيديهما عن أفغانستان قبل نهاية العام".

إذن لامكان لدى "الحوادث" للمجاهدين. فقط هناك البغال!! فهل كانت البغال هى التى تطلق صواريخ ستنجر أم أن المجاهدين هم البغال؟ لقد أوحى لى العنوان بالتشبيه الذى أطلقته على التجمع العربى فى أفغانستان، بأنه مجرد تجمع لبغال التحميل. تلك البغال التى حملت الأهداف الأمريكية الثقيلة عبر جبال أفغانستان الوعرة فى ظروف حرب ضارية ضد السوفييت.

وقد أقتضت أصول الرفق بالحيوان أن تطلق أمريكا النار على رؤوس البغال العربية مع نهاية الحرب.

ثم أوضحت "الحوداث" مقصدها بالحديث عن البغال حين قالت، وبالطبع تعبيراً عن النظرة الأمريكية: (الواقع أن السوفييت والأمريكيين على يقيين الآن فى إستحاله أى من الطرفين تسجيل نصر عسكرى حاسم ينهى المشكلة لصالح أحدهما، فجيش السوفيات النظامى لايقوى مهما بلغ جبروته على الإنتصار فى حرب عصابات ضد مجاهدين يتلقون دعماً قوياً ـ قيمته 800 مليون دولار.

وفى الوقت نفسه تدرك واشنطن أنه يستحيل على المجاهدين مهما كانت كمية الدعم المقدمة لهم تسجيل إنتصارات ترغم السوفيات على الإنسحاب من أفغانستان، كما حدث للأمريكيين فى فيتنام، وقت أعطت أمريكا للمجاهدين كل شئ من البغال القادرة على إجتياز المناطق الوعرة، أرسل مئات منها من ولاية تنيسى إلى باكستان حيث سلمت للمجاهدين ، إلى صواريخ ستينجر فى محاولة لكسر التفوق الجوى الروسى،وفشل هذا الدعم حتى فى الإبقاء على حصار خوست حيث ركز المجاهدون معظم قوتهم لتسجيل نصر بإجبار حامية المدينة على الإستسلام).

وفى نهاية مقالها تشكك "الحوادث" فى قدرة المجاهدين على الإستمرار فى القتال "لأكثر من بضعة أشهر" فى حالة ما إذا توقف سيل السلاح الأمريكى وتحول الدعم إلى أغذية ومعونات طبية .

آخر فقرة نقتبسها من ذلك المقال هى المقدمة التى تقول فيها :(لم تكن مصادفة أن يصل وزير الخارجية السوفيتى" إدوارد شيفر نادزه" إلى كابل فى الوقت الذى كان مساعد وزير الخارجية الأمريكى مايكل أرماكوست يتفاوض مع زعماء المجاهدين الأفغان فى باكستان. فبعد أن سجل السوفيات إنتصارهم العسكرى بفك الحصار الذى فرضه المجاهدون حول مدينة خوست أصبح خروجهم من أفغانستان لايشكل إنسحاباً من معركة ثبت إستحالة إنتصارهم فيها، وأصبح فى إمكانية موسكو إن تعمل على تنفيذ ما قاله الزعيم ميخائيل جورباتشوف، فى واشنطن الشهر الماضى، عن إستعداد السوفييت للإنسحاب خلال عام واحد).

تلك المقدمة هى الجوهر الحقيقى للمعركة كلها، أى فبركة إنتصار موهوم للسوفييت، لتغطية فشلهم وهزيمتهم العسكرية فى أفغانستان،تمهيداً لكبح جماح المنتصرين ، أى المسلمين الأفغان وفرض الهزيمة السياسة عليهم. بل تطور الأمر إلى حرب شاملة ضد الدين الإسلامى يقودها اليهود وتتقدمها أمريكا ومن خلفها أوروبا الصليبية.

ومن بعد تلك المعركة بدأت أمريكا تستعد بسرعة متزايدة كى تتبوأ مركزاً متفرداً فى

سيادة العالم ، وإن كان سقوط الإتحاد السوفيتى كان حتى ذلك الوقت أمراً غير متوقع.
ودعائياً ضخمت أمريكا فى قيمة دورها فى أفغانستان وحجم مساعداتهم العسكرية وشبه العسكرية ، مثل البغال ، مع تحقير دور المجاهدين أنفسهم حتى يتخيل المتلقى أو المستمع أنه لايمكن مقارنه دور المجاهدين الأفغان التافه مع البغل الأمريكى العظيم الذى حل مشاكل اللوجستيك فى أفغانستان .

 رغم هذا التهويل الإعلامى الدولي حول دور البغال الأمريكية إلا أن تلك البغال لم تصل إلا متأخراً جداً وبكميات محدودة، وأول إشارة إعلامية وردت عنها كانت بتاريخ "87/10/12 أى قبل شهرين فقط من معركة زدران. وقد وردت الإشارة فى الصفحة الأول من جريدة "المسلم" الباكستانية التى قالت بأن عدداً كبيراً من البغال الأمريكية سوف يتسلمه المجاهدين الأفغان طبقاً لبرنامج المعونه الإنسانية الأمريكية لنقل المواد الغذائية إلى داخل أفغانستان.
وقالت أن أول دفعة من تلك البغال قد نقل جواً إلى إسلام آباد وأنها نقلت إلى مكان قريب من بشاور، ونسبت خبرها إلى مصادر محايدة، عنوان تصدير الشحنة كان "فورت نوكس ـ ولاية تنسى ـ الولايات المتحدة".
وقالت أن تنسى شهيرة بمناجم الذهب وليس بإنتاج البغال. وذكرت الصحيفة أن تقارير سابقة كانت قد ذكرت أن البغال سوف يكون مصدرها ولاية تكساس.وأن رجل الكونجرس الأمريكى "ولسون هيلى" من تكساس ،هو محرك تلك الصفقة بمساعدة السيناتور "همفرى" الذى يعد من أهم و أشد مساندى المجاهدين الأفغان، وقد زار باكستان العام الماضى وقابل مسئولين كبار.
وفى نهاية الخبر قالت الصحيفة :(إنه من المبكر لأوانه أن نعلم مدى ملائمه البغال الأمريكية للجبال الأفغانية). وسبق أن ذكرنا أنها قد فشلت بجدارة، وفشل معظمها فى قطع البلاد من الجنوب إلى الشمال، وهلكتَ فى الطريق، وبعضها إنتحر بأن ألقى نفسه مع حمولته من فوق الجبل، متخلصاً بذلك من الورطة التى دفعته إليها حكومتة.

 نشير هنا إلى أن أمريكا، كما قال محمد يوسف فى كتابه فخ الدب ، كانت تصر على إستخدام إستخدام أسطولها الجوى فى نقل المساعدات القادمة للمجاهدين الأفغان، وأنها إستهلكت بذلك مقداراً ضخماً من المخصصات المالية وتقاضت أجور نقل مبالغا فيها للغاية.
ولاشك لدينا فى أن أجرة نقل البغل الأمريكى كانت أعلى من ثمن البغل نفسه، وأنه كان يمكن الإستعاضة عن ذلك بالشراء من السوق المحلى فى باكستان.

 والجانب الآخر هو محاولة كبار رجال الدولة فى الولايات المتحدة لإقتناص تلك الفرص أى الأزمات الدولية فى ترويج بضائعهم وتكديس ثرواتهم. سواء كان مجال نشاطهم صناعياً ،مثل صناعة التسليح والمعدات بأنواعها، أو زراعياً ،مثل إنتاج الحبوب أو حتى البغال أو مالياً مثل أصحاب البنوك الربوية. ومعلوم أن دور الحروب يعتبر حيوياً للغاية فى تنشيط الدورة الإقتصادية فى النظام الرأسمالى والخروج به من الأزمات.
نائب آخر من تكساس هو شارلز ولسون آخبر صحيفة "واشنطن بوست" قائلا:
(أنه مع سقوط الجليد هذا العام "1987" سوف تصل معدات عسكرية جديدة للمجاهدين منها هاون 120مليمتر، ومعدات فتح ثغرات فى الألغام "الأفعى المتفجرة" وقالت المصحيفة أن أمريكا مازالت تفكر فيما إذا كانت سترسل هاونات أسبانية أم إسرائيلية).
صحيفة المسلم {1987/9/22 }

 نقول هنا أن الإعتبارات السياسية وترضيات أمريكا لحلفائها هى العامل الأول وراء تلك

الصفقات وليست الإعتبارات العسكرية أو إحتياجات المجاهدين. ومعظم ما تم شراؤه لم يكن نافعاً أو أنه كان ضاراً جداً خاصة الذخائر المفخخة التى إنهالت على المجاهدين قبل وبعد الإنسحاب السوفيتى وكان مصدرها أمريكا وحلفاؤها.
ناهيك عن دور ستنجر الذى أبطل فعالية سلاح الطيران السوفيتى الرهيب!!.
أى أن الأفغان ،التنابلة ، كسبوا الحرب على البارد، فالمعونات الأمريكية هى التى كسبت الحرب ضد السوفييت !!.
إلى هذه الدرجة ، وأكثر ، يريد الإرهاب الإعلامى اليهودى أن يستغفل المسلمين خاصة، والعالم كله بشكل عام.
 لقد أعطت أمريكا للمجاهدين كل شيء!! هكذا تقول المجلة، وقالت أن الدعم الأمريكى بلغ 800 مليون دولار، وأن معارك المجاهدين لايمكن أن تستمر عدة أشهر إذا توقف الدعم!!.
ذلك القول كذب واضح، لأن قتال المجاهدين قد إستمر ضد السوفييت، ثم ضد نظام كابل المدعوم سوفيتياً بمعونات عسكرية قيمتها 4مليار دولار سنوياً، ورغم توقف المعونات الأمريكية للمجاهدين بعد عام 1988، إلا أن جهاد الأفغان أستمر حتى إبريل 1992 حين سقط نظام كابل عسكرياً وفشلت كل مجهودات أمريكا والأمم المتحدة. والأنظمة العربية، والسوفييت وباكستان و"الإخوان المسلمون"، فى إنقاذ النظام الشيوعى من الإنهيار.
 مرة ثالثه ظهرت فيها الحقيقة بتلخيص شديد، وكنت قد سربت وقائع ماحدث إلى "زميل صحفى" يعمل فى إسلام آباد، وهو عربى يعمل مراسلاً لجريدة "طهران تايمز" التى تصدر بالإنجليزية فى طهران، وقد نشرت القصة التى مررتها إلى الزميل فى عددهاالصادر فى 18 يناير1988.

****

جولة سريعة مع الأحداث
كما نقلتها وكالات الأنباء والصحف

87/12/9 الإتحاد ـ الوكالات:

فى بيان من بشاور أعلن المجاهدون أنهم صدوا هجوماً شيوعياً خلال الأيام الماضية يهدف إلى فك الحصار عن خوست وأنهم أسروا أكثر من 800 جندى بينهم عقيد فضلاً عن تدمير 43 دبابة وإسقاط 2طائرة.

87/12/15 وكالة أ ب:

رحل عشرة آلاف أفغانى من قبائل زدران ولجأوا إلى باكستان، خوفاً من قتال متوقع تستعد له حشود سوفيتية أفغانية لفك حصار المقاومة لبلدة خوست والمستمر منذ ثلاثة أسابيع .
(لاحظ عدم دقة الخبر فالحصار مستمر منذ يوليو 1989، وتم كسره مؤقتاً مرتين أو ثلاث عبر طريق منجل وكان آخرها وقت معركة جاور عام 1986) .

87/12/16 ـ وكالة الأنباء الألمانية د ب أ تصف حقانى أنه "الناطق بإسم قائد المجاهدين" فمن قائد المجاهدين؟..وتقول أنه أعلن رفض المجاهدين لعرض قدمه نظام كابول بدفع أموال إلى المجاهدين والأفراج عن 210 من زملائهم فى مقابل وقف إطلاق النار "يعنى ترك القوة تمر بسلام من جرديز إلى خوست".
وأن رفض حقانى جاء قبل إنقضاء المهلة التى حددها نجيب ا بعدة أيام وكان قد جدد مهلة

20يوم لفك الحصار عن خوست والذى بدأ ، كما تقول الوكاله ، منذ شهر !!

87/12/21 جريدة الخليج ـ ـ رويتر

قالت مصادر المجاهدين الأفغان فى إسلام آباد أمس أن المجاهدين إستقدموا تعزيزات واسعة إلى منطقة مدينة خوست التى تتعرض لهجوم حكومى ضخم لمحاولة فك الحصار عنها.

وأضافت أن قائد المنطقة جلال الدين حقانى طلب هذه التعزيزات بعد إحراز القوات الأفغانية والسوفييتية نجاحاً فى التقدم نحو مدينة خوست الواقعة فى إقليم باكتيا قرب الحدود الباكستانية.

وأوضحت أن القوات الأفغانية والسوفيتية التى إستولت على مرتفعات إستراتيجية فى منطقه جرديز القريبة من خوست تقوم بتوجيه عملياتها هناك منه إلا أن المرتفعات تقع فى منتصف الطريق بين جارديز وخوست.

وأشارت إلى أن حزب إسلامى الذى يلعب دوراً رئيسياً فى حصار خوست منذ فترة طويلة لم يعد وحيداً فى المعركة بعد أن إنضمت إليه الأحزاب السته المتحالفة معه والتى يتزعمها محمد يونس خالص.

تعليق: (هذا هو الخبر الوحيد فى التغطية الأعلامية الدولية ـ حسب علمى ـ والذى ذكر فيه أسم حقانى كقائد "المنطقة" وإن كان الخبر لم يذكر أنه القائد الذى يخوض تلك المعركة الضخمة ، وربما أن إدارة الإعلام الدولى لم تشأ أن تصب تلك الحملة الضخمة لحساب حقانى وتلميعه أفغانيا ودولياً، خاصة وأنه عالم دين إسلامى، أما التعزيزات الواسعة التى ذكرها الخبر فإنها لم تصل مطلقاً. ولكن وصلت تعزيزات قليلة جداً من مجاهدين من خارج المنطقة لذا لم يتمكنوا من البقاء طويلاً فى ظل الظروف القتالية وقسوة المناخ.أما حزب إسلامي الذى يلعب دورا رئيسيا ،فالأرجح أنه حزب إسلامى حكمتيارالذى تعود الحديث عن نفسه بهذا الأسلوب وإحترف سرقة الأضواء وسرقة أعمال ومعارك الآخرين.

وبالفعل لم يكن هناك أى حزب وحيد، فالجميع تواجدوا فى خيانة شعبهم وبيع قضيتهم لأمريكا وكلابها فى باكستان).

وتقول رويتر أن تلفزيون موسكو ذكر فى تقرير هو الأول من نوعه أن الهجوم الواسع الذى شنته القوات السوفيتية الأفغانية يتم ضد سته آلاف مجاهد.

وتستدرك رويتر بقولها أن المجاهدين قد ذكروا أن قواتهم لا تزيد عن سبعه آلاف مجاهد فى مناطق القتال ،وأضافت أن مصادر الدبلوماسيين الغربيين ذكرت بأن القوات السوفيتية والأفغانية تكبدت خسائر فادحة فى الأرواح منذ بدء القتال.

تعليق: (هذه كانت بدايه ظهور الحملة الإعلامية السوفيتية المرافقة لحماية طريق زدران وهدف الحملة هو تضخيم صعوباتها العسكرية والمشقة فى كسبها إلى درجة أنهم طلبوا متطوعين فى صفوف الحملة من بين الشعب السوفيتى. وقد أخبرنا بذلك مسلمون من منطقة آسيا الوسطى بعد سقوط الدولة السوفيتية. وهذا التضخيم يهدف أن تكون الفرحة الشعبية عارمة بالنصر الحادث، فتتوفر بذلك تغطية مناسبة للإنسحاب السوفيتى من أفغانستان بعيداً عن أجواء الهزيمة العسكرية.وقد رأينا فى الخبر كيف يكذب السوفييت بقولهم أنهم يواجهون ستة آلاف مجاهد على أرض المعركة، والأغرب أن تزايد عليهم منظمات بشاور بقولها بأن العدد هو سبعة آلاف فقط.

ثم يظهر الدبلوماسيون الغربيون، وقد علمنا أن هذا المصطلح يعنى موظفوا الإستخبارات الأمريكية، فيصرحون بأن خسائر القوات الشيوعية فادحة. والتهويل هنا يساعد السوفييت فى

إبراز أهمية إنتصارهم تسهيلاً لقرارالإنسحاب.
فى نفس اليوم تنقل الوكالات قول صحيفة البرافدا السوفيتية بأن الإحتلال السوفيتى لأفغانستان يسبب إنزعاجاً بين المواطنين السوفييت وخاصة أولئك الذين فقدوا أقارب لهم هناك.
فجأة يهتم النظام السوفيتى بإنزعاج مواطنيه، وكأنه لم يقتل من مواطنيه أكثر مما قتلت الحرب العالمية الثانية، أو كأنه تحول إلى نظام ديمقراطى يتملق أصوات الناخبين.
ولكن النظام فى حاجه إلى هذا الإنزعاج حتى يظهر أن إنسحابه من أفغانستان جاء تلبيه لمشاعر مواطنيه،ولم يكن هزيمة أو هروبا.

87/12/23 الخليج ـ الوكالات ـ

نسب دبلوماسيون غربيون إلى مصادر حكومية أفغانية قولها أن المجاهدين يتصدون لخمسة ألوية أفغانية وسوفيتية تضم أكثر من خمسين ألف رجل فى هجوم شامل لفك الحصار عن خوست التى يدافع عنها نحو 18 ألف مجاهد.
أضاف الدبلوماسيون أن القوات الأفغانية تقوم بعمليات إنزال جوية على الطريق الرئيسى المؤدية إلى مدينة جرديز عاصمة أقليم باكتيا لتشكيل حلقة وصل تفتح الطريق إلى الممر الجبلى الرئيسى المستخدم فى عمليات تسلل المجاهدين من أرض باكستان.
 تعليق: (المصادر الدبلوماسية الغربية إياها تعطى تقريراً آخر غاية الغرابة يتجاهل ليس فقط الحقائق العسكرية بل الواقع الجغرافى فى نفسه.
فهو يتكلم عن خمسين ألف جندى شيوعى يقاتلون 18الف مجاهد، وهذا لم يحدث سوى فى أوهامهم فقط. ولانظن أن توازن القوى قد زاد فى أى وقت عن ثلاثين ألف جندى شيوعى فى مقابل مئتى مجاهد، وأن ساحة المعركة لم تزد عن المساحة المحصورة بين جبال ستى كندو، الى منطقة على طريق زدران تدعى "ميرجان دكان" وهى تجمع دكاكين على الطريق العام يقع قريباً من الممر الجبلى الضيق القادم من أطراف وادى جرديز وحتى الطريق الرئيسى، أى مسافة طولية من الطريق تمتد مابين20 إلى 40 كم فقط. ثم تتحول فى أيام المعركة الأخيرة نحو قرية سرانا الى الغرب من الطريق وإمتدت عدة كيلومترات قليلة حتى وصلت القوة إلى مركز حقانى الرئيس فى القرية.
أما عمليات الإنزال الجوى فهى فكرة سينمائية تماماً لم تحدث قطعاً. ولكن كما سوف نرى أن قادة بشاور من الأحزاب وقد أعجبتهم الفكرة فرددوها بعد ذلك. أما الممر الجبلى الرئيسى المستخدم فى تسلل المجاهدين، فهى كذب على حقائق الجغرافيا نفسها ولا أدرى ماذا يقصدون بذلك).
ويمضى الخبر قائلاً:(من جانب آخر شكك أحد الدبلوماسيين الغربيين فى قدرة المجاهدين على الصمود فى خوست فى ضوء التعزيزات الضخمة التى تقوم بها القوات السوفيتية فى المنطقة والتفوق فى الرجال والآلة العسكرية. وأعرب عن إعتقاده بأن "نتائج بالغة الأهمية سوف تحدث على تطورات القضية الأفغانية".
{وهذه فقرة صحيحة تماماً فى ركام من الأكاذيب والخلط العجيب}
ويمضى الخبر قائلاً:(وذكر مصدر دبلوماسى آخر أن المجاهدين سيحاولون فتح جبهه أخرى فى إقليم لوجار لتخفيف الضغط على خوست، وقال أن منطقة خوست تتعرض لهجمات من الجو والبر وأنه تسمع أصوات الإنفجارات فى كابل).
تعليق: (وفكرة فتح جبهة جديدة تلقفتها قيادات الأحزاب فى بشاور وأصدرت بشأنها بيانات

وهمية ومعارك فوق الورق. أما منطقة خوست التى ذكرها الدبلوماسى "أى الجاسوس" فإنها كما رأينا كانت هادئه تماماً ولم تطلق طلقة واحدة على القوات الشيوعية التى حافظت على هدوئها هى الأخرى).
ويقول الخبر أيضاً أن نائب وزير الخارجية الأمريكى للشئون السياسية مايكل أرماكوست قد صرح بأن المجاهدين الأفغان قويت شوكتهم بفضل صواريخ ستنجر التى تقدمها لهم الادارة الأمريكية.
"وهنا تعود أسطورة ستنجر إلى الظهور لأغراض دعائية وسياسية كما ذكرنا".
نهاية الخبر تقول:(وقد أدلى أرماكوست بهذه التصريحات بعد أصدار التقرير السنوى لوزارة الخارجية الأمريكية عن أفغانستان والذى جاء فيه أن الوضع العسكرى للمجاهدين الأفغان قد شهد خلال العام الحالى تحسناً ملحوظاً وتعاوناً أكثر بين قوات المجاهدين).
تعليق: (وهذه الفقرة توضح لنا إستحالة معرفه الحقائق من خلال البيانات الرسمية الأمريكية ـ أو غير الأمريكية ـ فالتحسن والتعاون كان فى علاقات قادة المنظمات الأفغانية وتعاونهم مع الإدارةالأمريكية، بعد أن تراخت قبضة ضياء الحق عن تلك المنظمات ، بل تراخت أيضاً عن جهاز إستخباراته ISI بعد إزاحة الجنرال أختر عبدالرحمن عن ذلك الجهاز وتعيين حميدجول الأقل عنادا وتصميماً، والذى إنخرط فى بداية عمله فى أكبر خيانة عسكرية ضد المجاهدين وهى تلك العملية فوق طريق زدران).
قالت الأخبار أيضاً أن أرماكوست قال فى مؤتمر صحفى:(إن جورباتشوف قدم عرضاً فى قمة واشنطن بأن يمتنع جيش الإحتلال السوفيتى فى أفغانستان عن القيام بأى عملية هجومية خلال إنسحابه من البلاد).
هذه تضليل رسمى آخر من النوع الكبير بل أنها كانت المؤامرة العسكرية التالية، والتى رتبتها أمريكا وكلاب حراستها فى باكستان مع قومندانات أفغان فى شمال البلاد هذه المرة. والمطلوب هو تأمين إنسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان بدون تعرضها لهجمات وكمائن، يمكن أن تسبب لها خسائر فادحة قد تفوق خسائرها فى الحرب كلها. والأنظار كانت متجهه إلى الطريق الواصل بين كابول وحيرتان على نهر جيحون"أموداريا". فذلك الطريق الوعر الذى يستحيل السيطرة على الجبال الشاهقة التى تحتضنه، خاصة ممر سالانج الذى يشكل عنق الزجاجة فى الطريق ويمتد عشرات الكيلومترات. أيضاً وجود مجموعات أحمد شاه مسعود الذى أطلق عليه الإعلام الغربى لقب أسد بانشير، كل ذلك كان يشير إلى إمكان حدوث نهاية مأساوية لقوات الإحتلال السوفيتية التى قد تعيد إلى الأذهان مأساه قوة الإحتلال البريطانية التى أبيدت فى طريق مشابه يربط بين كابل وجلال آباد حيث كمن لها الأفغان وقضوا عليها بالكامل إستثناء فرد واحد كان ضابطاً فى السلاح الطبى ! **(وهو الدكتور برايدون 1842 م).**
ولنتأمل كيف عرضت المؤامرة الجديدة على الناس وكأنها مبادرة إنسانية فى قوات الإحتلال، وكيف أن أمريكا أظهرت فيما بعد تقديرها لتلك اللفتة السوفيتية الكريمة).
<u>87/12/24 ـ الخليج (رويتر ـ ـ كونا):</u> وصف تحليل سياسى أوردته وكالة رويتر أمس حول القتال الدامى الذى تخوضه القوات السوفيتية الأفغانية ضد المجاهدين لكسر الحصار عن المدينة بأنه أضخم عملية عسكرية تشهدها أفغانستان العام الحالى مما يلحق بحكومة كابول مصاعب كبيرة....
... وتعد المؤشرات السياسية لهذه المدينة ذات مضامين كبيرة وأثر بعيد المدى خاصة وأنهم

يطلقون عليها "موسكو الصغيرة"، التى تربى وترعرع فى كتفها أول تشكيل لنشاط شيوعى أفغانى وأفرز المجموعات التى قامت بالثورة عام 1987م.

تعليق :(كان المهتمون بالشئون الأفغانية فى الغرب يقدرون تماماً الأهمية الكبيرة لتلك المدينة من النواحى الإستراتيجية والسياسية والنفسية بينما المجاهدين العرب، لم تكن لديهم مثل تلك الرؤية بل عكسها الذى كان موجوداً طبقاً لما يمليه عليهم قادة الأحزاب فى بشاور وتوجهاتهم السياسية مع الخارج وضد الجهاد).

يقول الخبر: إن روبرت فلاتن رئيس مكتب وزارة الخارجية الأمريكية للشئون الباكستانية والأفغانية قال أن بلاده ستوافق على أى شكل من الأشكال الحكومية فى أفغانستان طالما أنها تشكل دون تدخل خارجى...

... وردا على سؤال حول شعور واشنطن إذا ما إشترك الحزب الشيوعى فى إئتلاف المستقبلى أجاب فلاتن بقوله أنه "مهما كانت عضوية أو إنتساب الممثلين المختارين فى أفغانستان فإنهم مقبولون لدينا".

تعليق: (كان ذلك أحد بنود الإتفاق بين ريجان وجورباتشوف أى ضرورة إشتراك الشوعيين فى أى حكومة أفغانية قادمة. وقد وعدت أمريكا بالمساعدة وإجبار الجانب الأفغانى على ذلك.

وكان من الفروض أن تمهد معركة طريق زدران الطريق إلى تلك المشاركة بتحطيم معنويات الأفغان، وإقناع المتشددين من "أمثال حقانى" بعدم جدوى المعارضة أو تبنى سياسة القتال حتى النهاية أى التمسك بالحل الإسلامى الكامل.

وسوف نرى أول نماذج "الحكومة المشتركة" فى حكومة المجاهدين التى شكلوها عام88 برئاسة مهندس أحمد شاه نائب سياف).

ـ يقول الخبر أن فلاتن ذكر أنه من المحتمل أن يلعب الإسلام دوراً هاماً فى أى حكومة جديدة غير أنه من غير المرجح وصول حكم أصولى طالما أن غالبية سكان الدولة متيقظين للنفوذ الايرانى"!!".

تعليق:(منذ البداية عينت أميركا نفسها مرجعية عظمى للفقه الإسلامى. وتولت تحديد المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ثم فرزت المعتدل عن المتطرف، فساعدت الأول وسحقت الثانى.

وفى أفغانستان ترحب أمريكا بالإسلام المعتدل، ولاتتوقع مستقبلاً سياسياً فى البلاد للتيار الأصولى، مع الإستبعاد التام لأى دور إيرانى فى المنطقة، ومازالت الرؤية الأمريكية هى المتحكمة ليس فقط فى أفغانستان بل فى كل زوايا المعمورة وحيثما يعيش مسلمون.

وقد أغتيل العشرات من القيادات الأفغانية بتوجيهات أمريكية ثم لاحقت وصفت الوجود الجهادى العربى في أفغانستان، وفعلت نفس الشئ مع التحرك الجهادى فى البلاد العربية، وتلاحق كل من كان فى أفغانستان مجاهداً وأينما وجد، كل ذلك تطبيقاً لتلك السياسة أو تلك المرجعيه الدينية العظمى التى منحتها أمريكا لنفسها على أمه الإسلام).

<u>87/12/25:</u> فى إسلام آباد نفى متحدث بإسم المجاهدين الأفغان ماصرح به المتحدث الرسمى بإسم الخارجية السوفيتي "جينادى جراسيموف" من وقوع 1500 مجاهد بين قتيل وجريح خلال القتال الجارى لفك الحصار حول خوست. كما ذكر أيضاً أن زعماء المجاهدين يريدون فصل منطقة خوست عن أفغانستان من أجل تشكيل حكومة خاصة بهم ."لاحظ كلمة فصل

بدلا من كلمة تحرير".
وإتهم جيراسيموف المجاهدين بإسقاط عدد من طائرات الشحن السوفيتية من طراز أنتينوف 26 مما أدى إلى وقف الجسر الجوى لإمداد المدينة(وهذه المعلومات غير صحيحة أيضاً، وليس من المؤكد أن المجاهدين قاموا بمثل ذلك العمل فى الأشهر الاخيرة. وحتى لوحدث فإن إسقاط طائرة أو عدة طائرات نقل عسكرية ماكان ليوقف الجسر عن خوست، كما سنرى ذلك فى عملياتنا ضد المطار عام 1990، وما كان الأمر يستدعى شن حملة ضخمة بهذا الشكل).
وقال ميراسيموف، إن القوات المتقدمة صوب المدينة أصبحت على مسافة40 كيلومتر من خوست.(مبالغة أخرى فلم يكونوا قد تخطوا مواقع حقانى على الطريق العام مقابل منطقة سرانا ، وكانوا يحاولون إستخدام ممرات جبلية فرعية لتخطى تلك العقبة ولم يكملوا إجتيازها بعد).
ناطق باسم حزب إسلامى"يونس خالص" يشكك فى صحة ما أدلى به جيراسيموف ويقول أن السوفييت حققوا بعض التقدم وأن 41مجاهداً قد قتلوا وأصيب50 آخرون بجروح، وأن ما بين10 إلى15 ألف مدنى قد فروا من المنطقة بسبب القتال العنيف، وأن المجاهدين أسقطوا أربع طائرات حكومية مقاتله ودمروا مطار خوست الجوى (!!).
(وهذه مبالغة سيئة جداً حيث أن المطار لم يتعرض لأى مكروه كما أنه غير قابل للتدمير لكونه مجرد مدرج ترابى يمكن إصلاح أى تلف به فى غضون دقائق، كما أن منشأته الرادية متحركة ومخفيه تماماً بين الأشجار والحفر).
من جانب آخر قال دبلوماسيون غربيون "يعنى مصادر المخابرات الأمريكية"إن وصول صواريخ ستينجر وأسلحة غربيه متطورة بكثافة إلى المجاهدين أدى إلى تحييد طيران الطرف الآخر، ودفعه بدلاً من ذلك إلى الإعتماد على القوات البرية لكسر الحصار.
(سبق ذكر مايكفى حول صواريخ ستنجر التى لم تكن أبداً بالكثافة التى يحاولون الإيهام بها، كما أنها لم تحيد الطيران على الإطلاق وإن حدت نسبياً من حرية طائرات الهيلوكبتر، وهددت بدرجة ما طائرات النقل، وظلت شجاعة العنصر المقاتل هى العنصر الحاكم فى تحقيق إصابات بصاروخ ستنجر المتطور، والمجاهدون الأفغان شجعان بالفطرة، وذوى دافع عقائدى قوى، فكان يمكنهم تحقيق نتائج مدهشة بأسلحة بدائية، وإمكاناتهم تلك هى التى كونت تلك الإسطورة حول ستنجر، وقد ساعدت آلة الدعاية الأمريكية فى تهويل الإسطورة، والإستفادة منها سياسياً وإقتصادياً فى تسويق السلاح الأمريكي).
 إلى نيودلهى وصل الرئيس الأفغانى نجيب ا حيث أجرى على الفور مباحثات مع الرئيس الهندى راجيف غاندى بشأن الوضع فى أفغانستان والتطورات المتعلقة بالإنسحاب السوفيتى.
(من الملاحظ أن الدور الهندى في أفغانستان قد أزداد بشكل ملحوظ ، فى أعقاب الإنسحاب السوفيتى ومازال الدور الهندى أكبر بكثير من الدور الروسى فى تلك البلاد فى مرحلة الحرب الأهلية التى مازالت دائرة إلى الآن أو بعد حوالى أربع سنوات من سقوط النظام الشيوعى).
<u>87/12/26 الخليج ـ وكالة الانباء:</u>
إستبعدت صحيفة برافدا أمس أن تنجح القوات الحكومة الأفغانية فى المنظور القريب فى كسر الحصار الذى يفرضه المجاهدون على مدينة خوست القريبة من الحدود الباكستانية، وقالت برافدا أن عملية فتح الطريق الى خوست مستمرة لكنها أعربت عن إعتقادها فى ألا تتمكن

القوات الحكومية من إنتزاع إنتصار سريع بسبب قسوة الظروف فى المناطق الجبلية.
تعليق: (برافدا تعبر هنا عن حالة محافظة لدى القيادة السوفيتية التى كانت تعلم أن موازين المعركة يمكن أن تنقلب فجأة وتتحول إلى هزيمة رغم التقدم الكبير الذى أحرزته بفضل التعاون الأمريكى والإستجابه الأفغانية، وفى ظنى أنه كان يكفى لتحقيق ذلك أن تتمكن مجموعة أو إثنتان من المجاهدين من عصيان الأوامر الباكستانية والثبات فى مواقعها الجبلية المطلة على طريق زدران.أو أن تصل نجده إلى رجال حقانى مع تجهيزات مناسبة. ومن المؤكد أن التآمر الدولى لايمكن أن ينجح دائماً ومهما كانت أمكاناته" وخاصة فى أفغانستان".
وفى ظنى أيضاً أن هذه المؤامرة فوق طريق زدران ما كانت يمكنها أن تنجح لولا ظروف الشتاء القاسية ، وقد نجح الروس مرة أخرى فى إستخدام مواهب "الجنرال شتاء" الذى ساعدهم كثيراً فى حروبهم التاريخية، فظروف المناخ منعت الكثيرين من الوصول إلى مواقع القتال المناسبة.
والأوامر الباكستانية ما كانت تستطيع أن تمنع الكثيرين من نجدة حقانى الذى إستطاع أن يصمد مع عدد قليل من رجاله نحو أربعة أسابيع فى وجه تلك القوة الكاسحة وفى ظروف المناخ الصعب. إذن فى الصيف كان يمكنه القتال لشهور طويلة وكان حتماً سيجد المئات يتدفقون نحوه للمساعدة.. لقد برع السوفييت فى الإستفادة من الجنرال شتاء فى حروبهم كما فى مؤامراتهم.. وحرب الشيشان الحالية خير شاهد.."فقد بدأو حملتهم الكاسحة فى أواخر أيام ديسمبر 94".
يقول الخبر أيضاً(أن نجيب ا رئيس أفغانستان قد وصل أمس إلى هانوى فى زيارة رسمية لفيتنام، وكان نجيب قد أجرى مباحثات مع الرئيس الحكومة الهندية راجيف غاندى تناولت برنامج المصالحة الوطنية الذى عرضه نجيب ا فى وقت سابق لوقف القتال فى أفغانستان).
تعليق: (لقد كان نجيب ا لاعباً سياسياً ماهراً وذكياً، وصاحب أعصاب من فولاذ، وقد ظل متماسكاً حتى اللحظة الأخيرة من حكمه وإستطاع أن يبقى فى كابول تحت حماية الأمم المتحدة ورعاية روسيا حتى هذه اللحظة فى عهد رآسه مجددى ثم ربانى. حتى أن أوراق العمله الأفغانية التى مازالت تطبع فى موسكو أو طشقند فى أزبكستان لايتم طبعها أو إرسالها إلا بأمر كتابى من نجيب ا "!!".
نراه هنا متماسكاً يقوم بجولة خارجية ويظهر نفسه واثقاً من نائج المعركة التى تشغل العالم كله وتشد أنظاره نحو خوست.وهو يوثق علاقاته مع أقرب حلفاء الخارج إليه وهما الهند وفيتنام، ويحاول أن يربط بين ماحدث فى فيتنام ضد الأمريكان مع مايحدث فى بلاده ضد المجاهدين الذين تؤيدهم أمريكا بل ويدعى أن الأمريكان يقاتلون إلى جانبهم مع باكستانيين وعرب وصينيين).
- **<u>فى نفس اليوم أيضاً 87/12/26 نقلت صحيفة الاتحاد مايلى:</u>**
أوردت وكالة الأنباء الفرنسية "أ.ف. ب" تقريراً عن المعارك قالت فيه أن القوات السوفيتية بدأت هجوماً واسع النطاق ضد حصن لرجال العصابات يعتبر أكبر عملياتها منذ عام 1979، ويأتى عشية الذكرى الثامنة للتدخل السوفيتى فى أفغانستان... ورغم أن التعليقات السوفيتية ظلت حتى وقت قريب قليلة جداً بشأن العمليات فى أفغانستان، إلا أن بعض المسئولين

السوفييت تحدثوا صراحة خلال الأيام الأخيرة عن الموقف العسكرى فى أفغانستان. . . وكان ملايين السوفييت قد صدموا يوم السبت الماضى بحقائق عندما شاهدوا تحقيقاً تلفزيونياً لم يسبق له مثيل تم تصويره فى منطقة خوست، وظهر فى هذا التحقيق الجنود الأفغان وهم يطلقون نيرانهم على التلال المحيطة بالمدينة، والتى ينتشر فيها9 آلاف رجل من المجاهدين وفقاً للتلفزيون السوفيتى الذى لم يشر إلى مشاركة سوفيتية فى هذا الهجوم إلا أنه رفض تحديد حجم الخسائر لدى الجانب السوفيتى ـ الأفغانى...

ويقول الخبراء أن الموقف فى خوست كان قبل ثمانى سنوات أحد العوامل التى دفعت الكرملين إلى التدخل عسكرياً فى أفغانستان فى 79/12/27.

وأكد جيراسيموف أن المجاهدين يسعون إلى السيطرة على خوست من أجل فصلها عن أفغانستان وتشيكل حكومة مستقله فيها.

تعليق :(تفاجئنا وكالة الأنباء الفرنسية بعدة معلومات جوهرية:أولا أن العملية الحالية قرب خوست هى الأكبر من نوعها للقوات السوفيتية منذ إحتلالها البلاد فى ديسمبر 1979 وهذا شيء ممكن، لكن من الصعب جداً الجزم به.

وعلى نفس المحور تنقل الوكالة عن خبراء بأن الموقف فى خوست قبل ثمانى سنوات كان أحد أسباب قرارالسوفييت بغزوالبلاد ، وهى وجهه نظر فريده لم أجد من قال بها غير هذه المرة، وهى بغض النظر عن مدى دقتها، تشير إلى الأهميه الإستثنائية لمدينة خوست والمنطقة المحيطة بها، وقد أعيتنى الحيلة فى إقناع العرب يجعل تلك المنطقة مركز ثقل عملهم العسكرى، ولكننى فشلت فى ذلك، وبرروا إهتمامى بالمنطقة بصداقتى مع جلال الدين حقانى. ونجد المتحدث السوفيتى يعبر عن مخاوفه من إمكان تحرير خوست على أيدى المجاهدين، ولكنه بخبث أوروبى يسمى ذلك إنفصالاً!.

ونشير هنا إلى جريدة الإتحاد نفسها التى كانت الصحيفة الوحيدة فى العالم إشارت إلى أن حقانى يقود بنفسه العمليات فى طريق زدران ونقلت ذلك عن مندوب حقانى فى الإمارات " غازى مرجان ". وقد أشرنا سابقاً إلى العلاقة" التاريخية" بين جريدة الأتحاد وحقانى منذ عام 1979 . ومن يومها توطدت العلاقة بين الطرفين وإستمرت حتى بعدما تركت العمل فى الصحيفة أواخر عام 86).

<u>87/12/29 ـ ـ جريدة الخليج ـ وكالات الأنباء:</u>

قالت وكالة تاس السوفيتية أمس أن مستشاراً عسكرياً أمريكياً قتل خلال القتال لكسر الحصار حول مدينة خوست، فى أثناء ذلك نفى المجاهدون أنباء أفغانية رسمية حول كسر حصار المجاهدين. وقالوا أن جنود المظلات السوفييت الذين هبطوا فى خوست قبل أربعة أيام يتعرضون للحصار مع قوات قوامها 20 ألف جندى أفغانى، وقالت "تاس" أن القوات الحكومية الأفغانية التى تزيد أربعة أضعاف عن قوات المجاهدين، بقى أمامها تسعة كيلومترات لإنهاء عملية إستعادة الطريق بين جرديز وخوست، ونسبت وكالة تاس للنائب الأول لوزير الدفاع الأفغانى الجنرال محمد نبى عظيمى تفاصيل سير هذه العمليات الذى قال أن خسائر المجاهدين فيها بلغت ألفاً وخمسمائة رجل بين قتيل وجريح وأسير وهارب، وأضاف أن القوات الحكومية صادرت ودمرت 29 رشاشاً من العيار الكبير، 170 ألف طلقة، 30 منصة إطلاق لصواريخ أرض أرض، 18 مرقداً للطائرات، خمسة قواذف لصواريخ ستنجر،

12 ألف لغم، 45 منصة لإطلاق الصواريخ المضادة للدبابات، وأسلحة فردية.، ومليونـ ـا و780 ألف طلقة، و42 مستودعاً لذخائر مختلفة.
وذكر الجنرال عظيمى أنه من بين الخمسين مستشاراً أجنبياً العاملين فى صفوف المجاهدين لقى مستشار أمريكى على الأقل مصرعه خلال هذه العملية.
تعليق:(وكالة تاس والجنرال عظيمى يكرران أسطورة عثمان الصعيدى أو الخبير الأمريكى الذى قتل فى العمليات، والمجاهدون فى بشاور يكررون القصص البوليسية الأمريكية بشأن الإسقاط المظلى على خوست، أو عمليات فتح جبهات جديدة للتخفيف عن جبهة خوست.
الجنرال عظيمى يقدم لائحة بالغنائم التى يمكن بها تسليح جيش كامل، والمبالغة واضحة بلاشك ، والجنرال عظيمى ظل فى مركزه العسكرى حتى بعد تشكيل حكومة المجاهدين"!". فى فترة مجددى ثم ربانى من بعده، وحققوا بذلك المطلب الأمريكى بالحكم المختلط ولكن بلاضجة أو إعلان).
يقول الخبر أيضاً:(... وقالت بيانات المجاهدين الصحفية أمس أن المجاهدين شنوا هجومات مكثفة فى أنحاء أفغانستان أهمها معارك لاتزال مندلعة على الطريق المؤدى إلى جارديز الذى تحاول القوات السوفيتية الأفغانية إستخدامه لدفع نجدات ومواد تموينية للقوات الحكومية والسوفيتية المحاصرة داخل خوست.
وقالت مصادر المجاهدين فى بشاور أن الجزء الأعظم من القافلة السوفيتية الأفغانية عبرت طريق جرديز لكنها توقفت تماماً عند الطرقات الجبلية قرب "ميرجان" التى تبعد نحو خمسين كيلومتر إلى الغرب من خوست بسبب كثافة حقول الألغام فى هذه المعابر.
تعليق: (المعارك المذكورة فى البيانات هى معارك فوق الورق ومن خاف الميكروفونات، مثل حقول الألغام التى أوقفت القوة، فهى موجودة فقط فى مخيلة أصحاب البيان الرنان، كانت القوة وقتها قد وصلت سرانا فى مطاردتها .حقانى ورجاله ودفعتهم إلى الخلف بعيداً عن الطريق العام، بينما أخذت باقى القوة تتقدم ببطء وحذر شديد خوفاً من كمائن مفاجئة، يقوم بها "مجانين" خارجون عن "الإجماع الدولى"، وما أكثر هؤلاء من بلاد مثل أفغانستان.
وكما ذكر حقانى فإن القوة السوفيتية عندما تمكنت من طرد المجاهدين من سرانا قطعت باقى المسافة وهى أكثر من خمسين كيلومتر فى يومين فقط، بينما إستغرقت حوالى شهر فى قطع مسافة ثلاثين كيلو الممتدة من ساتى كندو إلى "ميرجان دكان").
يقول الخبر: (الرئيس الأفغانى نجيب ا قال فى تصريحاته بالعاصمة الفيتنامية هانوى أن كابل تخصص 60% من ميزانيتها للقوات المسلحة فى حربها ضد المجاهدين).
تعليق: (الأقرب إلى الصحة أن يقول نجيب أن حكومته تنفق60% من الميزانية على القوات المسلحة التى تقاتل المجاهدين، وأن النسبة الباقية وهى40% فتنفقها حكومته على جهاز المخابرات "خاد" الذى يقاتل ضد الشعب الأفغانى فى الداخل والخارج).
<u>87/12/31 ـ جريدة الإتحاد:</u>
أفادت آخر التقارير أن هناك معارك عنيفة مازالت تدور حول مدينة خوست وذلك فى الوقت الذى ذكر فيه زعيم المجاهدين الأفغان عبدالرسول سياف أن المجاهدين شنوا هجوماً محكماً دمروا خلاله أربعة مراكز أمنية للقوات الأفغانية السوفيتية المشتركة أمس غرب وادى جاجى ميدان شمالى خوست وقال أن الهدف من الهجوم هو تخفيف الضغط على ميرجان بازار،وذكر النقيب محمد موسى الذى قاد العملية أن المجاهدين قتلوا عشرين من القوات المشتركة بجانب

جرح العشرات والإستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة بالأضافة إلى جهاز لاسلكى كبير ومدفعى مورتر ورشاشين ثقيلين، 35 بندقية كلاشنكوف.
كما تفيد الأخبار أن النيران مازالت مشتعلة فى خوست وسوقها إثر القصف المكثف للمجاهدين الذين إستخدموا فيه الصواريخ والمدافع، وقال سياف أن الوحدات المدرعة السوفيتية لم تتمكن من التقدم تجاه خوست نتيجة مقاومة المجاهدي العنيفة والهجمات المضادة التى يشنونها، وأعلن عن استشهاد ثلاثة مجاهدين أمس الأول خلال الهجوم على المراكز السوفيتية، وقال أن المجاهدين دمروا 6دبابات سوفيتية،11سيارة، خلال هجوم أمس الأول وأكد قادة الميدان وقوع أكثر من 600 جندى سوفيتى فى الأسر خلال أسبوع واحد.

تعليق: (نأسف لإيراد هذا الفاصل الطويل من الأكاذيب التى أتحف بها سياف جريدة الإتحاد، وحسب خبرتى السابقة فإن تغذية الإتحاد بالبيانات القادمة من سياف تكون عن طريق مافيا الإخوان المسلمين فى الإمارات، والتى تتحرك من خلف "خان محمد" المندوب التاريخى لسياف فى أبوظبى.
ولما كانت الإتحاد قد أوردت يوم 12/26 خبراً يقول أن حقانى يقود بنفسه العمليات، وهى حقيقة تحالفت الحملة الإعلامية الدولية على عدم إعلام أحد بها، لذا تحرك الإخوان فوراً لتغطية هذا الشعاع من الحقيقة بركام من السخام الأسود من الأكاذيب، والذى تم وصف سياف فى مقدمته بأنه "زعيم المجاهدين!!" ولاأدرى متى وكيف إكتسب سياف ذاك اللقب، رغم أنه لقب غير موجود أصلاً على ساحة الأحزاب الأفغانية، التى شكلت إئتلافاً صورياً يتناوب عليه ناطق رسمى لعدة أشهر كل مرة وكان يونس خالص هو رئيس ذلك التحالف وقت المعركة. والغريب أن سياف مازالت يعزف على إسم"جاجى" التى إنبعث فيها نجمة الزائف، والتى شهدت دفن أسطورته على يد العرب الذين قاتلوا معركة المأسدة منذ أشهر قليلة بقيادة أسامة بن لادن وفيها ظهرت حقيقة سياف المخجلة.
ولاداعى لذكر أن معركه طريق زدران لم يؤسر فيها سوفيتى واحد).

 <u>أوردت صحيفة باكستانية فى تاريخ 87/10/19</u> أن أحزاب المقاومة الأفغانية السبعة قد إختارت مولوى يونس خالص رئيسياً للإئتلاف القائم بينها لمدة عام.وكان خالص يشغل وقتها وظيفة الناطق الرسمى بإسم ذلك الإئتلاف.وقالت الصحف أن إختيار خالص يعتبر حلاً توفيقياً للزعماء الذين إنقسموا إلى معسكرين أحدهما أصولى والآخر معتدل ملكى.
(ونعتقد أن هذا الإختيار المفاجئ لزعيم يتولى رئاسة الأتحاد لمدة عام كامل "!"
جاء تمهيداً للقاء ريجان بعد شهر، فلم يكن مقبولا أن يقابل الرئيس الأمريكى مجرد ناطقا رسميا، لذا كان لابد على الزعاماء السبعة أن يعينوا عليهم زعيماً ، وهو الشئ الذى لايحبونه ، حفاظاً على مقام الرئاسة الأمريكية "!").
 ومن سؤ طالع مولوى خالص ، ولعلها كانت توريطاً له ، أن يختار رئيساً لذاك الائتلاف والذهاب لمقابلة الرئيس الأمريكى الذى قابل فى الشهر التالى الرئيس السوفيتى بينما معركة زدران بدأت رحاها فى الدوران فوق رأس حقانى وجثث رجاله. والإستنتاج المنطقى أن خالص قد تم إخطارة بتلك المؤامرة وإن كنت شخصياً إستبعد ذلك.
 ومن سوء حظ خالص أيضاً أن يجئ نبأ إعلانه رئيساً للإئتلاف فى نفس الصفحة التى

نشرت نبأ إصابة عبدالحق أشهر قيادات خالص حول كابول. وقالت الصحيفة التى أوردة النبأ أن عبد الحق قد أصيب بلغم أتلف قدمه اليمنى وأطار عدد من أصابعها، وكان عبد الحق يتجول فوق جبال "قرغه" فى باغمان، تمهيداً لشن هجوم صاروخى على العاصمة، وقد وقع حادث عبد الحق فى "**87/10/11**". وكانت إصابته بلغم "فراشه" الذى يبتر القدم فقط، وتنشر الطائرات آلافاً منه فى كل دفعة فوق المناطق التى يرتادها المجاهدون. واللغم بلاستيكى صغير بلون أخضر أو أصفر، وينفجر بمجرد الضغط عليه أو عند إرتفاع درجة الحرارة . ومن الصعب تمييزه من بين الأعشاب أو الأحجار.

 فى نفس يوم(31ـ12ـ87):

نقلت وكالات الأنباء الغربية عن وكالة تاس السوفيتية أن عدد قتلى المجاهدين خلال المعارك التى دارت لفك الحصار عن مدينة خوست بلغ ألفى قتيل، وقالت أن أول قافلة تموين دخلت أمس إلى مدينه خوست آتية من مدينة جرديز بعد تمشيط الطريق الواصل بين المدينتين من الألغام ويبلغ طوله125 كيلومتر، مشيرة إلى أنه تمت مصادرة كميات كبيرة من الأغذية والذخائر والأدوية خلال القتال وأضافت "تاس" أن المجاهدين أجبروا على ترك "سران" أحد معاقلهم الرئيسية بالقرب من الحدود الباكستانية، وذكرت أنه بمساعدة القوات السوفيتية تمكنت القوات الأفغانية أمس الأول من إسقاط جميع البؤر المناوئة على طول الطريق من خوست إلى جرديز.

وفى تعليق منفصل لوكالة "تاس" حول مصرع المستشار العسكرى الأمريكى خلال معارك خوست، قالت أن مصرعه دليل أكيد على تدخل أمريكا ومحاولتها التصعيد العسكرى فى أفغانستان، وقال التعليق أن مئات عدة من المستشارين الأمريكيين يعملون حالياً فى باكستان لتدريب المجاهدين، مشيراً إلى أن مواطنين أمريكيين قتلا عام 1985 خلال قصف مدفعى فى إقليم قندهار.

تعليق: (فاصل آخر من الأكاذيب ورد من وكالة تاس، بإستثناء ماورد عن دخول القوات الشيوعية إلى "سران" مركز حقانى الرئيس قرب جارديز، وهى بعيده جداً عن حدود باكستان، على عكس ماتدعى تاس وأقصر الطرق الجبلية الواصل إلى "سران" فى حدود باكستان يستغرق على الأقل مسيرة يومين كاملين، أما على طرق السيارات فالمسافة تصل إلى حوالى 140كيلومتر. وأسطورة الخبير الأمريكى القتيل تعلو مرة أخرى، وهى الهدية الدعائية التى قدمتها الإذاعة البريطانية لموسكو.

والمبالغة فى الدور الأمريكى كان هدفاً متفقاً عليه بين واشنطن وموسكو لتهميش دور المجاهدين وإستبعادهم سياسياً.وهذا واضح من مشروع إتفاقية جنيف الذى أعلن عنه اليوم مساعد السكرتير العام للأمم المتحده " دييجو جوردفيز".والذى يحتوى على4 وثائق رئيسية وهى:

1ـ وثيقة تتعلق بإنسحاب القوات السوفيتية فى أفغانستان.
2ـ وثيقة تتعلق بحياد أفغانستان، وعدم التدخل فيها.
3ـ وثيقة تتعلق بالضمانات الدولية.
4ـ وثيقة تتعلق بعودة اللاجئين إلى ديارهم.

وذكر "جوردفيز" أن الإتفاقية تنص على قيام الولايات المتحدة، والأتحاد السوفيتى بضمان

تنفيذها.
وتلاحظ أن إسلامية أفغانستان لم تعد مطروحة للبحث، كما لاذكر لدور المجاهدين أو حتى منظمات بيشاور.

أول يناير 1988 ـ الخليج:
قالت وكالة الأنباء الأفغانية "بختيار" الرسمية أن المجاهدين الأفغان دمروا ولغموا أكثر من 60كيلومتر من الطريق الرئيسى الذى يربط جرديز بمدينة خوست مشيرة إلى أن القوات المسلحة الأفغانية كان عليها أن تبنى خمسة جسور لأيصال أول قافلة إمدادات إلى خوست.

تعليق: (فاصل آخر من الأكاذيب تساهم به حكومة كابول فلم يدمر المجاهدون أى قطعة من الطريق. وبث الألغام لم يتجاوز قمم ساتى كندو وجزء الطريق المار فوقها، ثم جزء يسير فيما يلى ذلك، أما الجسور فلم يلمسها أحد، وكان حقانى لايرى ضرورة لتخريب الطريق أو نسف الجسور القائمة عليه، ولنا معه قصة فى ذلك الخصوص فى نفس العام 1988، عندما وصلتنا شائعات أن القوات الحكومية سوف تعاود الكرة وتمر من الطريق، فأسـرعنا إلى حقـانى عارضين عليه مشاركتنا والمساعدة أيضاً فى تدمير الجسور، ولكنه رفض بشدة وأجابنا بشئ من التأنيب: نحن نصلح الطرق لاندمرها، وهذا الطريق نحن نستخدمه أكثر مما تستخدمه الحكومة. وكان ذلك درساً بليغاً لنا، وكنا مجموعة صغيرة من العرب).
 يقول الخبر أيضاً: إن فيلكس إيرماكورا خبير الأمم المتحدة لشئون أفغانستان يتوجه غداً إلى كابل لزيارة المناطق التى يدور فيها القتال بين المجاهدين الأفغان من جهه والقوات الحكومية الأفغانية والسوفيتية المساندة لها من جهه أخرى.
تعليق: (أشرنا سابقاً إلى أن هذا الإجراء الشاذ من الأمم المتحدة إنما يشير إلى أن معركة طريق زدران من أجل فك الحصار حول خوست أنما يمثل حلقة فى الإتفاق الدولى بشأن أفغانستان وليس مجرد معركة عادية، وأن الإشراف على تطوراتها ونتائجها على الأرض هو جزء من الإتفاق الدولى الذى أصبحت أوراقه جاهزة للتوقيع فى جنيف).

1988/1/4 ـ الخليج "وكالة الانباء"
أعلنت وكالة تاس السوفيتية أن القوتان السوفيتية والأفغانية الحكومية طورت هجومها الأخير ليمتد إلى ما وراء حدود إقليم باكتيا الواقع فى جنوب شرق أفغانستان.
وذكرت وكالة تاس أنه تم نقل خمسة آلاف طن من مواد الإمداد خلال الأربعة أيام الماضية من جرديز إلى خوست التى عزلت نتيجة حصار المجاهدين طوال معظم الحرب الأفغانية التى مضي علي نشوبها ثمانية أعوام.
تعليق:(أشرنا إلى أن القوات السوفيتية لم تحاول مطلقاً أن تقوم بعمليات ضد مراكزالمجاهدين القوية حول خوست، خاصة قاعدة جاور، وإنما إنسحبت بسرعة مكتفية بما حدث،أما كمية الإمدادات التى وصلت خوست فهى غير معلومة لدينا، والبيانات السوفيتية مبالغ فيها دائما).
 تقول الوكالات: على الجانب السياسى، أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط مايكل أرماكوست، ومسئول قسم الشرق الأوسط فى مجلس الأمن القومى "روبرت أوكلى" توجها الليلة قبل الماضية إلى باكستان لإجراء محادثات خاصة

بالوضع فى أفغانستان.
تعليق: (نلاحظ أن أمريكا بدأت تتحرك سياسياً فور إنتهاء الفقرة العسكرية مباشرة، وكذلك فعلت الأمم المتحدة، ومن هنا ندرك أهمية تلك الفقرة فى إتمام الصفقة السياسية كلها. وهنا يبرز علينا إسم "روبرت أوكلى" الذى سوف يشغل، بعد إتمام الإنسحاب السوفيتى وتشكيل حكومة منفى للمجاهدين عام 90، سوف يشغل منصباً غريباً للغاية، وهو منصب مبعوث خاص من طرف الحكومة الأمريكية لدى "المنظمات الأفغانية!!".
والملفت للنظر هو أن يأتى ذلك الموظف ذو المنصب الرفيع فى مجلس الأمن القومى، والمتخصص فى منطقة الشرق الأوسط ، أى المنطقة العربية ، كى يشرف على قضية أفغانستان فى أحرج أوقاتها. وذلك دليل آخر على حقيقة الإرتباط القائم بين ماحدث ويحدث فى أفغانستان، وبين الوضع فى المنطقة العربية، خاصة فيما يتعلق بالمسألة اليهودية ودولة إسرائيل. فراية الجهاد التى رفعت فى أفغانستان وتوافد عليها الشباب الإسلامى عامة والعربى خاصة أثارت مخاوف حقيقية لدى اليهود. وكان عليهم أن يتأكدوا من أن الجهاد لن يمتد إلى المنطقة العربية ليصبح طريقة لعلاج مشكلة إحتلالهم لأراضى فلسطين. وسوف نعود إلى تلك النقطة فى أحداث تالية لنؤكد نفس المعنى من واقع الأحداث التى وقعت فى العالم العربى وفيما يخص قضية فلسطين تحديداً.
إن مسألة الإنبعاث الإسلامى الجهادى فى أفغانستان أصبحت من وقتها وحتى الآن مشكلة تهدد الأمن القومى الأمريكى، والأمن القومى الإسرائيلى بنفس الدرجة، لأنهما يخوضان معركة واحدة ضد الإسلام.
لقد أرسلوا "أوكلى" ليمثل الأمن القومى الأمريكى، فى معالجة مشكلة أفغانستان، وتصفية الآثار الجهادية المترتبة عليها، لقد أشرف أوكلى على برنامج متكامل بهذا الصدد شمل التحرك السياسى الداخلى، فى أفغانستان ، والعالمى وأيضاً عمليات إغتيال للرموز العربية، وأعمدة العمل الجهادى الأفغانى ، خاصة من مثلوا تحدياً مكشوفاً لوجهات النظر الأمريكية مثلما فعل نسيم أخوندزادة مثلاً فى قضية المخدرات.
 <u>وذكرت صحيفة /واشنطن بوست:</u> أن أرماكوست طلب أن يلتقى فى باكستان بالزعماء الرئيسيين للمجاهدين وبينهم يونس خالص رئيس التحالف الإسلامى للمجاهدين. ونسبت لمصادر حكومية أمريكية قولها أن الرئيس الأمريكى رونالد ريجان بعث برسالة يطمئن فيها زعماء المجاهدين إلى أن واشنطن مستمرة فى دعمها لهم وهى ستعزز هذا الذعم طالما أن الأتحاد السوفيتى مستمر فى إحتلال أفغانستان.
وقال دبلوماسيون أمريكيون ومسئولون باكستانيون أن أرماكوست سيجرى مباحثات مع الرئيس ضياء الحق ورئيس الوزراء محمد خان جنيجو لتطوير إستراتيجيه مشتركه فى جنيف قريباً. وينتظر أن تكون جولة المباحثات المقبلة في المدينة السويسرية جوله نهائية.
تعليق: (أمريكا تطمئن زعماء المجاهدين أنها سوف تستمر فى دعمهم طالما الإتحاد السوفيتى مستمر في أفغانستان ، وهى عملية نفاق تقليدية فى عالم الدبلوماسية، أى أنه يمكن قراءتها بطريقة أخرى معاكسة فى معناها. فالمعنى الحقيقى للعبارة هو أن أمريكا سوف توقف مساعداتها للمجاهدين فى أعقاب الإنسحاب الذى أصبح وشيكاً.
والأهم من ذلك هو أن أمريكا تحدث قادة المنظمات الأفغانية فى موضوع الرشاوى المتمثلة فى السلاح والأموال ، أما بما يختص بالمصير السياسى لقضية أفغانستان فهى تتكلم فقط مع

الحكومة الباكستانية، والتى تتولى المفاوضة مع حكومة كابول تحت رعاية أمريكا والسوفييت، ووساطة الأمم المتحدة. أما المجاهدون فلا دور لهم إطلاقاً فى تحديد مصير قضيتهم، دورهم الوحيد هو القتال فى مقابل مايصلهم من مال وسلاح!!. إنها الحرب بالوكالة ، التى إنحدر اليها قادة أحزاب بيشاور، وألبسوا تلك الجريمة ثوب الجهاد فى سبيل ا !!.
فى جنيف تتفاوض الأبواق: البوق الباكستانى ينقل صوت السيد الأمريكى، والبوق الأفغاني "حكومة كابول" ينقل صوت السيد السوفييتي، والأمم المتحدة تقوم بدور مهندس الصوت. أما العقل الحقيقى والمدبر الفعلى للحرب وصاحب مؤمرات "السلام" فهم اليهود الذين لايراهم أو يشعر بهم أحد ، إلا نادراً، وكما حدث فى حالتنا تلك مع اليهودى الأمريكى "**رالف هامر**" الذى رتب مؤامرة السلام الأفغانية بين واشنطن وموسكو بعيداً عن الأضواء والإعلام).
 قالت مصادر مطلعة فى غضون ذلك أن مباحثات أرماكوست مع ضياء الحق وجونيجو وغيرهما من المسئولين الباكستانيين ستتركز حول: (1) العناصر التى سيتضمنها أى جدول زمنى لإنسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان من حيث الزمن والكيفية. (2) موعد وقف المساعدات التى تقدم للمجاهدين الأفغان وتبعات وقفها.(3)عملية تكليف الملك الأفغانى السابق ظاهر شاه بتشكيل حكومة إنتقاليه. (4) وعما إذا كانت الولايات المتحدة وباكستان ستجريان مشاورات مشتركة مع المجاهدين الأفغان حول وقائع التسوية السلمية للمشكلة الأفغانية.
(أربعة نقاط هامة يبحثها أرماكوست وأوكلى مع كبار رجال الحكم في باكستان أيسرها هو جدول الإنسحاب السوفيتى والمدة المقترحة لذلك الإنسحاب، وكانت بأن إتفق على جعلها 18 شهراً. النقطة الثانية حول وقف المساعدات للمجاهدين وتبعات ذلك .. وهى نقطه هامه لم تكن توافق رؤيه ضياء الحق بعكس رئيس وزرائه جونيجو الذى أنضم مع أحزاب المعارضة حيث إنضوى الجميع تحت راية أمريكا وليس تحت راية رئيسهم ضياء الحق(!) وتفاقمت تلك الحالة حتى إضطر ضياء الحق إلى عزل جونيجو عندما إشتبه فى تورطه فى الإعداد لإنقلاب عسكرى ضده ، لقد أوقفت أمريكا مساعدتها فعلاً للأفغان وكان عام **1988** هو آخر عام تصل فيه أسلحة وأموال من برنامج المساعدة الأمريكية، وإن كانت باكستان قد واصلت إرسال كميات محدودة من الأسلحة والأموال من واقع المخزون الأمريكي، القديم لديها. وكما شرحنا سابقاً فإن ضياء الحق كان ممسكاً فى يده بمفتاح المعونات، يزيد أو يقلل فى كمية الضخ منها حسب درجة حرارة الحرب الأفغانية التى أرادها دائماً تحت سيطرته وطبقاً لرؤيته الخاصة، وقد فعل ذلك بدرجه معقوله من النجاح.
ولكن مخزون السلاح الكبير الذى إحتجزه ضياء الحق كان نافعاً جداً فى السنوات العجاف التالية، رغم أن أمريكا دمرت جزءاً كبيراً منه فى حادث معسكر آوجارى فى روالبندى، فى أبريل88. البند الثالث وهو إستدعاء الملك ظاهر شاه إلى أفغانستان وهى النقطة الوحيدة التى تمسكت باكستان برفضها وحتى الآن ربما بسبب إن أمريكا غير جادة تماماً فى هذا الشأن وإنما تستخدمه فقط، كأداه ضغط على باكستان كلما إقتضت الحاجة إلى ذلك، ومثلما تفعل بإستخدامها موضوعات (القنبلة النووية الإسلامية!!) أو (تجارة المخدرات) أو قضية (الإرهاب) عندما عزمت أمريكا على طرد العرب المجاهدين من المنطقة كلها والبدء أولا بطردهم من باكستان . البند الرابع وهو إحتمال قيام الولايات المتحده بالإشراف على مفاوضات مباشرة بين حكومة كابول الشيوعية وبين زعماء المنظمات الأفغانية في باكستان وهو موضوع رفضه ضياء الحق تماماً ، وكذلك فعلت الحكومات التالية له، حرصاً على حجب الأفغان عن أى

عمل قيادى فى تقرير مستقبلهم السياسى، وحتى لوكان ذلك العمل خيانياً مثل عقد إئتلاف مع الحكومة الشيوعية التى دمرت البلاد، وفتحتها لجيش الإحتلال، ثم إنها على وشك السقوط بعد إنسحاب القوات السوفيتية. ومع ذلك فإن بعض قادة الأحزاب قد عقد مثل تلك المفاوضات سراً مع حكومة كابول فى أوروبا وكان أشهر من فعل ذلك هو "سيد أحمد جيلانى".

ـ فى نفس اليوم ذكر راديو باكستان أن القوات السوفيتية والأفغانية لم تتمكن إيصال أية إمدادات حتى الآن عبر الطريق الممتد من مدينة جارديز إلى حامية خوست المحاصرة، وأن معركة فاصلة تدور رحاها الآن فى "ساروتى"و"زارداران" على طريق جرديز السريع غرب مدينة خوست المحاصرة. ثم ذكرت صحيفة البيان من دبى نقلاً عن وكالات الأنباء أنه:

 فى الوقت ذاته صرح ضابط سوفيتى فى حديث بثه التلفزيون السوفيتى من مكان الإشتباكات بأن الخسائر التى لحقت بالقوات السوفيتية فى المعارك التى دارت حول مدينة خوست كانت طفيفة، وظهر فى شريط التلفزيون السوفيتى أحد المراسلين على قمة أحد الجبال المحيطة بخوست وهو يشير بأصبعه إلى الأسفل حيث الطريق المؤدية إلى خوست ويقول إن مئات الشاحنات تتقدم على طريق مغبرة. إلا أن المراسل لم يقدم أيضاحات أخرى.

تعليق: (راديو باكستان قدم نصيبه المفروض من الأكاذيب، فالقوة السوفيتية وصلت إلى خوست منذ ثلاثة أيام وهو يتحدث عن معارك فاصلة!!. أما الأسماء الواردة فى الخبر، فإن سروتى فهى منطقة قريبة من سيدكرم، الضاحية الشرقية لمدينه جرديز، ومن سروتى يبدأ ذلك المدق الجبلى، الذى تقدمت منه القوة السوفيتية نحو طريق زدران الرئيس، والمدق كان يستخدمه المجاهدون والرعاة، أما "زارداران" فهو مكان غير موجود فى أفغانستان كلها، إلا إذا كان المقصود هو "زدران" وهى المنطقة الجبلية التى يمر عبرها الطريق الرئيسى بين جرديز وخوست).

 نلقى لمحة خاطفة على تأثير إتفاق العملاقين فى أفغانستان على المجال الدولى، فالصفقة الأفغانية كانت ضمن إعادة تنظيم شاملة لمصالح الطرفين. من أهم نقاط الصفقة مايتعلق بإتفاقات الحد من الأسلحة النووية، وذلك أثار الخوف فى حكومات أروبا الغربية التى شعرت أن أمنها القومى أصبح موضع مساومة وتواطؤ بين واشنطن وموسكو.

 ففى لندن قالت صحيفة "صندى تايمز" البريطانية أن قادة دول حلف شمال الأطلنطى "الناتو" سيعقدون إجتماع قمة فى مارس القادم وذلك للمرة الأولى منذ 6 أعوام. ويذكر أن رؤساء حكومات الدول الأعضاء فى الناتو لم يعقدوا سوى إجتماعين خلال السنوات العشر الماضية.

وقالت الصحيفة أن الإجتماع الجديد يستهدف تنسيق سياسة الحلف إزاء مساعى نزع السلاح بين القوتين العظميين وتهدئة مخاوف أوروبا من إحتمال تقليص الإلتزامات الأمريكية تجاهها بعد أتفاق إلغاء الصواريخ النووية المتوسطة والقصيرة المدى.

<u>الإتحاد ـ ـ 88/1/5</u>

بدأ مايكل أرماكوست وكيل وزارة الخارجية الامريكية محادثات مع المسئولين الباكستانيين أمس ومن المقرر أن يقابل أرماكوست خلال زيارته قادة المجاهدين الأفغان فى مدينة بشاور.

فى الوقت نفسه أعلنت مصادر المجاهدين الأفغان أمس أن حوالى خمسة آلاف مجاهد أفغانى غادروا باكستان لمساندة المجاهدين الذين يواجهون القوات السوفيتية الأفغانية المشتركة حول مدينة خوست، وصرح أحد زعماءالجبهة الوطنية الإسلامية حامد جيلانى "لوكالة فرانس

برس" أن خمسة آلاف مجاهد مسلحين جيداً أرسلوا منذ يوم السبت إلى منطقة القتال.
وقالت مصادر المجاهدين أن معارك بالسلاح الأبيض إندلعت عند مخرج ممر "ميرانجان" الإستراتيجى بينما تستمر الإشتباكات بين المجاهدين والقوات السوفيتية ـ الأفغانية المشتركة فى وادى زدران.
وقال المجاهدون إن المعارك إشتدت وإمتدت يوم الأحد إلى المنطقة السفلى لوادى زدران حيث تشتبك القوات السوفيتية المعززة مع الثوار الأفغان فى مناطق "سيدخيل" و"شمال" و"دوامندو" وأن إشتباكات عنيفة إستمرت أياماً عدة على طول الممر الجبلى فى ميرانجان.
ويرى المراقبون أن إمتداد المعارك إلى دوامندو قد يعنى تنامياً كبيراً للضغط الذى يمارسة المجاهدون.
تعليق: (إذن فقد وصل السيد أرماكوست وإستقبلته منظمات بشاور بذلك السيل العرم من الأكاذيب وهو أول من يعلم بطلانها، ولاأدرى أكان ذلك فى محاولة لإسترضائه أم لستر خذلانهم، أم لتغطية جريمتهم بدخان كثيف من الأكاذيب.
فالخمسة آلاف مجاهد التى ذكرها جيلانى الصغير " **حامد جيلانى هو إبن السيد أحمد جيلانى رئيس الجبهة الإسلامية الوطنية أحد أحزاب بشاور، ومن أنصار الملك ظاهر شاه من عشاق الغرب** "
الخمسة آلاف هؤلاء لم يصلوا حتى الآن إلى خوست، والسبب هو أنهم لم يتحركوا أصلاً، وممر ميرانجان الإستراتيجى ليس إستراتيجياً لأنه غير موجود أيضاً.
فالموجود هو مدق جبلى مجهول الأسم لأن المدقات لاإسم لها عادة.
وميرانجان المذكور ليس سوى دكان الحاج ميرجان الذى أطلق إسمه على منطقة من طريق خوست جرديز بعد أن تحولت إلى مايشبه السوق المكون من عدة دكاكين طينية وظل إسمها حتى الآن "ميرجان دكان" على أسم مؤسس السوق الحاج ميرجان الذى لم يخطر فى ذهنه قط أن يصبح مادة أخبارية أو أن يتحول دكانه المتواضع جداً إلى ممر إستراتيجى مرة واحدة!!).

(خبر):أكد صحافى غربى وصل إلى بشاور فى شمال غربى باكستان على مقربة من الحدود الأفغانية من منطقة القتال، إن تعزيزات المجاهدين بدأت فى الوصل يوم السبت إلى منطقة خوست.
تعليق: (كما ذكرنا فإن الإعلام الغربى ـ الدولى ـ قد حافظ على أن يكون أبعد مايمكن عن أرض المعركة، والآن بعد أن إنتهى كل شيء وصل "أحدهم" إلى بشاور التى يصفها بأنها قريبة من منطقة القتال، وهكذا يواصلون ليس فقط تزوير المعارك والأنباء بل وتزوير الجغرافيا نفسها، فالمسافة بين بشاور وميرانشاه الحدودية تبلغ 300كم وتحتاج إلى 7 ساعات فى سيارة).
(خبر): قدرة ا أحمد ، القائم بالأعمال فى سفارة أفغانستان فى إسلام آباد صرح بأن مستشارين أحدهما أمريكى قتلاً فى صفوف المجاهدين، وأن 50مستشاراً أجنبياً معظمهم أمريكيون وفرنسيون"يدربون ويقودون" المجاهدين حسب زعمة.
تعليق: (مازالت اسطورة أخونا عثمان الصعيدى سارية المفعول، وإن كان هناك إثنان من العرب ، على الأقل ، قد قتلا قريباً من مناطق المعارك بسبب القصف المدفعى أو الجوى).
(خبر): وكالة تاس أعلنت اليوم أن محكمه ثورية خاصة قد حكمت بالسجن لمدة عشرة سنوات

على الصحفي الفرنسي آلان جيو الذى إعتقلته السلطات الأفغانية فى 87/9/12 قرب قندهار، وهناك صحفى إيطالى آخر إعتقل مع المجاهدين ومازال رهن التحقيق.
تعليق: (ومع ذلك لم يقترب أحدهم نحو خوست أو حتى الحدود القريبة منها وجميع الصحفيين الغربين الذين إعتقلتهم حكومة كابول الشيوعية وقت الحرب كان يطلق سراحهم بعد وقت قصير من صدور الأحكام "الثورية" بحقهم).

1988/1/6ـ الإتحاد ـ الخليج:

تسترعى زيارة إدوارد شيفرنازه المفاجئة لأفغانستان إنتباه الأوساط الدبلوماسية وجميع من تهمهم قضية التسوية الأفغانية بالطريق السياسية.

إن هذه الزيارة المفاجئة لوزير الخارجية السوفيتى لكابل وهى الأول منذ توليته هذا المنصب تأتى تأكيداً قاطعاً لإنتصار السوفييت فى كسر الحصار عن مدينة خوست من قبل المجاهدين الأفغان.

... وليس صدفة أن تتزامن زيارة شيفرنادزة لأفغانستان مع زيارة مايكل أرماكوست نائب وزير الخارجية الأمريكى لباكستان لتسليم المجاهدين رسالة الرئيس الأمريكى المتضمنة تأكيداته بدعمهم ومساعدتهم مادياً وعسكرياً.

... قالت مصادر سوفيتية بأن وزير الخارجية السوفيتية بحث مع كبار المسئولين فى حكومة كابول موضوع إمكانية تقليص فترة إنسحاب القوات السوفيتية إلى النصف أى ستة أشهر، وإن فك الحصار عن خوست يعنى بالنسبة للسوفييت بأن الجيش الأفغانى أصبح قادراً الآن على أن يتحمل لوحده مسئولية الأشراف على الأمن والأستقرار فى أفغانستان، كما أن سيطرة القوات على جميع الطرق المؤدية إلى خوست سيقطع الطريق أمام هجومات المجاهدين من الأرض الباكستان.

تعليق: (موسكوا تستعد للرحيل خلال ستة أشهر، وكانت تطالب سابقاً بعامين أو ثلاثة. ولكنها أظهرت إهتماماً أكثر بعملائها فى كابول بأن أرسلت اليهم وزير خارجيتها، بينما لم تظهر أمريكا نفس الإهتمام بعملائها فى إسلام آباد من باكستانيين وأفغان، وتتظاهر موسكو بالإطمئنان على مصير النظام بعد إنسحاب قواتها وتتخذ من مسرحية طريق زدران مبرراً لهذا الإطمئنان. وفى سبيل ذلك لابأس من دفعه أكاذيب مثل قولهم بأنهم سيطروا على جميع الطرق المؤدية إلى خوست، وأنهم بذلك قطعوا الطريق أمام هجمات المجاهدين، وذلك شيء لم يتحقق قط فى يوم واحد من أيام الحرب كلها.

ولكن الأحداث اللاحقة أثبتت إلتزام موسكو بدعم نظام كابول ومنعه من السقوط، بعد إذن أمريكا طبعاً. لذلك تركوا له مايكفى من السلاح والخبراء ، كما أعلنوا ذلك رسمياً.

وأيضاً بزيادة مليارات فى المعونة المقدمة إلى كابل بعد إتمام الإنسحاب، وبينما كان عام 1989 هو عام القحط أو بداية السنوات العجاف بالنسبة للمجاهدين فإن موسكو زادت دعمها السنوى المقدم إلى كابل من 4مليارات سنوياً إلى خمسة مليارات، ويعتقد أن المبلغ تكفلت به السعودية وباقى دول الخليج . ويؤكد عدد من المسئولين السوفييت بأنهم سوف لن يتركوا جارتهم أفغانستان تتعرض لمحنة ما لوحدها وأنهم سيستمرون فى تقديم الدعم المالى والعسكرى لها.

... أكد جيراسيموف أن طابوراً أفغانياً حكومياً يضم 200 عربة نقل وصل إلى خوست حاملاً

بضائع مختلفة وخصوصاً مواداً غذائية يبلغ وزنها 4500 طن.
... فى باريس قالت مصادر وزارة الخارجية الفرنسية أن جان برنار ريمون وزير الخارجية إستدعى أمس باكوف رايبوف سفير الإتحاد السوفيتى فى باريس وطلب منه التوسط لدى السلطات الأفغانية لاطلاق الصحفى الفرنسى آلن جيو الذى صدر ضده حكم بالسجن فى كابل لمدة عشرة سنوات بتهمة التجسس.
تعليق: (نلاحظ أن المجهود الحكومى الفرنسى قد بدأ فور إصدار الحكم على مواطنهم الصحفى، وربما قبل صدور الحكم، ومن أجل إطلاق سراحه.
وبالفعل لم يحتجز آلن جيو سوى وقت قليل، فهل يمكن أن نقارن ذلك بموقف الحكومات العربية تجاه مواطنيهم العرب فى أفغانستان؟ لم يتحرك هؤلاء الشباب إلى الجهاد إلا بعد تحريض علماء السلطة لهم وتوصيفهم للجهاد هناك بأنه "فرض عين" على كل قادر، وقامت الحكومات بتسهيل سفر هؤلاء الشباب بشكل مباشر أو غير مباشر.
وإنتهت الرحلة كما هو معلوم إلى مطاردة دولية مثير تتقدمها الحكومات العربية بتحريك أمريكى وتخطيط أسرائيلى.
وبعض الأسرى العرب فى كابل حقق معهم محققون عرب وبعضهم حاكمهم قضاة عرب، وبعضهم زارهم رجال دين وصحفيون عرب ووجهوا لهم اللوم والتقريع والإتهام بالإرهاب والتخريب. ثم طاردت الحكومات العربية مواطنيها المجاهدين فى إطراف المعمورة مطالبة بتسليمهم لمحاكمتهم وتعليقهم على أعواد المشانق.
إن إنظمتنا تسهر ليلها ونهارها لحماية المجتمع من أى خلية إنسانية حية، فهى تريد الموات التام للجميع والسير بهم فى عبودية اليهود والنصارى).

<u>الثلاثاء 88/1/19 جريدة مسلم "باكستان".</u>
إحتفلت حكومة كابل أمس بفتح الطريق بين جرديز وخوست، وحضر الإحتفال ، الدكتور نجيب ا رئيس الدولة وعدد من كبار المسئولين يتقدمهم رئيس الوزراء سلطان على كتشمند والضيوف الأجانب.وقد وزعت الجوائز والميداليات على العسكريين الذين شاركوا فى ذلك النصر.وقال نجيب أن الطريق قد فتح بعد تسع سنوات طويلة من الحصار، وقد تمكنت الحكومة أخيراً من تموين 40.000 مواطن فى المدينة على طريق البر.

تعليق: (بعد فتح مدينة خوست كانت هناك دبابة واقفه فوق نصب تذكارى وقد أطلقت عليها الحكومة الشيوعية "قهرمانى تانك" أى الدبابة البطلة، وقد أدعوا أنها الدبابة الوحيدة التى نجت من الكمين الذى نصبه المجاهدين فى صيف 1979 ودمروا فيه القافلة العسكرية التى كانت الأخيرة من نوعها حتى مؤامرة 1988 التى ذكرناها.
وكان الكمين من إعداد رجال حقانى وقد شاهدنا آثاره بعد يومين ، تقريباً ، من وقوعه كما ذكرنا ذلك فى مكان سابق).

<u>الخميس 88/1/21 ـ الإتحاد</u>
إنفجرت ثلاث صواريخ قرب مدرج مطار خوست شرق أفغانستان أمس الأول فى الوقت الذى كانت تستعد فيه طائرتان تقلان عدداً من المراسلين الأجانب للاقلاع. وقد وقعت الأحداث بعد

الغروب عندما إنفجر الصاروخان على بعد 500 متر من طائرة من طراز "انتينوف ـ 26" تابعة للجيش الأفغانى كانت تستعد للعودة إلى كابل بعد زيارة إستغرقت يوماً إلى خوست نظمتها الحكومة الأفغانية لفريق من الصحفيين الأجانب.
تعليق: (هذه الرحلة نوع من الخداع الإعلامى فى الحرب النفسية التى برع فيها السوفييت والشيوعيين فى كابل، ففى يوم 24يناير كانت القوات السوفيتية الأفغانية التى قامت بالعمليات قد أخلت المنطقة تماماً حتى أنها أخلت مرتفعات "ستى كندو" / 15كم من جرديز/ وهى تعتبر مفتاح المنطقة، وكان ذلك من علامات الضعف العسكرى التى أخفاها السوفييت تحت ضجيج إعلامى كثيف،وقبل إنسحابهم زرعوا أعداداً لاتحصى من الألغام فى ستى كندو وغيرها).

****

التاريخ ... الضحية الأولى للكذب

قالت العرب قديما : أول الحرب كلمة . وربما كانوا يقصدون أن الكلمة قد تتسبب في نشوب حرب . أما الآن فأن العلاقة بين الكلمة والطلقة أصبحت أشد وثوقا حتي أن كلاهما يستخدمان ضمن مخطط عسكري واحد . وأصبح للكلمة حربها الخاصة التي تدعي " الحرب النفسية " وللطلقة حربها المعروفة رغم تنوع أشكالها بين حروب تقليدية إلي حروب غير تقليدية أو حروباً بالوكالة .
- " الحملة الأعلامية " أصبحت ضرورة لا غني عنها " للحملة العسكرية " كما أنهما تترافقان خطوة بخطوة لأن الحملة الإعلامية هي حملة للتأثير النفسي علي بني البشر أعداء كانوا أم أصدقاء ، بما يخدم أهداف الحملة العسكرية . ولادعي للتذكير بأن الكذب هو أحد المكونات الرئيسية للحملة الإعلامية. ولابد أن تكون هناك جزئيات من الحقيقة تكون دوما مخلوطة بكميات من الأكاذيب أو المعلومات غير المكتملة أو المشوشة أو المغلوطة . وهناك قاعدة متفق عليها - ضمناً - في العمل الأعلامي العسكري وهي أن الحقيقة لا تفيد أحداً. ولما كان طرفي الحرب متفقان علي ذلك، بالتالي تكون الحقيقة محظورة ومن الصعب جداً العثور عليها . أما نشرها علي الملأ، فهو مخاطرة قد تؤدي إلي الموت ، أو الإستبعاد خارج المجال الأعلامي والوقوع في دائرة " الحجر الصحي الإعلامي "، وبالتالى معاناة الفقر والتهميش، وربما الجنون. خاصة إذا كانت نفسية الإعلامى من النواع المثالى، وهو أمر نادر جداً لحسن الحظ . فالواقع يبرهن أن ممارسة الكذب والخداع تجلب المال والشهرة، بينما الإصدار على البحث عن الحقيقة ومحاولة نشرها يؤدى إلى الموت أو الفقر والعزلة، وهذه قاعدة هامة ، فى العمل الإعلامى بوجه عام، وفى أوقات الحروب بشكل خاص جداً. والأطرف من هذا كله أن الحقيقة اذا وجدت فرصة ضيقة للظهور فإنها لاتجد من يصدقها حتى من الجمهورالذى تعنيه معرفة الحقائق. والسبب هو أنها تعارض السيل العام من التدفق الإعلامى المنوع والمنتشر، والجذاب، فتبدو الحقيقة إلى جانبه باهته وشاذة ومن ثم .. مستهجنه !!.
تلك "الشيطنة" الإعلامية لاتخدم سوى مصالح الحيتان الضخمة فى عالم السياسة السفلى، لذا كان الإعلام الدولى ملكية يهودية فى معظمه.
أما التاريخ فهو جثة ضخمة قتلتها "الشيطنة الإعلامية" فبعد كل ذلك التزوير فهل بقى شيء

إسمه تاريخ؟.
حمل الإعلام الدولى السمات النفسية لبنى إسرائيل الذين وصفهم القرآن الكريم فى مجال التعامل مع الحق بصفات هى:
الأولى: تلبيس الحق بالباطل.
الثانيه: كتمان الحق.
الثالثه: الكذب والإفتراء.
وإذا عددنا فضائل الإعلام الدولى فلن تخرج عن تلك "الفضائل" المذكورة. والحملات الإعلامية ضد المسلمين والتى يشنها ذلك الإعلام خير دليل على ذلك. ورغم تظاهر ذلك الإعلام بمساندة المسلمين أثناء الحرب الأفغانية، إلا أنه كان يعمل فى إطار حملة دولية لإستئصال الإسلام من أفغانستان، وهو الهدف الوحيد الذى كان محل إتفاق كامل بين المتنافسين: السوفييت والأمريكان.
- من الألاعيب الشيطانية فى الحملة الإعلامية التى رافقت حرب أفغانستان نرصد تلك الحالات على سبيل المثال:
 إستخدام الإعلام الدولى ، اليهودى، تعبير "مجاهدين" عندما تأكد أن حرب أفغانستان إنما تحولت إلى "حرب بالوكالة" يستخدم فيها الدين كأداة لتحميس المقاتلين وإستخدام دمائهم كوقود مجانى للمعركة.
بينما تحول فعل الجهاد إلى "إرهاب" عندما مارسه المسلمون لأهداف إسلامية صرفة فى فلسطين ومصر والجزائر.
 القيادات الميدانية من العلماء والإسلاميين الذين حققوا إنتصارات كبيرة، جرى التعتيم عليهم إعلامياً أو تجاهلهم تماماً، أو الحط من قدرهم. بينما عمد إلى تضخيم إنجازات قيادات أكثر ميلاً للغرب "مسعود، عبدالحق"، أو تكوين هاله دعائية من فراغ لقادة أفغان وجنرالات متحالفون تماماً مع الغرب " جنرال عبدالرحيم وردك وغيره... ".
الإنتصارات العسكرية البارزة لاقت نفس المصير السابق والمعارك الهامة ضاعت معالمها، والمعارك الصغيرة أو المسرحيات العسكرية تم تضخيمها لأسباب سياسية ونفسية.
فمسرحية فتح الطريق إلى خوست شاهدنا فى مرافقتها واحدة من أضخم حملات "التعمية" الإعلامية.
بينما فتح خوست رغم خطورة ما ترتب عليه من آثار جذرية غيرت تاريخ المنطقة، لم نكد نلحظ له إهتماماً يذكر فى الإعلام الدولى.
 المعارك السهلة - أو التى جرى الإتفاق المسبق على نتائجها- قام الإعلام الدولى تضخيم الصعوبة التى تواجهها والمخاطر التى تكتنفها، والهدف من ذلك رفع قيمة المنتصر وتعزيز معنوياته أو تعزيز موقفه السياسى الداخلى والدولى.
وهذا ماحدث فى معركة طريق " زدران". ولايقلل ذلك من قيمة المقاومة التى أبداها حقانى ورجاله القلائل، الذين عرقلوا تقدم القوة الشيوعية مايقرب من شهر، وفى ظنى أن هذا التأخير لايعود كله إلى ضراوة المقاومة فقط ، بل يعود أيضاً إلى مخاوف القيادة العسكرية السوفيتية التى لايمكن لها أن تثق بشكل كامل فى تعهدات سياسية بتسهيل نصر عسكرى خاصة فى منطقة مثل منطقة زدران، والتى تصلح لأن تكون مقبرة ضخمة لأعتى الجيوش. ولاشك أن خدعة بهذا الشكل لابد من الأحتراز لها، لأن ضياع تلك القوة المهاجمة والتى تقدر بثلاثين

ألف جندى سوفيتى، كان لابد أن يعقبها إنسحاب مخزى من أفغانستان شبيه بإنسحاب فرنسا فى فيتنام بعد معركة "ديان بيان فو" أو إنسحاب أمريكا من فيتنام أيضاً بعد معركة "سايجون" والحل البديل لذلك لم يكن ممكناً لأنه يعنى حرباً عالمية لامفر فيها، وهو مالم يكن السوفييت على إستعداد لمجرد التفكير فيه.

□ فى المقابل فإن المعارك الصعبة جداً، أو شبه المستحيلة جرى التهوين من شأنها والإيهام بسهولتها البالغة بهدف الحط من قيمة القائمين بها فى حال فشلهم"المؤكد".

وهذا ما حدث فى معركة جلال آباد"1989" التى آشاع الإعلام الدولى أوهاماً واسعة بقرب سقوطها فى أيدى المجاهدين، وهو ما كان واضحاً لأى مراقب أنه أمر مستحيل.

وعندما فشل المجاهدون فى تحقيق ذلك "النصر السهل" إنقلب عليهم الرأى العام الدولى، والإسلامى وراءه ، بأنهم فاشلون متفرقون، وينبغى عليهم القبول بالحلول السلمية المطروحة دولياً.

حدث نفس الشئ عندما أشاع الأمريكيون أن كابول سوف تسقط بسرعة فى أيدى المجاهدين فى إعقاب الإنسحاب السوفيتى، وتمادوا فى ذلك بأن حددوا مواعيد قريبة بدأت بستة أشهر ثم شهر واحد ثم عدة أيام.. وإنساق خلفهم قادة الأحزاب " الجهادية!" فى بشاور حيث تسابق الزعماء هناك فى ضرب مواعيد أقصر لسقوط كابول. وهو نفس مافعلوه عند نشوب معركة جلال آباد، ولما إنقضت كل تلك المواعيد، وظهر زيف التصريحات الرنانة للزعماء تضرر الموقف العام للجهاد فى أفغانستان، وزاد تفككه الداخلى، وعزلته الدولية، وجرى تشويهه على أوسع نطاق، حتى داخل العالم الإسلامى.

□□ لاشك عندى إننا ، كمسلمين ، نعيش أعمق أزمة مرت علينا فى تاريخنا فى مجال الفكر الدينى. فقد تشرزمت الأمة على مفاهيم للدين متنافرة بل متطاحنة حتى لم يعد هناك مجال للقاء أو مجرد هدنة.

وحتى داخل الفصيل الواحد تتوالى الإنقسامات حتى يكاد يقف كل فرد وكأنه أمه قائمة بذاتها.

نقول أيضاً أنه فى أيام الصدارة الأولى لم يستنكف المسلمون من تعلم الكثير من الذين حاربوهم أى الفرس والروم.

فنقلوا عنهم الكثير، سواء فى طرق الحرب وتعبئة الجيوش ومعدات القتال أو تنظيم الدولة وإداراتها.كما أن المسلمين لم يتوقفوا لحظة واحدة عن تطوير أنفسهم فى كافة مجالات الحياة حتى أنهم ، فى فترة وجيزة ، هضموا أعظم حضارتين. ولاداعى هنا للإشارة إلى مانحن فيه، كطلائع إسلامية"!!!" من جمود مخيف. فنحن لانتعلم من أعدائنا، بدعوى أننا نرفض حضارتهم الكافرة جملة وتفصيلاً.

تماماً كما نعلق عجزنا وجمودنا فى مجال الفكر الدينى على مشجب "السلف الصالح".

وإذا تأملنا حركة أعدائنا فى أفغانستان ، سواء السوفييت أو الأمريكان ، فسوف "نكتشف" بسهولة أن لهم قيادة مركزية عليا تشرف على حركتهم كلها، أو فلنقل حربهم الشاملة ضدنا.

ـ و المجهود العسكرى الشيوعى متماسك، فالعمليات الحربية فى أى بقعة داخل أفغانستان مرتبطة بتحركات باقى الوحدات الساكنة أو المتحركة والجميع داخل فى إطارخطة واحدة وقيادة واحدة.

قد يبدو ذلك بديهياً لكثيرين لدرجة أن ذكره قد يضحكهم. ولانلومهم على ذلك لأنهم لم يشاهدوا حالتنا كمجاهدين فى أفغانستان. وكيف أن كل مجموعة صغيرة "جروب" ليست سوى مملكة أو

كوكب مستقل بذاته، يتحرك بمزاجيه خاصة ويصعب التنبؤ بردود أفعاله تجاه العدو أوالصديق.
 لدى أعدائنا نجد أن المجهود السياسى دائم الحركة أبداً وغير مقيد بموسم معين. وفى حالة الحرب يخدم بكل قوة، وفى كل سكنة أو خلجة أهداف الحرب ويترافق مع تطورها خطوة بخطوة، فلكل مرحلة من مراحل الحرب نشاطها السياسى الذى يخدمها.
 هذه بديهية نرجو ألا تثير إبتساماً لأنها مأساوية تماما بالنسبة لنا.. فنحن ما أسهل أن نتنازل عن العمل السياسى لأحد أعدائنا، مكتفين نحن بالعمل العسكرى كأقصر طريق يؤدى إلى الجنة. فيتحول جهادنا إلى إعلاء لكلمة الباطل وليس لإعلاء كلمة ا . فدورنا السياسى فى أفغانستان تركناه لباكستان الذى تلقفته منها أمريكا بالقوة والرشوة معاً.
 تكلمنا عن الحملة الإعلامية الدولية، وكيف أنها كانت مكملاً عضوياً للحملة العسكرية والحملة السياسية، بحيث كان عسيراً جداً أن تفصل بين مكونات "الحملة الشاملة"، والتى كنا نحن ضحاياها. ورأينا كيف قابلنا الحرب الشاملة بمجهود رجل واحد مع بضعة رجال حوله، منغرسون فى الجليد بلا طعام أو ملابس مناسبة، ولايكاد يدرى بهم أحد.
كان مجهودنا الإعلامى الإسلامى ، وقتها ، منصب على تلميع زعيم معين وتزكية إرتباطات حزبية معينة، وبالتحديد كان إعلامنا الإسلامى ، إخوانياً ، وقد مارس إخوانيته بأضيق ذهنية ممكنة ، كما فعل ذلك دوماً ومازال.
كما أن مجهودنا الإعلامى مرتبط بالمناسبات وردود الأفعال أكثر من إرتباطه بمخطط إعلامى هو ذاته جزئية من مخطط أشمل سياسى وعسكرى.
 لن نتكلم عن الإقتصاد وإرتباطه بالخطة العامة للحرب لأن العمل الجهادى ، حتى الآن مازال يعتمد "إستراتيجية التسول الإقتصادى"، بإستثناء هؤلاء "الأذكياء".الذين نجحوا فى تحويل الدماء إلى ذهب، بإستخدام كيمياء الخيانة والكذب والإحتيال. وحسب ما رأيت فإن القاعدة العامة هو أننا ، كمجاهدين ، فشلنا فى الجميع بين الجهاد والعمل الإقتصادى وسريعاً ما رحل أحدهما عن الآخر. وكثيراً ماكان الجهاد معبراً جيداً إلى الثروة، والعكس لم يكن صحيحاً أى أن الثروة لم تكن مدخلاً إلى الجهاد، وإن تزاملا فلمدة قصيرة للغاية . بإستثناء حالة أسامة بن لادن التى كسرت القاعدة الذهبية للجهاد المتسول فقد دخل إلى الجهاد مصطحباً ثروته معه.
وتذكرنا أفغانستان بأن الجهاد الذى لايمول نفسه لايمتلك قرارة. ونتذكر أيضاً بأن الإقتصاد مع الحرب مع السياسة، يكونون مثلثاً حديدياً يستحيل فصل مكوناته عن بعضها.
ـ نعود إلى الإعلام مرة أخرى لنصنفه كأحد روافد العمل السياسى، رغم إستقلاليته التى تكون خادعة، خاصة فى المجتمعات الديمقراطية. وأظنه من السذاجة تخيل أن الإعلام ـ فى أى مجتمع كان ـ هو مجرد جسم ينطلق حراً فى سماء حرية الفكر. إن الإعلام صناعة مكلفة جداً، ولايدر عائداً يذكر مقارنة بتكاليفه الباهظة، لذا لابد أن يعتمد على تمويل الدولة أو تمويل الإحتكارات الإقتصادية الكبرى.
فالإعلام أداة سياسية فى يد من يموله، وهو جزء من التحرك السياسى لذلك الممول.
قد يخادع البعض بأن بعض المؤسسات الإعلامية العملاقة تحقق ربحاً، ولكن ذلك يتجاهل أن الإعلانات التجارية هى التى توفر ذلك العائد، والتدفق الإعلانى لايأتى إلا من جانب الإحتكارات التجارية التى تمول ذلك الإعلام بشكل غير مباشر بواسطة الإعلان عن بضائعها.
- -

الجزء التالى كتب فى قندهار
قرية عرب خيل يوم الإثنين
97/7/7

غرابان بين طيور الكنارى

كنت أتصور أن عام 88 سوف يكون مجرد إمتداد طبيعى لعام 87. لذا كان مشروعي الرئيسي أن أقوم مع عبدالرحمن بإنشاء قوة إحترافية من الأفغان طلاب العلوم الشرعية وأبناء الشهداء. ومع محاولة إكتساب عناصر محددة جداً من العرب، رغم أن ذلك الإحتمال كاد أن يتلاشى بعد ظهور عنصرين على الساحة الأفغانية جعلانا على الهامش تماماً بالنسبة للتواجد العربى.

العامل الأول هو مجئ منظمة الجهاد المصرية، وبداية حملة تجنيدها للمصريين .

والعامل الثانى هو ظهور أسامة بن لادن على ساحة العمل العسكرى، وبما يمتلكه من طاقة مالية هائلة، فأستقطب الغالبية العظمى من التواجد العربى(إما بالتجنيد أو مجرد التأثير) متخطيا بذلك تيار الشيخ عبدا عزام المكون أساساً من عناصر فلسطينية وأردنية، تربطها بالشيخ رابط الإقليمية أو القرابة، ثم عناصر إخوانية من دول مختلفة.

ولم أكن وعبدالرحمن متوافقين مع أى من تلك التيارات بحيث نندمج معها فى عمل مشترك. وأقصى ما رغبنا فيه نوع من الصداقة الشخصية مع أفراد وقيادات الجهاد المصري، وجماعة أبوعبدا ، ونوع من السلام وعدم الإعتداء مع أفراد جماعة الشيخ عبدا عزام، الذى كانت علاقتنا به شخصياً طيبة جداً رغم تحفظاته المكتومة التى لاتخلو أحياناً من أعجاب بأعمالنا.

كنت وعبدالرحمن نشعر بوحدة وعزلة فى الوسط العربى، وإستمرحزنى على"ضياع الطاقة العربية فى مسارب غير مجدية".المشروع الوحيد الذى كان فى نظرنا جديراً بالإحترام والتضحية هو الإستيلاء على مدينة خوست بالقوة ، وهو عمل ممكن جداً كما نظن ، ونتائجه سوف تكون هائله لصالح الجهاد فى أفغانستان، وللإنتقام من السوفييت وإخراجهم من البلاد بهزيمة عسكرية وليس بإتفاق سياسى ـ بالشروط المتداولة ـ والتى نرى أنها ضارة بقضية الإسلام فى أفغانستان أكثر من أى هزيمة عسكرية يمكن أن نواجهها فى ميدان المعركة.

فتيار الجهاد المصرى بدأ يصرح ، وبقوة متصاعدة ، أن الجهاد فى أفغانستان هو لعبة دولية، ولن يسفر عن قيام دولة إسلامية، والأولى بنا كمصريين ـ أن نغتنم فرصة "الجهاد الأفغانى" من أجل أعداد أنفسنا للجهاد فى مصر ـ قلب العالم الإسلامى، وليس أفغانستان المليئة بالبدع والشركيات .

- تيار أسامة بن لادن ـ بدأ بالتدريج يعرب عن وجهة نظره ـ بأن الجهاد الأفغانى فرصة لبعث روح الجهاد فى اليمن وجزيرة العرب تمهيداً لطرد الشيوعية والعلمانية من هناك فى وقت لاحق.

وظل ذلك التيار على موالاته لقادة الأحزاب الأفغانية فى بشاور. خاصة سياف وحكمتيار وربانى ، ولكن بعد معركة جاجي صار تقاربهم أوثق مع حكمتيار وظل كذلك حتى نهاية الحرب.

- أما تيار الشيخ عبدا عزام فكان يرى "الجهاد الأفغانى" فرصة لإيقاظ الأمة من غفوتها

وبعث روح الجهاد فيها.
وكان يرى أن دور العربى هو دور معنوى وتشجيعى وأن الممارسة القتالية لاينبغى أن تتخطى ذلك النطاق.
وكنا نرى إن موقف "الجهاد المصرى" هو نوع من الإنتهازية. فالقضايا الإسلامية لا يمكن تجزئتها. وإذا لم نتمكن من الإنتصار العسكرى فى أفغانستان رغم كل الظروف المواتية، فمن المشكوك فيه كثيراً أن ننجح فى أى منطقة أخرى. وأن التشدد الفقهى الذى يبديه أخواننا المصريون، سوف يضر بموقفنا فى أفغانستان، بل فى مصر نفسها التى تأبى هذا المنطق من التشدد والتحجر الفقهى المتعجرف.
ـ وأخذنا على تيار أسامة بن لادن، أنه توسع أفقياً أكثر من اللزوم، وأن عناصر "الجزيرة" لايمكن ضبطها فى عمل عسكرى منظم، ناهيك عن معتقداتهم السلفية التى تجعلهم فى عزلة عن الأفغان وأحياناً فى صدام معهم.
أما سياسياً فإن القادة الأفغان الذين يسلمون لهم بالقيادة لانرى فيهم سوى أنهم مجرد خونة يستحقون الإعدام بعد أى محاكمة عادلة. من أجل ذلك لم نكن نتوقع لتلك المجموعة أى تأثير يذكر على مجريات الجهاد مع الأفغان.
أما عن موقفنا من تيار الشيخ عزام، فمن البداية كنا فى تحفظ تجاه عاطفيته المفرطة، وإنعدام قابليته للتنظيم، وإبتعاده عن العمل العسكرى الجاد، ثم وقوعه فى براثن الفئوية.
كان ذلك مرض الجميع بدرجات متفاوته، "فالجهاد المصرى" للمصريين وجماعة، "أسامة بن لادن"هى لأهل الجزيرة أساساً .وإن بذلت مجهودات كبيرة لإبتعاد عن ذلك المنزلق..
وجماعة عبدا عزام هى "شامية" بشكل عام وإخوانية التوجه.
ومع ذلك فقد طار إخواننا وإلتحقوا "بالصرعات الجديدة" فطار أبوجهاد إلى جماعة الجهاد، وطار "أبوعبيده"ثم تلاه "أبوحفص" إلى جماعة "أسامة بن لادن" ، وأنقذ ا بهما العرب فى معركة جاجى، وقام كلاهما بالعبء الأكبر فى المشاريع التنظيمية والعسكرية لتلك الجماعة.
وبقيت مع عبدالرحمن كغرابين سوداوين فى وسط أسراب من طيور الكناري الجميلة والمغردة ، ولكن عندما نتجول وحيدين فى مجاهل منطقة بارى فى خوست، كان يخالطنى شعور بأننا ذئاب رمادية متوحشة، ولم أصارح عبدالرحمن أبداً بذلك الشعور لأنه لن يصدق. فهل للذئاب مثل حناجرنا الجميلة التى نصدح بها فى الوديان وقمم الجبال؟ وهل الذئاب تطلق النكات وتضحك من قلوبها حتى تقع على الأرض مثلما نفعل أحياناً؟.. وأى ذئاب تلك التى تؤلف الشعر والزجل وتتغزل بجمال منطقة بارى، وبإنتصارات خوست الوشيكة التى ستأتى حتماً من فوق جبل تورغار؟ " وقد صدقت نبؤآتنا تلك بحذافيرها ".
ومع ذلك قررنا معاً أن نعمل وبأقصى طاقة ـ لأن الظروف السياسية تتطور بسرعة نحو التسوية ـ وأن نستكمل قوة إحترافية من شباب الأفغان المنتقين بدقة، وأن نمارس معهم التدريب والعمليات فى آن واحد فى نفس الموقع توفيراً للوقت.
كان تقديرنا أن حقانى سوف يساعدنا فى إختيار العناصر الملائمة لذلك المشروع ـ وبالفعل فقد تحمس معنا كثيراً ـ وأبدى إستعداده بإمدادنا بالسلاح والأموال "إن إحتجنا إلى ذلك" وأخبرنا أن الباكستان ، وآخرين ربما كانوا عرب من الجزيرة ، على إستعداد لتمويله فى تكوين قوة مدربة قوامها خمسمئة مجاهد.
كانت تلك دفعة كبيرة لفكرتنا إضيفت إليها دفعة أخرى عندما عرض بعض أصدقائنا على

أسامة بن لادن الفكرة التى نعمل لأجلها، وكان الرجل وقتها فى قمة تألقه بعد معارك جاجى، فأبدى إستعداده لتمويل التدريب والعمليات كليهما.
قبل نشوب معركة زدران بفترة وجيزة كنا قد أعتزمنا العمل منفردين ، بدون عناصر عربية وكان فى تقديرنا أن سنبدأ العمل النشط فى شهر مارس 88 لندرك بدايات الربيع ونحن فى وضع يؤهلنا للمشاركة المؤثرة فى عمليات كبيرة بالمنطقة، ولم نكن قد أتفقنا مع حقانى ، شريكنا الأكبر، على أى برنامج محدد للعمليات. ولكننا عقدنا العزم على مهاجمة جبل تورغار والإستيلاء عليه، سواء بالإتفاق المسبق مع الآخرين، أو بتوريطهم بشكل متقن. ثم تطوير العمليات بعد ذلك حسب تطورات الوضع وقتها. على أن تكون خطوتنا التالية هى مطار المدينة ثم المدينة نفسها إذا إنهار الموقف العسكرى للقوة المدافعة عنه. فكان الحد الأدنى للبرنامج هو الإستيلاء على "تورغار" المفتاح الجنوبى للمدينة. وهو موقع يمكننا منه إغلاق المطار بإستخدام أشهر الأسلحة لدينا وهو الهاون 82 مليمتر، وصواريخ الكاتيوشا عيار 107 مليمتر.
وكنا نراهن على سقوط المدينة بإعتبار التدهور المعنوى للقوات الشيوعية والميليشيات فيها.
 لكن "عاصفة طريق زدران" كادت أن تعصف بكل آمالنا لولا لطف ا ونجاة حقانى.
ولكنها أسفرت عن إيجابيات لم نكن نتوقعها، وما كان لها أن تحدث لولا تلك العاصفة المحرقة.
وجدت مع عبدالرحمن أن أينع الثمار العربية قد سقطت فى سلتنا، وعلى غير إنتظار أوسعى من جانبنا، ولكن فقط نتيجة لتداعيات الأحداث العاصفة.
فبعد إنقشاع "عاصفة زدران" نبتت قناعات لدى أسامة بن لادن، والشباب حوله بأهمية منطقة خوست، وأهمية حقانى كقيادة ميدانية ذات وزن خاص. ورافق ذلك في مالمسوه من هشاشة زعماء الأحزاب فى بشاور وأنهم بعيدون عن المعارك الهامة الدائرة على أرض أفغانستان.
وكانت مفاجأة أخرى لاتقل غرابة، أن أتمكن مع عبدالرحمن من عقد عدة صداقات عميقة مع عدد من الشباب الجدد الذين أحاطوا بأسامة بن لادن، من أمثال: أبوأنيس، صخرى، شفيق، ذبيح ا . وهم من شباب الجزيرة التى لم نتصور يوماً أن نجد من شبابها من نستطيع أن نتفاهم معه، على أرض الجهاد ، ناهيك أن نعمل سوياً فى برنامج واحد.
وكان الإستلطاف متبادلاً، وإقتنع هؤلاء الشباب بالعمل معنا فى خوست، بعد أن شرحنا لهم فكرتنا بإيجاز. وذهب بعضهم إلى حد الإستعداد للسكنى فى تلك المدينة الحدودية "ميرانشاه"، فى حماية القبائل حتى نستمر فى العمل الجهادى إذا أدت التسوية السياسية المرتقبة إلى إغلاق الحدود فى وجهنا، أو إلى منعنا من التحرك بحرية من داخل باكستان إلى الحدود الأفغانية.
وأيد حقانى فكرتنا تلك، وكان مستعداً لشراء أراضى من القبائل وتحت حمايتهم بحيث نسكن إلى جوار المدرسة الدينية منبع العلوم التى كانت قيد الإنشاء وقتها حتى نكون ضمن تكتل دفاعى من رجاله ومن القبائل حتى لانتعرض لمخاطر أمنية فى تلك المنطقة الخطرة عادة.
 كان صديقنا أبوعبيدة هو المسئول العسكرى لدى جماعة بن لادن حيث كان أبوحفص قد إنضم لفترة قصيرة إلى تنظيم الجهاد المصرى ثم عاد إلى جماعة بن لادن التى تشكلت تحت تنظيم جديد يحمل إسم "القاعدة".
عرضنا مشروعنا على أبوعبيدة، ولم يكن فى حاجة إلى ذلك ولكن الجديد هو مبدأ المشاركة الذى عرضناه. فقد طالبناه أن يكون المشروع العسكرى تحت إشرافه، ويكون دور جماعتهم

هو التمويل والعناصر البشرية. وفى المقابل طالبنى أبوعبيدة أن أكون مسؤلا عن العمليات فى الجبهة بمساعدة عبد الرحمن، وكان شرطى إزاء ذلك هو أننا لن نطالب للعمل معنا أفراداً معينيين، حتى لانعرقل بذلك أية أعمال أخرى "للقاعدة" ولكن إذا وصلنا منهم أفراد فعليهم عدم سحبهم من الجبهة إلا بعد إنتهاء العمليات تماماً. كما أن عليهم، عدم إصدار أى أوامر إليهم عن غير طريقنا حتى لاتحدث إزدواجية وفوضى،فوافق أبوعبيدة بلاتردد.

كان صديقنا أبوعبيدة ، أو سلطان كما نحب أن نناديه، هو أحب الشخصيات العربية إلى قلوبنا، وأظن أن معظم العرب كان لهم نفس الرأى.ومكنه ذلك من لعب أوسع دور تنظيمى وإجتماعى بين التواجد العربى الجهادى على مختلف تشعباته. لكن حياؤه الزائد ولطفه غير المحدود أوقعاه فى النهاية فيما لايمكن له أن يتحمله. ولحسن الحظ أنه لم يبلغ تلك النقطة، نقطة التعب أو الأنهيار "تقريباً"، إلا بعدما غادر الساحة الأفغانية بعد فتح كابل.

رغم موافقه "سلطان" على المشروع وتقسيم الأدوار كما عرضناه، إلا أنه لابد له من عرض المشروع على "اللجنة العسكرية" وأخذ موافقتها عليه، لكنه طمأننا على أنه إجراء شكلى.

لكن ماهى "اللجنة العسكرية" تلك؟.

كانت تلك اللجنة أحدث إفرازات "توازن القوى" على ساحة بشاور، بعد معركة "جاجى" التى إعتبرت فوزاً بالقاضية الفنية لأسامة بن لادن على جميع منافسيه أو مناوئيه على الساحة العربية فى بشاور. وبعد أن كان مجرد " خزينة متنقلة"، وبعد أن كان الممول الأول لمكتب الخدمات الذى هو المشروع الرئيسى لدى الشيخ عبدا عزام تحول أسامة بن لادن"أبوعبدا " إلى القائد العسكري الأول والممول الأول للتواجد الجهادى العربى فى أفغانستان. ولم يلبث أن أصبح "أميراً" لأول تنظيم عربى فى أفغانستان، وهو تنظيم القاعدة ، والذى كان ركيزتاه العسكرية والتنظيمية هما صديقانا سلطان وأباحفص.

فى أعقاب معركة "جاجى" إجتمع أقطاب ونجوم العمل العربى فى بشاور لتوزيع الإختصاصات وتنظيم العمل.

وقد إختير "أبوعبدا " أميراً عاماً للعرب ، وإختير الدكتور عبدا عزام مسئولا عن معسكر صدى، وكما أعتبر أبوالحسن "وائل جليدان" مسؤلاً عن الأعمال فى بشاور.

أما اللجنة العسكرية والتى علينا الحصول على موافقتها علي مشروعنا الجديد ، فكانت تتكون من أبوعبدا ، سلطان، أبوالحسن المدنى، وأبو هاجر العراقى "مهندس الالكترونيات"، صديقنا القديم عصام الليبى، ثم إنضم أبوحفص إلى اللجنة بعد عودته من البعثة التدريبية فى "شاهى كوت" والتى أشرنا لها آنفاً.

من المفروض أن تكون أسهمنا " أنا وعبدالرحمن أو أهم غرابين على الساحة" أن تكون قد إرتفعت خاصة وأن اللجنة العسكرية كلها تقريباً من أصدقائنا ،ماعدا أبو الحسن الذى لم نكن قد تعرفنا عليه بعد.

وبدأ العمل بطريقة مشجعة ولكن إلى فترة قصيرة، وسرعان ما نسى صديقنا سلطان تعهداته وبدأ يحرك الأفراد من وإلى الجبهة بدون الرجوع إلينا فى شيء حتى تحولت ساحة عملنا فى بارى إلى "مولد" يموج بحركة من شباب ليس لنا سيطرة تذكر عليهم.

ثم زاد الطين بله عندما تغيرت معامله سلطان معنا، وذلك ما لم يحدث طوال فترة الجهاد. فبدا جافاً غير مجامل، ثم فاجأنى ذات يوم ونحن فى مكتبهم فى ميرانشاه بأن اللجنة العسكرية تطالب "بضمانات لنجاح العملية!!"،. وإن تلك العملية إذا لم تنجح فسوف يتكلم الناس عنك

"يقصدنى شخصياً " فى بشاور.
فأبديت له تعجبى وإندهاشى من موضوع "الضمانات" فلم أسمع قبلا بعملية عسكرية مضمونة ، على السكين مثل البطيخ . كما أثار شجونى موضوع "كلام الناس " خاصة إذا كانوا "ناس بشاور". فطلبت منه أن يبحث عن شخصاً آخر يتولى قيادة العمل، فلم يعترض وطلب مهلة من الوقت . ولما مر من الوقت مايكفى وظلت أمورنا فى الجبهة فى حالة متزايدة من الغموض ، تركت العمل لصاحبى عبدالرحمن كما سيأتى ذكره.

- ولكن الأهم من هذا كله هو حالة الإنتعاش العسكرى الذى أحدثه دخول أبوعبدا إلي ذلك المجال، وبكل ثقله، خاصة بعد الشهرة المدوية التى حازها فى الجزيرة بعد معارك جاجى.
- وكان الأثر المباشر لذلك هو تهميش نشاط الشيخ عبدا عزام والمتمثل ميدانياً فى "مشروع الترحيل" أى نقل مهام وأعتدة فى قوافل إلى مراكز المجاهدين، عبر أحزاب بشاور، وإعطائهم أثمان نقلها على البغال بواسطة مكاتب عربية منتشرة على منافذ الحدود ،وكثيراً مايرافق القوافل عدد من الشباب العربى للإشراف على توزيع معونات "مكتب الخدمات" إلى داخل الجبهات.

كل ذلك تراجعت أهميته كثيراً، خاصة بعد الثغرات التى باتت واضحة فى ذلك البرنامج. أكثر شباب "التراحيل" إنجذبوا بشدة نحو النشاط العسكرى الجديد الذى بدأ يدق الأرض بعنفوان وثقة ، ولدتها معركة جاجى ، وإمكانات هائلة جاءت مع أبوعبدا ، تدفق مثل الشلال، مع شباب الجزيرة القادمين بأموال غزيرة وعواطف فوارة متوثبة.
ومع هذه الفورة الجهادية الجديدة كان " التدريب" وليس "العمليات" هو الهدف الأسمى أمام "أبوعبدا " واللجنة العسكرية، كما أتضح ذلك من نشاطهم منذ معركة(جاجى) وحتى معركة جلال آباد فى ربيع 1989، حينما تحول ابوعبدا بزاوية حادة جداً، وإقتحم المعركة بكل ثقله البشرى والمالى. ولما كانت نتائج تلك المعركة مخيبة للآمال ، فقد عاد مسار(أبوعبدا) وثقله البشرى والمالى إلى مجال التدريب إضافة إلى تنمية التنظيم (القاعدة).
ولايعنى ذلك أن (أبوعبدا) ومن حوله لم يتوجهوا إلى العمليات فى الفترات الواقعة قبل معركة جلال آباد ومابعدها، ولكنهم دخلوا على أطراف المعارك فى مواقع منتقاه بعناية بهدف التدريب قبل كل شئ آخر، ولتطعيم عناصرهم بنيران المعركة. فلم يكن لهم أى إهتمام جدى بتطوير المعارك أو الإهتمام بإحراز نصر عسكرى فى أفغانستان يكون العرب شركاء فيه أو عنصر حيوى فى تحريكه والسعى نحوه ثم إحرازه.
ويرجع ذلك إلى عاملين أساسيين:
الأول: أن (ابوعبدا) كان همه الرئيسى هو معركة جنوب اليمن وتحريرها من الشيوعية.
الثانى: أن التأثيرات الفكرية لتنظيم الجهاد المصرى قد تغلغلت بقوة داخل تنظيم (أبوعبدا) والمسمى بالقاعدة. كذلك الآراء السياسية لتنظيم الجهاد المصرى فيما يخص الجهاد فى أفغانستان، والذى كان معارضاً بشدة لمجرد المشاركة القتالية فيه. فأثر ذلك فى تحريك القاعدة داخل أفغانستان خاصة وأن أهم عنصرين عسكريين فى القاعدة وهما أبوعبيدة (سلطان) وأبوحفص، كانا فى نفس الوقت أهم عنصرين عسكريين فى تنظيم الجهاد المصرى (!!). ولاعجب فى ذلك الخلط العجيب إذا علمنا أنه من هندسة صاحبنا (سلطان)، الذى رأى بطبيعته نفسه وروحه المرحة، أن التنظيمين سوف يتحولان فى النهاية إلى تنظيم

واحد، وهو مالم يحدث مطلقاً.

معسكرات ومدربين

ولاننسى أن أوساط العرب فى أفغانستان كانت معبأة لتقبل موضوع التدريب، وحاول العديد منهم تطوير نفسه ذاتياً.

وقبل بداية معارك جاجى كانت "جماعتنا" تتحدث مع "أبوعبدا " عن ضرورة تدريب الشباب قبل زجهم فى المعارك. وفى وقتها بدأت محاولات صغيرة فى معسكر صدى، قرب الحدود مع جاجى ، بقيادة "أبو برهان" وهو ضابط سورى سابق ذو جدية وصرامة فى العمل.

كان الشيخ عبد ا عزام هو المحرك الأول خلف إنشاء ذلك المعسكر. وكان الإبتعاد عن بشاور أهم عنده من التدريب فى حد ذاته. ومع ذلك فقد مارس هو الآخر ضغطاً على "أبوعبدا " قبل وبعد المعركة من أجل تدريب الشباب. وإتخذ خطوة عملية ،بعد الإتفاق مع أبوعبدا ، بإستدعاء الشيخ "عبدالعزيز على" أبو أسامة، والأشهر من أن نعرفه مرة أخرى ، كى يبدأ برنامجاً تدريبياً للشباب المزمع عملهم مع "أبوعبدا " فى الجبهات.

هكذا ظهر معسكر "ورسك" قرب بشاور فى أوائل عام 1988، ولكن الشيخ عبدا عزام، مع "أبوعبدا " فى قرار مشترك قررا إغلاق المعسكر بعد دورته الأولى، نتيجة لعدم إلتزام"أبواسامة" بشرط مسبق لهما، وهو عدم خوضه فى الحديث عن السياسة الداخلية للأحزاب الأفغانية، التى يصف زعمائها دوماً بأنهم لصوص وقتله وكذابون. وكذلك إنتقاده "للجهاد الأفغانى" بأنه ليس جهاداً إسلامياً لأن معظم القائمين به فى الداخل هم عصابات لصوص وقطاع طرق، وليس لديهم خلق إسلامى.

لقد سببت تلك الآراء الصريحة صدمة مريعة لدى شباب المعسكر لقوتها وتناقضها الشديد مع مايقول الشيخ عزام وأبوعبدا .

وكان لابد من التضحية "بأبوأسامة" ومعسكر "ورسك" حتى لا ينفر الشباب ويتركون ساحة الجهاد، كما يرى الشيخان.

على كل حال تمكن أبو أسامة من تخريج حوالى خمسة أفراد هم كل من إستطاع الصمود معه فى دورته التدريبية العنيفة والمرهقه.

وقد كان هؤلاء فيما بعد من أهم المدربين على ساحة العمل العربى الجهادى فى أفغانستان.

وهذه المساهمة رغم تواضعها، جعلت أبوأسامة أحد مؤسسى التدريب العسكرى العربى فى أفغانستان.

ولكن أبوبرهان إستطاع الصمود فى معسكر صدى حتى نهاية الجهاد بفترة وجيزة.بعدها فر من المخابرات الباكستانية التى بدأت تسعى لإصطياده بطلب من السعودية. وفى ظنى أن ذلك الصمود مكن "أبو برهان" من أن يكون "المدرب الأوسع إنتشاراً" والذى درب فى معسكره عدداً وافراً ممن تدربوا فى أفغانستان. وكان "صدى" يعتبر الجناح العسكرى .لمكتب الخدمات كنوع من المعادلة الإخوانية لنشاطات أبوعبدا ،وحتى لايترك الإخوان الساحة العسكرية خالية له فيبرز كرمز إسلامى جهادى للشباب العربى وقد واجهوه صراحة برأيهم هذا.

لكن المساهمة النوعية الأخطر فى مجال التدريب العربى فى أفغانستان جاءت على يد الضابط المصرى "حيدرة" والذى يحمل الجنسية الأمريكية والعامل فى الجيش الأمريكى لفترة من حياته المهنية، والذى إستقدمه تنظيم الجهاد المصرى لتدريب كوادره فى أفغانستان، لقد

تدرب على يد "على محمد" عدد من أهم القيادات العسكرية لذلك التنظيم، والذين دربوا بدورهم كل الكوادر الميدانية لتنظيم الجهاد العاملة فى مصر.
وقد جنت "القاعدة" نفس الفوائد التدريبية من "حيدرة" نظراً للتداخل التنظيمى مع "الجهاد المصرى" كما شرحنا سابقاً.
ولا أظن أن " حيدره" كان لديه فكرة مختلفه، فالجميع يرى أن الجهاد الأفغانى تجربة مصيرها الفشل، وأن الأحزاب الأفغانية لن تطبق نظاماً إسلامياً ، حتى إذا وصلت إلى السلطة وهو أمر مستبعد فى نظرهم ، كما أن الشعب الأفغانى نفسه بعيد كل البعد عن فهم الإسلام وهو شعب ملئ بالأفكار "الشركية" والتصرفات "الجاهلية" (!!).
النتيجة التى إتفق عليها جميع "المدربين الكبار" هى التجهيز للجهاد فى بلاد العرب و"الإستفادة" من الساحة الأفغانية فى التدريب وإعتبار المعارك نفسها نوعاً من التدريب العملى ."أى يجب عدم الإنجراف فيها بعمق كما كنت أنادى دوماً.
هذا المنطلق السياسى لفطاحل المدربين ولأهم الجماعات الجهادية على الساحة، جعلنى فى حالة حرب سياسية معهم طوال مدة إحتكاكنا معاً.
ولكن ظلت علاقتنا تتمتع بدرجة عالية من الإحترام المتبادل والحوار الراقى ، إلا فيما ندر.
وللحق فإن الجماعة الإسلامية المصرية، وكانت فيما أرى، أكثر حرارة وإخلاصاً فى مساندتها القتالية للأفغان، ولكنها لم تصل إلى الدرجة التى كنت أنشدها من إعتبار أفغانستان معركة يجب أن نكسبها. ولكن إحتكاكى بذلك الجماعة كان ضعيفاً جداً إذا قورن بإحتكاكى بالآخرين ، خاصة على مستوى عناصرهم القيادية فى بشاور.
ولكن مجموعة من مقاتليهم شاركت معى في معركة فتح خوست وأذهلنى أداؤهم القتالى وصمودهم ورجولتهم وقوة تحملهم. فكانوا أفضل مجموعة عربية قاتلت معها جنباً إلى جنب فى أفغانستان .
هذه الإنعطافة الموسعة فى الحديث عن التدريب، كان سببها أننى أعزو إليها فشل تجربتى فى العمل مع "سلطان" صديقى التاريخى والذى دخل ضمن آليه جديدة للعمل العربى فى أفغانستان تحت قيادة أبوعبدا . فهو نجم اللجنة العسكرية حديثه التكوين فى بشاور. وقد تبنى "سلطان" مثل الآخرين تلك النظرة "التدريبية" لأفغانستان، لذا سرعان ماتحولت نظريتة إلى برنامجنا فى خوست" فجعلتها مجرد ساحة للتدريب العملى للشباب. وبالتالى فإن البرنامج العسكرى يجب أن يكون محدوداً ولايرتقى إلى مستوى المعارك الواسعة ذات الأهمية الإستراتيجية.
فسلطان ،وإخوانه ، لم يعودوا يثقون فى الأفغان ولابقضيتهم، فالمهم هو التجهيز لبلاد العرب.
كنت أرى فى تلك النظرة جريمة، بل خيانة لذلك الشعب المسلم بل لقضية الجهاد "نفسها".
وحاولت إقناعهم بحيوية الجهاد فى أفغانستان بالنسبة للقضية الإسلامية الحديثة كلها. ولكن ظللت أدير حوار الطرشان معهم حتى نهاية الحرب، ولم أستطع تحويل قناعتهم.. وزادت معاناتى فوق الإحتمال بعد إستشهاد عبدالرحمن الذى تركنى غراباً، أسوداً، وحيداً، ينعق بما يضايق ويزعج الأسراب الجميلة الملونه من المجاهدين العرب فى أفغانستان، أو بمعنى أصح "المتدربين العرب فى أفغانستان".
 لكن الصورة فى نظرى لم تبقى دوماً متجهمة على هذا النحو، إذا ظهرت العديد من الزهور الصغيرة اليانعة هنا وهناك. ولكن أجمل وأحلى تلك الزهرات وأكبرها حجماً وأثراً، كانت جماعة "أبوالحارث الأردنى" والتى ظهرت فى خوست وفى نفس مناطقنا الحبيبة.

وكانت تلك الجماعة من وجهة نظرى، أهم مساهمة عربية قتالية فى أفغانستان. وهو رأى يدهش جميع من يسمعه حتى أبو الحارث نفسه. رغم إننى صارحته بذلك بعد فتح كابول عام 1992. وسوف نشرح ذلك الرأى بالتفصيل فى مواضيع لاحقة،ولكن يجب من الآن فصاعداً أن نميز بين التواجد "القتالى" والتواجد "التدريبى" للعرب المجاهدين فى أفغانستان.
لقد كان البون واسعاً والنتائج جد مختلفة ومتباينة. وسوف نرى ذلك بالتفصيل فيما يلى من أحداث ، بإذن ا تعالى.
وبالفعل فقد حصل "الجهاد المصرى"والقاعدة على أفضل حصيلة من المدربين والبرامج التدريبية، وغادروا أفغانستان فى نهاية الحرب وفى رحالهم أكبر وأفضل مجموعة من الكوادر المدربة.
لكن ماذاحدث لهؤلاء الكوادر وكيف تمت الإستفادة منهم؟
فتلك قصه أخرى ليس مجالها هذا الكتاب، لأنها تمت خارج سقف العالم، الذى نشدو من فوقه بهذه الثرثرة.
□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□
□□ لقد بدأت القاعدة عملها التدريبى فى منطقة"جاجى" بعد فترة قصيرة من المعركة الشهيرة ثم زحفت تجاه خوست، فأخذت مكانا فى قاعدة جاور لدى جلال الدين حقانى، ثم بدأ برنامجنا نحن فى بارى الذى ما لبث أن توقف بإستشهاد عبدالرحمن. فأتخذت القاعدة مركزا للتدريب والمناوشات فى ليجاه، مالبث أن توقف بعدما أصيب عدد من الشباب أصابات بليغة أثناء أحدى العمليات.
ثم إفتتحوا فى نهاية العام مركزاً تدريبياً فى"جهاد وال" القريبة من جاور والتابعة لحكمتيار.
فأقيم هناك بالتتابع أربع معسكرات إستمرت حتى نهاية الجهاد ودربت أعدادا من مناطق مختلفة من العالم الإسلامى والعربى، وقد أعطى ذلك المجهود إمكانات عملية هائلة لتنظيم "القاعدة" لاأظنها قد إستغلت على الوجه الأكمل.
وكان لى جولات من الصراع الفكرى مع سلطان وأبوحفص حول دور المعسكرات وبعض إنتقاداتى على طريقه عملها، كما ساهمت فى إلقاء بعض المحاضرات فى عدد من الدورات الخاصة.
وما أن إنحسرت حدة معارك جلال آباد، عام 1989 حتى إمتلأت أرجائها بالمعسكرات التابعة لعدد غير محدود من الشراذم التنظيمية الجديدة، وبعض بؤر الإستخبارات العربية.
فكانت جلال آباد ، بضربتها الموجعة التى تلقاها العرب، وحتى العيوب الإخلاقية التى تفشت فى إعقاب ذلك،هى الوجه الشائه الذى أسدل على التواجد العربى فى تلك المنطقة التى طغى التواجد العربى فيها على كل ماسواه فى باقى المناطق الأفغانية من ناحية الحجم والعدد والشهرة الإعلامية والضجيج الذى أثير حوله وقتها.
ولانقول بإنعدام التأثير الإيجابى للعرب فى جلال آباد، بل أنهم سجلوا بعض أنصع بطولاتهم وفدائيتهم هناك، لكن التجمع الغثائى الذى عم المنطقة من التركيز الإستخبارى العربى والدولى تركا كثيراً من العفونة والفساد فى الأوساط العربية هناك.
فكانت جلال آباد أكثر منطقة شهدت هذا الكم الهائل من معسكرات التدريب العربية لشتى

الإتجاهات والشلل.
 لقد كان التدريب واحداً من أهم الموضوعات المتعلقة بالتواجد الجهادى العربى فى أفغانستان. وظل بعد إنتهاء الحرب أحد أهم نتائجها التى عمل النظام الدولى الجديد وعملائه الصغارعلى تصفيتها والتخاص منها. وقد نجح فعلاً فى تصفية الكثير من الكوادر العربية المدربة فى أفغانستان،ولكن بعد فوات الأوان فأحداث العالم الإسلامى فى الشيشان والبوسنة والصومال وطاجيكستان قد أدت إلى تفريخ جيوش مدربة من جنسيات إسلامية وعربية.
وكان لخريجى مدرسة أفغانستان الدور الحاسم فى ذلك الإنتشار، حتى بات من المستحيل على"النظام الدولي" القضاء على مكاسب التدريب والخبرات التى حصل عليها العرب والمسلمون من أفغانستان.
 عسكرة أجواء بشاور على يد "أبوعبدا " لم تكن حدثاً مريحاً لدى أجهزة الإستخبارات الدولية، والمعنية "بمكافحة الإسلام". وبالتالى تحركت الإستخبارات السعودية ، وكانت السباقة كعادتها لكبح هذا التحرك أو تفريغه من محتواه. وهى مهمة صعبة فى وقت كان المد الشعبى الإسلامى فى ذروته خاف القضية الأفغانية التى مازالت منذ ثمان سنوات تشغل مرتبة القضية الدولية الأولى.
وأحرزت السعودية عديد من الأنتصارات الهامة ، والباردة أيضاً ، فى صراعها ضد المعسكرات تحديداً . والسبب الرئيس هو حاجة تلك المعسكرات والقائمين عليها إلى الدعم المالى القادم من السعودية، وإرتباط دورتهم الإقتصادية "بالبترودولار".وبسرعه تم إستبعاد مادة المتفجرات وتدريبها من معسكر صدى. وإستبعد أيضاً "أى كلام فى السياسة" فى جميع المعسكرات، بما فيها التابعة "لأبى عبدا ". وإستبعد موضوع الحاكمية من المحاضرات الشرعيه.كما إستبعد الهجوم على نظام الحكم السعودى فيما عدا الدورات الخاصة السرية .
جميع المعسكرات تقريباً ، ماعدا التابعة للمنظمات الجهادية المصرية ، كانت مفتوحة على مصراعيها، أمام كل من هب ودب، وذلك من باب إثبات حسن النية للمملكة السعوديه تحديداً.
وبعد فترة إستطاعت الإستخبارات السعودية إنشاء معسكراتها الخاصة، بل مولت جبهات عربية لمجموعات يديرها موالون أو تابعون لها.
وزاد ثقلها فى الساحة بعد إستيلائهم على تنظيم جميل الرحمن القائد "السلفى" عظيم التأثير فى ولاية كونار الحدودية . فأقامت هناك معسكرات لكن بلا تدريب حقيقى سوى التلقينات السلفية والإيحاءات السياسة العقائدية خاصة ضد"الأحناف المشركين". و"الشيعه الكفرة"!!. .

معسكرات سعودية

" سيف العدل " الضابط السابق بالمظلات المصريه والذى عايش جزءا من تجربة الإشراف السعودى ،الإستخبارى،على معسكرات وجبهات مولوى جميل الرحمن، يقول عن تجربته القصيرة هناك:
{معسكر الأخوة العرب فى أسد آباد بكونر"1989/10/25" لم يكن حقيقة معسكراً للتدريب العسكرى بقدر كونه محطة إنتقال وتحويل ما بين الجبهة التابعة لعرب جميل الرحمن وبيت الضيافة فى بشاور.
وقد تواجدت فيه فتره لم نتجاوز الشهر كما إننى بقيت فى الجبهة التابعة لهم أيضا قريب الشهرين.. وتواجد معى فى تلك الفترة مدرب سورى آخر كانت كنيتة أبو عمر سرعان ما

ترك التدريب والجهاد وتحول إلى مكان آخر لا علم لى به . خلال الفترة التى بقيت فيها كانت حركه الشباب من بشاور للمعسكر لتلقى تدريب سريع لا يتجاوز ثلاثه أيام إن كان لديهم وقت. وذلك لتعلم الكلاشنكوف. ثم ينطلق على وجه السرعة إلى الخط ولكى يقوم هناك بإلقاء عدد من قذائف الهاون وتسليم التبرعات وقد يمكث فى أقصى الأحوال ليلة ومن ثم يعود مباشرة إلى بشاور .. كانت هذه هى الدوره التدريبية للأفراد العرب هناك ..

وهناك عددا آخر من الشباب تدرب فى معسكر جاور وبقى لديهم " نظرا لإلتزامه السلفى " "وصحه المعتقد " لدى مجاهدى جميل الرحمن ..

على الفور عرضت على أمير المعسكر برنامج للتدريب لا يتجاوز21 يوما وإعتبرت ذلك هو الحد الأدنى من الإعداد الذى لا ينبغى بغيره الذهاب إلى الجبهة ومن تعدى ذلك كمن لم يتم وضوءه للصلاة .. وذهاب الإخوه بالشكل السابق هو مساهمة فى جريمة وموافقة على الصلاة بدون وضوء ...

بدأنا البرنامج وأجبرنا الشباب على ذلك وبدأ المعسكر نشيطا خلال أسبوعه الأول حتى وصلت لنا رسالة من أبى عمران ،والذى لم أراه مطلقا ،وهو أمير عرب جميل الرحمن يأمرنا فيها بترك الشباب يذهبون إلى الخط دون إلزام بمدة محددة فإن أصررنا فيكفى تدريـب الكلاشنكوف ..

عندما وصلت تلك الرسالة لم أحتمل البقاء فى المعسكر ..وقررت أن أغادره وتحت إلحاح الإخوة بأن أذهب معهم إلى الجبهة وأواصل تدريبهم هناك .. وعندما ذهبت إلى الجبهة كانت المصيبة أكبرمما أتوقع} .. **"إنتهت الإفادة"** .

* فى أعقاب عملية "عسكرة بشاور" التى ذكرناها، حاولت السعودية التعامل مع المعسكرات خاصة معسكر صدى الموجود على حدود باكستان. بأسلوبها المعتاد "فأمرت" ضباط حرس الحدود من الميليشيات بمنع مرور العرب فى المنطقة وإلقاء القبض عليهم وإعادتهم إلى بشاور، مع تفتيشهم جيداً، وفى حال العثور على طلقات فى جيوبهم ، وهو أمر شائع بالنسبة للعائدين من الجبهات أو المعسكرات ، فأنهم يوضعون فى السجون، ويقدمون أحياناً للمحاكم. وقد عثرت الميليشيا أحياناً على قنابل يدوية فى جيوب أو أمتعة بعض العرب. وأكثر ذلك كان يتم سهواً أو بحكم العادة خاصة لدى العائدين من جبهات القتال. لقد وطدت الإستخبارات السعودية، علاقتها مع الضباط الشيعة الكبار خاصة وأن الشيعة لهم تواجد كثيف فى مناطق صدى وباراشينار المجاورتين لجاجى على الجانب الأفغانى، وقدمت لهؤلاء الضباط " مكرمات ملكية"، و"هبات كريمه" من الدولارات ،السلاح الذى لايخيب أبداً فى باكستان، والذى قلما يخطئ هدفه فى أفغانستان، لذا إستطاعوا لفترة طويلة عرقلة مشاريع العرب فى المنطقة، بل تمكنوا لمرات عديدة من إشعال قتال "عقائدى" بين قبائل السنة والشيعة هناك. وهو الأمر الذى يؤدى إلى وقف الحركة على الطرقات وتجرى أثنائه عمليات قتل بلاحساب، وقد شارك عدد من العرب فى معسكر صدى فى بعض تلك الإشتباكات لنصرة "إخوانهم من أهل السنة والجماعة" فإستخدموا الهاونات وأسلحة أخرى وهو أمر أسعد السفارة السعودية كثيراً، فحاولت نقل هذه "البدعة الحسنة" إلى داخل أفغانستان ودفعت من أجل ذلك الكثير. ونجح الدولار فى إحياء الكثير من الفتن النائمة على الحدود الباكستانية، وداخل أفغانستان. ولكن مشكلة تلك القبائل أنها لاتستمر فى تلك النشاطات إلا على قدر المال المدفوع،

وعندما تمل سفارة المملكة من الدفع، تتوقف تلك المعارك فى الحال .. وهكذا وجد العرب سبيلاً للإستمرار فى صدى، ومناطق جاجى.
فى ربيع ذلك العام 1988 ظهر تفسير آخر للهستريا السعودية فى مقاومة "ظاهرة المعسكرات" التى بدأت تستشرى على حدود أفغانستان مع باكستان، خاصة جاجى وخوست، إضافة إلى "صدى" فى باكستان.

إسرئيل تهدد السعودية!!

ولأول مرة يظهر إسم "أمريكا" و"إسرائيل" وراء عمل مضاد للمجاهدين العرب، ولتفسير نشاط "السعوديه" فى نفس الإتجاه.
المعلومة وصلت إلى صديقنا "سلطان" عن طريق الشيخ جلال الدين حقانى الذى أخبره (أن حكومة باكستان عازمة على إغلاق معسكرات العرب، بناء على طلب من "أمريـ ـ ـكا وإسرائيل!!" لأن أحد المقبوض عليهم فى العمليات الفدائية داخل فلسطين كان قد تدرب فى تلك المعسكرات.كما أن إسرائيل هددت بقصف السعودية إن هى لم تعمل على إغلاق تلك المعسكرات!!).
كانت تلك أول بادرة شبه علنية على وجود ذلك الحلف غير المقدس فى مواجهة المجاهدين العرب وهو الحلف الذى مازال قائماً، بين إسرائيل وأمريكا والسعودية وباكستان، ومالبث أن قفز إسم مصر ثم تونس والجزائر خاصة مع بداية حملة الإستئصال ضد المجاهدين العرب فى باكستان منذ إبريل 1993 وأستمرت حتى الآن.
لن نناقش بالطبع"أسطورة" قصف إسرائيل "للمملكة" فهى أوهى من أن نناقشها، فدور السعودية فى حرب الإسلام لايقل أهمية وخطورة من دور إسرائيل أو أمريكا، خاصة فى الثياب الكهنوتية التى يرتديها آل سعود وتوفر لهم نفوذا ومصداقية دينية لايمتلك مثلها حكام واشنطن أو "تل أبيب". كما أن المدرسة الدينية الرسمية لدى حكام المملكة قد أذاقت المسلمين وبال أمرهم وفرقت كلمتهم وزرعت بينهم العداوة والبغضاء، وكانت مدخلاً نادراً للأعمال الشيطانية لإستخبارات آل سعود وحلفائهم بين اليهود والنصارى. وقد إفتضحت بعض تلك الأعمال خلال فترة الحرب الأفغانية، وبعضها الآخر ظل طى الكتمان وإن ظهرت علاماته من بعيد، وسوف يمر معنا بعضها فى ثنايا تلك الثرثرة وفى مواضع مختلفة منها.
□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

حكومـة .. لا تحكم أحـ ـداً

قبل إنعقاد مؤتمر جنيف بأقل من أسبوعين أعلن فى بشاور عن تشكيل حكومة المجاهدين المؤقتة "فى 88/2/23". وبعد عدة أيام أعلن عن إسم رئيس الحكومة وهو المهندس "أحمد شاه أحمد زاى" الذراع الأيمن لسياف والحاصل على ماجستير الهندسة من الجامعات الأمريكية، وهو أيضاً متزوج من أمريكية . وحسب قول كثيرين ممن عرفوه " أنه يحمل أيضاً الجنسية الأمريكية ، وهو رجل دمث الخلق وذكى لم يتورط فى عداوات سياسية تذكر فحافظ بذلك على شبكة علاقات طيبة مع باقى المنظمات الأفغانية. وتربطه علاقات ممتازة مع السعودية التى عمل بها لفترة، وظل يتلقى راتباً من بعض أصدقائه هناك بعدما تفرغ

للعمل مع سياف.
ومع ماتميز به من لطف وبشاشة إلا أنه حافظ على درجة من الغموض مع الإبتـ ـعاد عن الأضواء بدرجة حفظت له حرية العمل وإتخاذ المواقف السياسية فيما بعد.
أعلنوا وقتها أن الحكومة تضم 28 وزيراً نصفهم فقط من منظمات بشاور الأفغانية السبعـ ـة بواقع وزيرين لكل تنظيم"، وسبعة وزراء من المهاجرين"، والسبعة الباقون من "المسلمـ ـين الصالحين المقيمين فى كابول !!".
أول من أوضح لى تلك الألغاز كان صديقى الشيخ نصرا منصور ، رحمة ا . الذى قال بأن المقصود بالمهاجرين هم الذين هاجروا إلى الدول الغربية أى الولايات المتحدة تحديداً، وليس باكستان كما أوحى البيان وفهم منه العوام . أما المسلمين الصالحين من كابول فهم من العاملين مع النظام الشيوعى من غير المشهوريين أمام الشعب بالشيوعية.وما هى إلا أيام حتى تأكدت تفسيرات الشيخ منصور .. فإذا عرفنا أن ثلاثة أحزاب على الأقل موالية للمـ ـ ـلك ظاهر شاه، فإن سته وزراء سوف يكونون ملكيين، وهى كتله محترمة إذا علمنا أن المقعدين الممنوحين لحكمتيار محسوبان لباكستان، ومقعدى سياف محسوبين للسعودية ،ومقعدى تنظيم ربانى يمكن أعتبارها "للوطنيين الطاجيك"، ومقعدى تنظيم خالص هما للمسلمين الأصوليين.
فيكون توزيع الإنتماءات السياسية فى تلك الحكومة هى كالتالى:

الإتجاه السياسى	الإسم الرسمى	عدد الوزراء
نظام كابول والسوفييت	"المسلمين في كابل"	7
الملك ظاهر شاه	"المنظمات المعتدله"	6
الولايات المتحدة	"المهاجرين في الغرب "	7
باكسـ ـتان	"حزب حكمتيار"	2
السـ ـعوديه	" حزب سياف"	2
إسـ ـلاميون أصوليون	"حزب خالص"	2
القوميون الطاجـ ـيك	"حزب برهان الدين رباني"	2

الإجمالي 28
ومع ذلك لم يكون ذلك التقسيم مقبولاً من الأطراف الرئيسية للنزاع، لا السوفييت ولا الولايات المتحدة، ولاباكستان، ولا المسلمين الأصوليين "المجاهدون الحقيقيون".
وبدأ الكل يحاول إماله الكفة إلى صالحة، أو حتى ينفرد بأكل الكعكة كلها بمفرده ، إذا تمكن من ذلك.ولننظر باختصار كيف حاول كل طرف أن يستحوز على أكبر قدر من الغنائم السياسية فى أفغانستان.

1ـ الإتحاد السوفيتى:
يعتبر السوفييت أن الملك ظاهر شاه كان صديقاً قديماً لهم ، وعدوا تقليدياً لباكستان، صحيح أنهم الذين قضوا على ملكه بإنقلاب داود، ولكن السياسة لاتعرف عداوة دائمة. ويمكنهم إعادته مرة أخرى ليكون رئيساً فخرياً للبلاد، يعمل الشيوعيون تحت عباءته، ويستفيدون من

شعبيته الماضية، وإنتعاش سمعته بين الأفغان بعد كمية الإنحرف التى ظهرت فى بشاور وأتباعها داخل أفغانستان. ولاننسى أن ثلاثة من تلك المنظمات السبعة هى ملكية الهوى، وللمصادفة فإن أتباعها فى الداخل هم الأقل إنحرافاً فى السلوك مع الأهالى، فالفرصة إذن مواتية لزواج سياسى جديد بين الملك والسوفييت، وسعى السوفييت فى ذلك الإتجاه وكثفوا إتصالاتهم بالملك.

وفى الإتجاه الآخر نجح السوفييت فى عقد مايشبه أتفاق تعاون إستراتيجى مع الجمهورية الإسلامية فى إيران، مستفيدين من "الحرب العالمية" التى تقودها الولايات المتحدة ضد تلك الدولة وهى الحرب التى يتقدم العراق صفوفها ومن خلفه دول الخليج ومعظم الدول العربية وأوروبا. . إلخ.

وهدف السوفييت أن يكسبوا الأقلية الشيعية فى أفغانستان "8 منظمات، 15%من السكان على الأقل". وقد إستجابت إيران لدرجة لابأس بها مع هذا التوجه، رغم تحفظاتها السابقة على نظام كابل الشيوعي. لكونها رأت في منظمات بشاور" السنية " مجرد أذرعة أمريكية تسعى إلى طعنها فى الظهر عبر أراضى أفغانستان فى حال وصولها إلى السلطه هناك.

ولما كان السوفييت يعلمون أن إنسحاب قواتهم فى أفغانستان ـ وهو الأمر الذى قرروه فى الإجتماع العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى عام 1986 ـ كما ذكرنا فى حينه، فإن الموقف العسكرى والسياسى للنظام الشيوعى سوف يتأثر بشدة، فحاولوا التعويض عن ذلك بزيادة المعونات العسكرية لذلك النظام نوعاً، وكما فظهرت فى ترسانة كابل صواريخ سكود (S.S.1) وطائرات ميج 29، 27، وطائرات سوخوى 25 ، 27. وهو ما كشف عنه السوفييت فى معرض السلاح فى دبى عام 1991.

فى نفس الوقت تقرب الإتحاد السوفيتى من الكتله الطاجيكية فى أفغانستان، والممثلة سياسياً فى تنظيم الجمعية الإسلامية"برهان الدين ربانى"، وأكبر رموزهم العسكرية هو أحمد شاه مسعود، الذى إرتبط فى إتفاقات سرية بعيدة المدى مع السوفييت منذ الهدنه المنفردة التى عقدها معهم عام 1983. وليس من المستبعد أن تكون فكرة تقسيم أفغانستان على عدة دويلات على أساس عرقى قد راودت السوفييت منذ ذلك الوقت.

على أية حال فإن الإرتباط السوفيتى مع ربانى ومسعود، لم يكن واضحاً إلابعد وصول ربانى إلى حكم كابول بعد الفتح وبعد أن خلف حكومة مجددى التى تولت السلطة بعد فتح كابول فى أبريل 1992.

وقد راجت فى بشاور إتهامات وإشاعات من مصادر أفغانية وعربية كنت أستبعدها على الفور، وتأكدت شكوكى فى ربانى بعد رحلته إلى موسكو قبل فتح كابل بقليل.

وعلى الإجمال كان السوفييت ـ يرون أن تكون لهم الحصة العظمى فى مصير أفغانستان السياسى مقابل خسائرهم الكبيرة فيها، وسابقه تواجدهم التاريخية الأعرق من التواجد الأمريكى فوق أرض أفغانستان. وما النفوذ الأمريكي علي منظمات المقاومة الأفغانية في بشاور، إلا نفوذ من خارج أرض الصراع نفسها، لأن تلك المنظمات ليس لها ثقل سياسى داخل أفغانستان وكراهية الناس لها لاتقل عن كراهيتهم لأحزاب الشيوعية ، من وجهه نظر موسكو وأتباعها.

الولايات المتحدة:

وكانت ترى أن الإنسحاب السوفيتى من أفغانستان ليس أقل من هزيمة سياسية كبرى للسوفييت، فهذه أول مرة ينسحبون من دولة دخلها الجيش الأحمر لإنقاذ حكومة ماركسية صديقة. وآثار ذلك الإنسحاب يجب أحتساؤها حتى الثمالة والإنفراد أمريكيا بجميع إيجابياتها على الساحة الدولية والأفغانية.
المشكلة الكبرى فى سبيل ذلك هو حاجة الولايات المتحدة إلى تعاون السوفييت لمنع القوى الإسلامية الجهادية من إحراز أية نصر على الساحة الأفغانية، لكون ذلك يشكل خطراً لاشك فيه على جنوب الإتحاد السوفيتى، كما يشكل خطراً جسيماً على مصالح أمريكا فى شبه القارة الهندية، والمنطقة العربية التى شارك آلاف الشباب منها فى جهاد أفغانستان. وقد يدفع حماس الإنتصار هؤلاء الشباب إلى نقل التجربة الأفغانية إلى بلادهم ضد إسرائيل والنفوذ الأمريكى.
إستبعاد القوى الإسلامية من قائمة الفائزين هو السبب الذى حتم نوعاً من التفاهم بين القطبين الكبيرين، بل كان النقطة الوحيدة التى كان الإتفاق عليها كاملاً. وما سوى ذلك، كان محل شد وجذب، بل وضربات فوق وتحت الحزام.
ويمكن تفسير إتفاق إمريكا والسوفييت على ما أسموه "بالتناظر السلبى فى إمداد الأسلحة" إلى أفغانستان، أى أن كل طرف يزود حلفاءه بالأسلحة بما يوازى مايقوم به الطرف الآخر، إنما هو نوع من الضربات فوق وتحت الحزام، كما أنه نوع من تصفية القوى الإسلامية المجاهدة لكونها الخاسر الأكبر لتلك السياسة كما سنرى لاحقاً. إن المعونات الأمريكية قد توقفت عملياً قبل توقيع الإتفاقية، وأن ما دخل أفغانستان من أسلحة بعد ذلك ،وتحديداً بعد معركة زدران. لم يكن سوى المخزون القديم المتوافر لدى باكستان.
بل أن أمريكا والسوفييت قد عملا سوياً على تدمير ذلك المخزون كما سنرى فى حادث تفجير مخازن "معسكر أوجرى" القريب فى العاصمة الباكستانية، وذلك قبل توقيع إتفاق السلام فى أفغانستان بأربعة أيام فقط لاغير.
ومع ذلك وصلت بعض أنواع من الأسلحة الجديدة إلى المقاتلين فى أفغانستان مثل الهاونات الثقيلة، أو صواريخ ميلان المضادة للدبابات، ومثل صواريخ "صقر/20"، "صقر/30" المصرية الصنع والمخصصة لقصف المدن الأفغانية من مدى 20إلى 30كم.
وذلك لهدفين الأول هو الضغط على الحكومة الشيوعية، والثانى تدمير ماتبقى من البنية التحتية للدولة الأفغانية، وتدمير مالم يطاله التدمير فى المرحلة الماضية من مصانع ومرافق حيوية أخرى، خاصة العاصمة كابول. وفى هذه النقطة تتوافق النظرة الباكستانية مع النظرة الأمريكية والسوفيتية.
فأفغانستان المدمرة والتى فقدت بنيتها الأساسية لهى أسهل على الإحتواء أو التقسيم، وتكون مرغمة دوماً على الخضوع لواحدة أو أكثر من القوى الإقليمية والدولية، ومهما كان نظام الحكم فى كابول.
إذن فحكومة أحمد شاه لم تحقق مجال الطموحات الأمريكية الواسعة، رغم أن لأمريكا سبعة مقاعد وزارية " مقاعد المهاجرين!!" إضافة إلى مقعد رئيس الوزراء نفسه والمحسوب عليها سياسياً.
ويمكن تلقائياً إعتبار المقاعد السعودية فى الحكومة الجديدة "والتى يشغلها مندوبو حزب سياف" هى مقاعد أمريكية جريا على قاعدة "أن العبد وما يملكه هو ملك لسيده".
باكسـ ـ ـتان:

الموقف السياسى فى باكستان كان غاية الحرج، عشيه توقيع إتفاق "جنيف" لقد تأكد لضياء الحق أن أمريكا سوف تستبعده من الحكم، أما بإنقلاب عسكرى، أو بالإغتيال، فقد إنتهى دوره فى خدمة المصالح الأمريكية، ولاتريد أمريكا بحال إعطائه ولو جزء يسير من الغنائم السياسية فى أفغانستان، لقاء خدماته الجليلة.

بل إنها لاتنسى له مطلقاً أنه كثيراً ما لوى ذراعها. ونفذ سياستة الخاصة فى تلك القضية، ضارباً عرض الحائط برغباتها وأحياناً مصالحها كقوة عظمى.

كانت طموحات ضياء الحق فى أفغانستان مبالغاً فيها، وكذلك الطموحات الأمريكية أيضاً، ولكن أمريكا لها الحق كقوة عظمى فى أن تتجاوز أطماعها كل حد، وإلا فما معنى أنها قوة عظمى؟ فما بالك وغريمها السوفيتى يترنح وينسحب مهزوماً عسكرياً وسياسياً ولأول مرة فى تاريخه. أوليس من المنطق والحق "الذى هو مع القوة دوماً". بأن تؤول التركة السوفيتية فى أفغانستان إلى أمريكا كمنافس أول للسوفييت.

 لقد أكتشفت الأجهزة الأمنية لضياء الحق، خيوط مؤامرة إنقلابية داخل الجيش، ولم يكن ذلك مفاجأة كاملة للرئيس الباكستانى. ولكن بتتبع الخيط جاء وقت المفاجأه المذهلة، إن بداية الخيط كانت فى يد رئيس الوزراء نفسه "محمد خان جينيجو" والذى عينه ضياء الحق عندما ألغى الأحكام العسكرية. لقد إنجذب "جينيجو" إلى إتحاد أحزاب المعارضة الذى تقوده "بينظير بوتو" فى مواجهه ضياء الحق.

لقد إضطر الرئيس إلى عزل رئيس وزرائه، ولكنه لم يبين السبب الحقيقى،وسعيا منه إلى كسب ثقة الشعب فقد أعلن أنه إتخذ ذلك الإجراء نتيجة فشل رئيس الوزراء فى تطبيق الشريعة الإسلامية(!!) التى أعلن عن عزمه على التطبيق السريع لها .

لكن أمريكا لم تمهله طويلاً، لقد حاول ضياء الحق يائساً أن يستبق الضربات الأمريكية الساحقة ، فبالنسبة لموضوع الإغتيال ـ الذى كان يتوقعه بشدة خاصة بعد إحباط الإنقلاب. فقد تترس الرئيس بالسفير الأمريكى فى إسلام آباد، فكان لايكاد يغادر العاصمة إلابرفقة السفير ، خاصة فى الفترة القريبة من حادث الإغتيال. ولم يكتف ضياء الحق بذلك بل كان يصطحب دوماً فى نفس الموكب كبار ضباط الجيش بما فيهم ذراعه الأيمن سابقاً ، الجنرال أختر عبدالرحمن .

وبعد توقيع إتفاقية جنيف رغم إعتراضات ضياء الحق ومحاولته عرقلتها ، حاول ، لآخر مرة أن يقلب الطاولة، أو أن يخطف ما عليها من جوائز ويولى مدبراً.

فقد أخبرنى مولوى نصر ا منصور ، بعد أغتيال ضياء الحق ، أن الرئيس الباكستانى قد دفع خمسة ملايين دولار لحكمتيار ومليونى دولار لكل من سياف وبرهان الدين ربانى ويونس خالص، وطلب من الجميع الإتحاد تحت قيادة حكمتيار، والقتال تحت رايته فى أفغانستان ، متجاهلين إتفاقيه جنيف ، وان يعملوا على تحرير أحدى المدن داخل أفغانستان والإنتقال إليها وإعلان حكومة لهم هناك ثم الإنطلاق لتحرير كابول بالقوة.

كان المشروع طموحاً ومتوافقاً مع المصالح الحقيقية للمسلمين المخلصين فى أفغانستان، ولكنه بالتالى لايتوافق مع مصالح هؤلاء القادة الذين لاتقل كراهيتهم لبعضهم البعض عن كراهيتهم للرئيس نجيب ا فى كابل. وهم أشد كرهاً لحكمتيار من كراهيتهم لأى شئ آخر فى هذا العالم ، وفشل المشروع الطموح.

وقد أكد لى حديث مولوى منصور ما ذكره لى مولوى جلال الدين حقانى، قبل توقيع إتفاقية

جنيف بقليل من أن مسئولين باكستانين طلبوا من قادة الأحزاب تحرير مدينة خوست وإتخاذها مقراً لحكومة إسلامية تعمل على تحرير البلاد. ولا أظن أن أحداً فى باكستان كان له تلك النظرية سوى ضياء الحق شخصياً.
فحتى جهاز I.S.I،كان قد بدأ يتغير، ويصبح النفوذ الامريكى بداخله، مزاحماً لنفوذ ضياء الحق نفسه.
لقد غامر ضياء الحق كثيراً طوال ذلك العام 1988 لتقوية مركز الإحزاب الأصولية خاصة حكمتيار، والمقاتلين داخل أفغانستان، فضخ كميات هائلة من الأسلحة إلى الجانب الآخر من الحدود تحسباً للتطورات اللاحقة وحتى يتمكن من إستخدامها من أجل تحقيق مكاسبه الخاصة (وطنية الطابع) داخل أفغانستان وفى مواجه أمريكا والسوفييت، ولكن تفاعل المنظمات الأفغانية الأصولية نفسها لم يكن كافياً فقد شعروا أن إتجاه الريح بدأ يتغير، وأن أمريكا تضع يدها تدريجياً على الدفة التى إحتكر ضياء الحق الإمساك بها.
فتحول ولاء قيادات (الإصوليين) فى إتجاه الموجة الجديدة، أما المعتدلين فإن الموجة الجديدة هى التى جاءت إلى وجهتهم الأصلية، فظلت بوصلتهم ثابتة في إتجاه الغرب.
ونستثنى فى ذلك (حكمتيار) الفتى الوفى لولى النعم فى باكستان مهما كانت وجهته السياسية. من ذوالفقار على بوتو إلى غريمة وقاتله ضياء الحق ، إلى إبنته التي عادت إلى عرش أبيها، إلى نواز شريف الإبن الروحى لضياء الحق والفتى "السمين" للرأسمالية الباكستانية.
لذا إستحق حكمتيار السخط الأمريكى الذى إتخذ لسنوات قليلة طابعاً عصبياً ضيق الأفق ومتغطرساً، مما أكسب حكمتيار شعبية كبيرة فى أوساط الإسلام الأصولى الشاب والناشئ فى أفغانستان وباكستان، والمنطقة العربية وغيرها.وكان ذلك نوعاً من التضليل،ربما غير المتعمد ، لذلك التيار الجهادى الذى إعتقد أن العداء الأمريكى لحكمتيار إنما هو لتوجهه الجهادى المتشدد، وليس ، نتيجة تبعية حكمتيار للنظام الباكستانى وتنفيذه كل رغبات ضياء الحق ، التى كان الكثير منها مضاد للمصالح الأمريكية.
 لقد جاءت حكومة أحمد شاه كعنصر منشط للصراع الدولى والإقليمى حول أفغانستان، رغم أنها ظلت حكومة على الورق، ولم تحكم أحداً من الأفغان، لاداخل أفغانستان، ولاخارجها.. وحتى أكثر أعضائها إن لم يكن كلهم، ظلوا يتلقون أوامرهم من المنظمات التابعين لها .
وحتى رئيس الحكومة أحمد شاه، بقيت صلاحيته الأساسية نابعة من كونه نائباً لسياف أكثر من كونه رئيساً للحكومة المؤقته للأحزاب الأفغانية فى المنفى.
.. ولايفوتنا الإشارة هنا إلى نقطة خلاف جوهرية بين ضياء الحق والسياسة الأمريكية فى أفغانستان، وهى نقطة لم نلتفت إليها كثيراً فى وقتها رغم خطورة تأثيرها فيما بعد على مجرى الأحداث فى أفغانستان.
فقد أصر ضياء الحق، منفرداً، على أن يتم تشكيل حكومة إنتقالية فى أفغانستان تتولى الحكم فى كابل قبل إتمام الإنسحاب السوفيتى من أفغانستان تفادياً لحدوث حرب أهلية تستمر قائمة بعد الإنسحاب.
ولكن أمريكا رفضت ذلك بدعوى أنها لاتقبل أن تطالب السوفييت بالبقاء فى أفغانستان حتى يتفق الأفغان على تشكيل حكومة إنتقالية فى كابل، وهو أمر عسير لصعوبة إتفاق الأفغان عليه ، إذن أمريكا حسب إعلانها تؤيد الإنسحاب السريع.
والذى لم تفصح عنه الدبلوماسية الأمريكية، هو أن الإتفاق قد تم بين أمريكا والسوفييت على

إستمرار الحرب الأهلية فى أفغانستان تحقيقاً لعدة أهداف.
1 ـ تحديد نقطة التوازن الحقيقية بين القوات الموالية لأمريكا وتلك الموالية للسوفييت،وعلى أساس ذلك يتم تشكيل حكومة متوائمة مع موازين القوى على الأرض. أى أن الحرب لم تسفر حتى الآن عن منتصر أو مهزوم فى القوى الإجتماعية والسياسية المتحاربة، لذا لابد من إستمرار الحرب لفترة من الزمن للتتضح القوة الفعالة لكل طرف.
2 ـ تصفية التيار الجهادى الإسلامى فى أفغانستان ماديا عن طريق الحرب، فهو سيكون أضعف الأطراف لكونه سيفقد مدد الأسلحة والذخائر الذى كان يصله من الغرب فى مقابل تكثيف الإمداد العسكرى السوفيتى لحكومة كابل الشيوعية.
وإستمرار الحرب لفترة طويلة نسبياً سيتكفل بالقضاء على المزيد من قيادات وكوادر ذلك التيار ويجعله خارج التقسيمه السياسية القادمة التى ستتوزع فيها الغنائم بين أتباع السوفييت والأتباع المباشرين للولايات المتحدة.
3 ـ إستمرار الحرب فترة إضافية كفيل بتمييع الشعارات الإسلامية السابقة، وتركيز شعارات بديلة تعتمد القبلية والعرقية، والطائفية وربما الحزبية أيضاً فى مقابل إطفاء تدريجى لشعار الجهاد الإسلامى، على إعتبار أن الجهاد قد إنتهى بإنسحاب السوفييت، وأن الحرب القائمة هى نزاع على السلطة بين أبناء البلد الواحدة.وقد نجح ذلك الهدف إلى درجة أكبر مما تخيلناه وقتها
****
 كانت خطوة ملحوظة فى أعقاب تشكيل حكومة أحمد شاه أن دخل الدكتور عبدا عزام مجالاً جديداً فى نشاطه الإعلامى، لصالح القضية الأفغانية، عندما تحدث إلى صحيفة باكستانية تصدر باللغة الإنجليزية، معلقاً على أحداث أفغانستان. ونورد منه موجزاً لنظهر البون الشاسع بين الموقف الأفغانى، كما يعكسه الشيخ، والصورة المشهورة فى الإعلام الباكستانى، والدولى بما فيها من حقائق لم تعد خافية على أحد.
فى حديثه طالب الشيخ حكومة باكستان إعلان الحرب ضد الإتحاد السوفييتى وحكومة أفغانستان (!!) كما أعلن عن وجود 3500 مجاهداً باكستانيا فى أفغانستان، وأنه خلال التسع سنوات الماضية إستشهد فى أفغانستان23 باكستانياً، 13 عربياً.
ورفض الشيخ فى حديثه أن يعترف بأن أمريكا زودت مجاناً المجاهدين الأفغان بصواريخ ستنجر المضادة للطائرات، وأصر على أن المجاهدين قد دفعوا لأمريكا مبلغ70 ألف دولار مقابل كل صاروخ !! (ربما سيصبح كلامه معقولاً إذا ذكر بأن السعودية قد سددت فواتير تلك الصواريخ، كما فعلت مع جميع شحنات الأسلحة التى قررت أمريكا إرسالها إلى المجاهدين)
(انظر صحيفة نيشن بتاريخ 88/2/15).
كان واضحاً للقارئ العادى أن الشيخ يعيش فى أفغانستان أخرى، ويرى أشخاصاً وأحداثاً لايراها سواه. أو أنه يرى بطريقة خاصة كل مايتعلق بأفغانستان، وكما يتمنى هو أن يراها.
كان فى أحاديثه حالماً كأنه لايرى الواقع. ولكن الحقيقة أنه لم يكن كذلك فقد تعمد الشيخ أن يتكلم بعكس مايعلم ويرى. لأن فى ذلك مصلحة الجهاد والمسلمين كما يعتقد هو.
وربما عدنا مرات آخرى لمناقشة تلك الخاصية للدكتور عزام.
لم يكن تشكيل الحكومة المؤقته برئاسة أحمد شاه عملاً مفيداً، ولكنه أيضاً لم يسبب ضرراً أكبر مما هو حادث فعلاً بالموقف السياسى للمجاهدين. لقد كان عملاً غير ذا معنى، فهى إذا ليست معدودة ضمن أهم الكوارث فى عام هو بحق عام الكوارث والنكبات بالنسبة للجهاد فى

أفغانستان، وبالنسبة لى على المستوى الشخصى.
وإذا شئنا أن نعدد الكوارث والفواجع التى إجتاحت الجهاد فى أفغانستان فى عام 1988 منذ بدايتهة وحتى نهايته، فأننا نحددها فى التالى حسب الترتيب الزمنى لوقوعها.
أولاً: عدم إبادة القوة العسكرية السوفيتية التى عبرت طريق زدران من أجل تموين مدينه خوست، وقد كان ذلك ممكناً، بل ضرورياً من أجل طرد السوفييت من أفغانستان بهزيمة عسكرية وليس بإتفاق سياسى، كما حدث فعلاً فى جنيف.
ثانياً: تفجير مخازن "أوجرى كامب" فى روالبندى قرب العاصمة الباكستانية، والتى تحتوى مخزوناً إستراتيجياً من الذخائر والأسلحة التى ترسلها المخابرات الأمريكية إلى المجاهدين الأفغان.
ثالثاً: توقيع إتفاقية جنيف لتسوية قضية أفغانستان وروح تلك الإتفاقية هو إستبعاد القوى الجهادية الحقيقية بل وإستبعاد الإسلام عن المستقبل السياسى لأفغانستان.
رابعاً: إغتيال الرئيس الباكستانى ضياء الحق. ورغم كل المآخذ عليه فقد كان ضياء الحق مفيداً للمجاهدين وللشعب الأفغانى، ولايمكن إدراك عمق هذه الحقيقه إلا برؤية ما حدث للمجاهدين وللشعب الأفغانى على أيدى من تعاقبوا على حكم باكستان بعد ضياء الحق، خاصة "بى نظير" إبنه "ذوالفقار على بوتو".
خامساً: عدم مهاجمة الجيش السوفيتى عند إنسحابه، بهدف تحويل ذلك الإنسحاب إلى كارثة عسكرية وهزيمة واضحة تحسم الحرب عسكرياً لصالح المجاهدين، والقوى الإسلامية فى أفغانستان، وقد كان ذلك ممكنا عمليا،كما أنه واجب شرعاً وعقلاً.
(ذكرت مصادر دبلوماسية فى إسلام آباد، أن واشنطن وجهت "**النصيحة**"!! رسمياً للمجاهدين بعدم مهاجمة القوات السوفيتية أثناء الإنسحاب) .
سادساً: وكان أول ما يجب عمله هو الإستيلاء على مدينة خوست قبل إتمام الإنسحاب السوفيتى ، وهى أضعف المدن الأساسية لدى النظام الشيوعى. . وكان فى ذلك فضيحة للسوفييت، وتهديدا حقيقيا لإستمرارية النظام
وليس غريباً أن تكون الولايات المتحدة وراء الكوارث المذكورة.
ثم يأتى السوفييت فى الدرجة الثانية على بعد خطوة أو أكثر من الموقع الأمريكى المتقدم.
وكان يمكن للعرب فى أفغانستان، رغم كل عيوبهم ،أن يكونوا عنصراً رئيسياً فى تفادى الكارثتين الأولى والسادسة، ولكنهم لم يفعلوا. . . والعيب الأساسى كان فى قياداتهم التى لم تكن سوى "قيادات أمر واقع" أكثر من كونها "قيادات مناسبة للأمر الواقع". إن القيادات العربية أصبحة قيادات بحكم الأمر والواقع، ولكنها كانت أبعد بكثير من أن تكون مناسبة لقيادة العرب فى تلك الظروف الصعبة والنهوض بدور إيجابى وحيوى فى قضية أفغانستان،وقد كان العرب يمتلكون المؤهلات المادية والمعنوية لمثل ذلك الدور.
والحديث بالطبع عن القيادات الجهادية، وليس القيادات الإخوانية التى تواطأت وباعت وإستفادت لكونها أكثر ذكاءاً وخبرة بالسياسية والأوضاع الدولية وفقة الواقع (!!).
 كان الأشد إيلاما لنفسى أن العرب المجاهدين لم يشعروا بما إرتكبوه من تقصير. ومازال الأحياء منهم والذين خارج السجون، لايشعرون بما حدث. مع أنى أعتبر عدم قيامهم بذلك الواجب جريمة. ولكن مع العرب لابد من بذل الجهود المضنيه للبرهنة على أبسط البديهيات.
كنت واحدا من تلك الفئة القليلة من العرب، الذين ألقوا بكيانهم كله فى أتون "الجهاد الأفغانى"،

فمنهم من مزق جواز سفره عازما على البقاء حتى "الفتح" أو"الشهادة"، وكانت الشهادة أقرب إلى وجدانهم وفاز بها أكثرهم. وكنت أكثر شغفاً بالفتح أى بالتعبير العسكرى "الإنتصارالحاسم" أما الشهادة فلم تكن تشغلنى كثيراً، فهى "مشيئة إلهية" أما قتال العدو فهو "تكليف إلهى" . ولايمكن لعاقل أن يفكر فى القتال بدون أن يبحث عن وسائل النصر.

المدهش أن أكثر العرب لم يكونوا يفكرون فى النصر، ومازالوا، بل يكاد يقتصر إهتمامهم وتفكيرهم فى الشهادة. أما النصر فهو من عند ا ، ويفهمون ذلك علي أنهم غير معنيين بحيازه الوسائل المادية التى توصل إلى النصر ، بإعتبارأو بإفتراض، إن العنصر الإيمانى موجود و متوافر.

بعد ضغوط كثيرة وافق العرب على بديهة تقول بضرورة الإعداد قبل خوض الحرب.

فبدأت موجه التدريب التى سريعاً ماتحولت إلى موضة، وعند كثيرين صار "التدريب من أجل التدريب" هو عقيدتهم العسكرية. والمدهش أن كثير من القيادات المؤثرة صارت بحيث تدرى أو لا تدرى تتصرف عملياً وفق تلك النظرة الغريبة للتدريب العسكرى.

□ المصائب الستة لعام 1988 لم يشعر بها معظم العرب، الذين ظنوا ان كل شئ على أحسن مايرام كما أوحى إليهم قادة بشاور الأصوليين جنباً إلى جنب مع الإعلام المتحكم والمتفائل للدكتور عزام، ومجلات بشاور التى تزايد عددها وحجمها، ووتيرة حديثها الحماسى والشاعرى، مع قليل من صفحات الكلام الموضوعى الذى تمت لفلفته وتعميته حتى لايدركه البسطاء المتحمسون الذين يبغضون، وربما لايستطيعون ، إستعمال ملكاتهم العقلية.

كانت صورة المؤامراة الدولية والداخلية على جهاد أفغانستان واضحة تماماً ، لمن أراد أن يعرف. لكن الوسط الجهادى هو الأزهد دوماً ، حتى ذلك الوقت على الأقل ، فى معرفة حقائق الدنيا من حوله ، خاصة دنيا السياسة، وبالأخص سياسة المناطق المشتعلة حرباً، أوجهاداً كأفغانستان.

وبحكم العمل الصحفى، مع العلاقات التاريخية الحميمة مع مجاهدين قدماء تمكنت من تجميع صورة لما يحدث هى أقرب إلى الصحة . كانت المؤامرة خطيرة واسعة الأطراف، وبالتالى فإن الأخطار حقيقية وجسمية، والمناقض لذلك هو أن الإنتصار ممكن وفى مدى وسائلنا المتاحة إذا تمكنا من تجميعها وإستخدامها بشكل جيد.

وهو ماحاولنا جهدنا فيه، وفشلنا . . أقصد مافعلته وصديقى عبدالرحمن، لذا كان من النتائج المدهشة والتى توصلنا إليها هذا العام ، ربما قبله أيضاً،فكرة أن السعداء حقاً هم الذين سوف يلاقون الشهادة فى هذا الجهاد .. وأن المصائب كلها سوف تنصب على رأس من سينجو إلى مابعد نهاية تلك الحرب. فهو وإن تحقق النصر سوف يجد السجون والمشانق العربية فى إنتظاره على سلم الطائرة عند عودتة إلى بلاده. ولاحظنا ونحن نضحك من أعماقنا، ضحكاً أقرب إلى نزيف الدم، أو الرثاء الباسم ، إن مجموعتنا هذه قد إصيبت (بالتناحة) ولم يستشهد منها أحد رغم مرور السنين. وضحك بعض أصدقائنا العرب الذين تجمعوا حولنا فى بارى فى ربيع 1988، ولم نكن ندرى وقتها أن عبد الرحمن نفسه على وشك أن يكون أول شهيد من بين مجموعتنا . . ليحقق بذلك أمنية لنفسه. ويصيبنى إختفائه بأكبر مصيبة على المستوى الشخصى لم أصب بمثلها منذ خلقنى ا وحتى يومى هذا.

أستشهد عبد الرحمن بواسطة لغم فوق جبل تورغار ، وبعد أقل من شهرين أستشهد أبنى

خالد ، مع 12عربياً آخر. لتكون صدمة عنيفة لى على المستوى الشخصى والعائلى .
هل يستحق إذن ذلك العام 1988 أن أطلق عليه عام الكوارث... ؟؟. أظن أنه يستحق
****

كارثة (أوجرى)

العاشرة والنصف صباح الأحد 9 إبريل 1988 كان صباحاً مشمساً و جميلا،ولكن فجأه دوى إنفجار لم تشهد له باكستان مثيلاً، إرتفع على إثره عموداً من الدخان لآلاف الأقدام.
حدث الإنفجار فى معسكر أوجرى الواقع بين المدينتين التوأم إسلام آباد وشقيقتها روالبندى الملتصقة بها مثل توأم سيامى. كان ذلك المعسكر يحتوى مخزون ذخائر إستراتيجى للمقاومة الأفغانية.وحسب ما أذيع فأنه كان يحتوى عشرة آلاف طن من الذخائر من بينه 30 ألف صاروخ،وآلاف من قذائف الهاون وملايين من طلقات الأسلحة الخفيفة .. وصواريخ ستنجر.
كان المخزون تابع للمخابرات الباكستانية ISI وتتولى منه توزيع الحصص المقررة للمجاهدين الأفغان.كنا فى ذلك الوقت مع مجموعات من العرب نحاول تنفيذ برنامجناالعسكري الطموح فى منطقة بارى جنوب وادى خوست.
وقد تابعنا حادثة (أوجرى) عبر الإذاعات والصحف الباكستانية التى نحصل عليها من"ميرانشاه" الحدودية. كان ماتعكسه البيانات الرسمية وقتها، أقل بكثير من الحجم الحقيقى للكارثه، ولكن مشاهدات الصحفيين وأقوال شهود العيان وصفت صورة أقرب إلى أفلام الرعب وكوابيس اليقظة. إنهم يتحدثون عن عشرات القتلى ومئات الجرحى وسماء تمطر مالا يحصى من صواريخ الكاتيوشا فتتساقط على البيوت الآمنة فى"بندى" و"إسلام آباد" ومن حسن الحظ أن تلك الصواريخ كانت بدون صواعق فهى إذن لم تنفجر ولكنها ثقبت سطوح البيوت وقتلت عدداً من الأهالى.
كانت أسرتى تسكن فى إسلام آباد، وكذلك أسر أبوجهاد وأبوحفص وسلطان، وعدد آخر من أصدقائنا المقربين، ويسكن معظمنا فى منطقة واحدة أو منطقتين متجاورتين. وقتها كنا جميعاً فى الجبهات أو المعسكرات، ولم يكن فى إسلام آباد سوى النساء والأطفال. طبيعى أن نشعر جميعاً بالقلق البالغ عليهم.كان أبنى الأكبر وليد (16عاماً) فى معسكر التدريب الذى يشرف عليه "أبوأسامه" أما أخوه خالد (14عاما) فكان فى بشاور مع والدته. وباقى الأسرة كانوا تحت إشراف"عبدالرحمن" ولدى الأصغر. وكانت زوجة صديقنا أبو معاذ وطفليها تسكن مؤقتاً فى بيتنا لرعاية أطفال الأسرتين. وقت سقوط الصواريخ فى صباح ذلك اليوم إنهارت أعصاب زوجة أبو معاذ، مثل باقى نساء المدينتين المنكوبتين، ولنا أن نتخيل حال أطفالنا الذين لم يكونوا أسعد حالا من أطفال الباكستانيين. ولكن الذى تمالك أعصابه تماماً وكان يلقى بالأوامر والنصائح العسكرية كان أبنى عبدالرحمن"10 سنوات"الذى نصح أم معاذ وإخوانه ألا يخرجوا إلى الشوارع وأن يبقوا فى الطابق السفلى . لكن أم معاذ خالفت جميع الأوامر وسحبت خلفها طابوراً طويلاً من الأطفال كى تخوض فى شوارع مزدحمة بالمركبات المجنونة وأمواج بشرية فقدت صوابها وسماء تمطر بالكاتيوشا، لكى تصل إلى عائلة عربية تسكن حياً مجاورا. وأخيراً لم تجد فائدة سوى إلتزام أوامر خبيرنا العسكرى عبدالرحمن الذى تعود على معارك أفغانستان منذ عام 1985م فكان يهزأ بذلك الرعب الذى ليس له مبرر،فليس هناك

أنفجارات إنما هى صواريخ تسقط مثل الأحجار ليس إلا. وبعد الحادثه قالت بعض الإحصائيات أن عدد القتلى تجاوز المئه وعدد الجرحى تجاوز 1200 من بينهم 200 طفل، وتم جمع 5400 صاروخ لم تنفجر، جمعت من الشوارع والمزارع ومن بين البيوت.

لم تكن الحرب الأفغانية قريبة إلى هذا الدرجة من المواطن الباكستانى، لقد دخلت عليه من أسقف البيوت ونوافذ السيارات. وذلك الإنفجار الرهيب الذى ظنه البعض أنفجارا نوويا ناتج عن هجوم هندى على العاصمة، هو إنفجار لم تشهد (كابل) له مثيلا طول مدة الحرب من بدايتها وحتى نهايتها !!.

كيف وقع الإنفجار؟. . ولماذا وقع؟. . فلننظر إلى أفضل ماكتب حول هذا الموضوع ثم نناقشه. . إنه ماجاء فى كتاب فخ الدب، الذى إلتقينا به عدة مرات، "وسوف نضع بين قوسين الإقتباسات التى إنتزعناها من الفصل الرابع عشر من الكتاب":

{فمن وجهه نظر أعداء الجهاد كان التوقيت ممتازاً، فبعد الإنفجار بعده أيام وقع السوفييت على إتفاقية جنيف، وفى الشهر التالى بدأوا إنسحابهم وهو يعلمون أن المجاهدين قد حرموا من كل مخزونهم من السلاح والذخيرة فى ضربة واحدة.

فلقد وقع الإنفجار عندما كان المستودع مملؤ عن آخره، بل كان فيه زيادة عن سعته بما يساوى إمداد أربعة أشهر.

وعندما كنت فى أوجرى، كنا نحاول أن نبقى المخزون أقل مايمكن، وكنا نستعمل المعسكر كنقطة عبور فقط وكانت تنطلق منه شاحنات يومية من بشاور. وكان النظام الجديد الذى تبناه الفريق (جول) هو تخزين تشكيلات معينة من الأسلحة والذخيرة، من مختلف الأنواع للقادة الميدانيين، وقد أدى هذا النظام إلى تراكم المخزون فى "أوجرى". ولاتكتمل التشكيلة إلا بعد وصول كل مكوناتها من أنواع الأسلحة والذخيرة، فقد كان الجزء الذى تشرف عليه (CIA) من خط الإمدادات، غير منتظم وكثيراً ما كانت الشحنات ينقصها أشياء معينه، لذلك كان يحدث تأخير فى (أوجرى) دائماً.

فى تلك المرة كانت هناك مئات التشكيلات موجودة فى المستودع منذ أسابيع، وزاد الأمر سوءاً أن بعض شحنات الأسلحة التى كان مقرراً أن تشحن إلى القادة مباشرة كانت محجوزة للأشهر الثلاثة السابقة بسبب جو الشتاء.

وفى اللحظة التى كان المجاهدون ينتظرون فيها أن تملأ مخازنهم التى كانت قد فرغت، وحتى يبدأوا عمليات الربيع. . لم يكن هناك شئ!!.

وإن كان الحادث تخريبياً متعمداً، فقد كانت ضربة بارعة، فقبل أن يقع آخر صاروخ على الأرض كانت الإتهامات تطير فى كل إتجاه. . كيف يمكن أن يحدث ذلك؟. . ولماذا كانت تخزن كميات كبيرة من الذخيرة فى منطقة آهلة بالسكان كهذه ؟. . . ومن المسؤول؟. . . وألقت السلطات المدنية بقيادة رئيس الوزراء اللوم على الجيش والمخابرات.

وإتهم الجيش المخابرات بعدم الكفاءة. وإنقلب رئيس الوزراء والجيش على الفريق أختر، وقد ترك المخابرات منذ أكثر من سنة، ولكن هو الذى وافق على (أوجرى) لتكون المستودع الرئيسى لأسلحة المجاهدين، لذلك يجب أن يتحمل اللوم، أو كذلك كان متهموه يفكرون. أما معرفة رئيس الدولة ورئيس الوزراء للمعسكر وزيارتهما له وعدم إبدائهما أى إعتراض على موقعه فإن كل ذلك أصبح شيئاً منسياً، وكانت تلك هى الفرصة المثالية لتحطيم أختر ولإدانة

الجيش والمخابرات.
ولم يكن أمام الرئيس ضياء الحق الذى كان رئيساً لأركان الجيش أيضاً، إلا أن يدافع عن الجيش، وكانت علاقة الرئيس مع الحكومة المدنية ورئيس الوزراء سيئة أصلاً، فلم يكن ليعترف أن الكارثة كانت بسبب خطأ الجيش أو المخابرات، وبالتالى ساند ضباطه خصوصاً "أختر" و"جول". وإستغلت الحكومة المدنية هذا الحادث حتى تصعد مقاومتها للجيش إلى الحد الأقصى.

وفى خلال بضع أسابيع كان ضياء الحق قد أقال رئيس الوزراء وحل البرلمان الإتحادى والبرلمانات الإقليمية.

وعندما حاول رئيس الوزراء إلغاء ترقيات بعض كبار الضباط، وأصر على إجراء تحقيق فى حادث "أوجرى" وأن يعلن نتائجه، أنشئت فوراً محكمة عسكرية للتحقيق برأسها الفريق عمران خان قائد الفيلق فى روالبندى، والذى لم يكن سعيداً بالمهمة. وليس عندى شك أنه لم يعرف ماذا يفعل لأن رئيس الوزراء كان يدفعه فى إتجاه والرئيس يجذبه فى إتجاه آخر. كان رئيس الوزراء (فيما أعتقد) يريد أن يثبت اللوم على الفريق أختر، بينما أصر الرئيس ضياءالحق على تكتم الأمر وعدم الإشارة إلى شخص معين بالمسئولية.

وكانت النتيجة أن تردد (عمران خان) الأمر الذى أغضب رؤساءه العسكريين والمدنيين، وأخيراً وكما كان متوقعاً وصلت المحكمة إلى قرار بدون توجيه اللوم إلى أى شخص، ولا أدرى بالتأكيد إن كان الحادث قد إرجع إلى عمل تخريبى أو حادث عرضى، لأن تقرير المحكمة لم يعلن عنه.

ولكن الذى أعرفه هو أن أحداً لم يعاقب، وأستمر الفريق "أختر" والفريق"جول" فى عملهما، أما رئيس الوزراء فهو الذى فقد منصبه.

وقد دعيت لأشهد التحقيق، ولكن لم تعجبنى أساليبه ولادوافعه، لكن ظهرت من خلاله بعض الحقائق الجيده، فقد بدأ الحريق من إحدى الصناديق المحتوية على صواريخ مصرية الصنع والتى كانت CIA قد أرسلتها إلى المخابرات الباكستانية للتجربة قبل صرفها للمجاهدين.

وعلى النقيض من كل قواعد الأمان، فكانت هذه الصواريخ مذخرة بصواعق بفعل المصريين قبل شحنها. ووقع أحد الصناديق على الأرض، إما بسبب سؤ تصرف عمال المستودع الذين كانوا فى المستودع وقتها، أو بسبب أداة تفجيرية صغيرة. وحدث إنفجار صغير بسبب وقوع الصندوق، وأدى الإنفجار إلى حريق، وكان هناك عمال فى المستودع قد أصيبوا، فسارع الآخرون إلى إخراجهم من المستودع وإسعافهم، ولم تكن هناك محاولة لإطفاء الحريق لأن الكل كان مشغولاً بنقل المصابين، وبعد حوالى 18 دقيقة إنفجر المستودع كله مرة واحدة.

أما عن كيفية وقوع الحادث فليس هناك تفسير قطعى، فكان يمكن أن يكون حادثاً، ومن الممكن أيضاً أن يكون تخريبياً. ولو كان حادثاً فقد وقع فى أسوأ وقت ممكن من ناحية تأثيره على الجهاد.

- والتفسير الذى يقول أنه حادث يقول أن الصواريخ المصرية التى كان فيها صواعق سقطت بسبب سؤ التصرف فأنفجر أحدها مسبباً حريقاً ربما فى الحمالة الخشبية. ولم يحاول أحد إطفاء الحريق لأن الجميع كانوا مشغولين بإخلاء الجرحى، فإنتشرت النيران وحدث الإنفجار الكبير، ولم يكن ذلك أول حريق فى "أوجرى".
- أما الذين يقولون أنه كان عملاً تخريبياً فإن حجتهم مبنية على أساس أنه كان ممكناً القيام

بهذا العمل التخريبى.
وبنفس الأهمية كان هناك مسألة التوقيت.
والصدفة العجيبة أن المستودع كان مملوءاً أكثر من أى وقت مضى، وأن السوفييت كانوا على وشك البدء فى الإنسحاب وأنهم كانوا يريدون أن ينسحبوا بأقل خسائر ممكنه، وأن المجاهدين كانوا يعتمدون على المخزون لشن هجوم الربيع. وأصحاب نظرية التخريب يقولون أن الصواريخ تم العبث بها إما فى مصر أو فى باكستان. من المحتمل أن يكون ذلك قد تم بناء على طلبKGB ، وعندما دخلت الصناديق إلى المستودع تم التفجير بواسطة أداة تفجير عن بعد من خارج المستودع. أو أن أداة التفجير والشحن الناسفة وضعت فى المخزن عن طريق شخص له صلاحية الدخول فى المستودع ولكن المعسكر كان عليه حراسة 24 ساعة يومياً ولايسمح لأى شخص غريب بالدخول إليه. لذلك من المرجح أن الإنفجار الأول الذى أدى إلى وقوع الصندوق على الأرض، كان بسبب إنفجار من أداة تحكم عن بعد، أو أداة توقيت.
ولو كان الحادث تخريبياً، فمن الواضح أن السوفييت لهم الدافع الأول فى القيام بمثل هذه العملية، لكن الأمريكيين أيضاً كانوا يرغبون فى إعطاء السوفييت فرصة للإنسحاب بأدنى خسائر وإن كانت تلك الفكرة تبدو خيالية، فكما بينت من قبل،كانت سياستهم تتغير، وأصبحوا يريدون جموداً فى الوضع العسكرى والحيلولة بدون إنتصار الاصوليين فكان حرمان المجاهدين من الذخيرة فى ذلك الوقت يتناسب تماماً مع أهدافهم. إن الشك فى براءة الأمريكيين يؤكده أنهم قللو جداً من إمداداتهم للمجاهدين بعد الحادث، ولو كانوا يريدون تعويض الخسارة التى سببها الإنفجار لبذلوا جهداً لتحقيق ذلك، لكن لم يحدث شئ من ذلك، بل لم تصل شحنات من السلاح إلى شهر ديسمبر، وكانت CIA تعلم أن وصول الأسلحة فى ذلك الوقت يعنى أنها لن تصل إلى المجاهدين حتى نهاية الشتاء،عندما يكون السوفييت قد رحلوا ولذلك يبدو أن الأمر كان مرتباً بطريقة تجعله كأنه حادث .
بالنسبة لى كان تدمير كل مخزون المجاهدين من السلاح والذخيرة إحدى نقاط التحول فى الحرب، فى نفس الوقت الذى كان السوفييت يفرغون فيه إمدادات لم يسبق لها مثيل من الأسلحة على أفغانستان حرم المجاهدون من الوسيلة التى يستطيعون بها القيام بعمليات كبيرة أو طويلة الأجل، وبقيت المخابرات الباكستانية بعدها فى حالة صدمة لفترة، ولم يفيقوا من صدمتهم بالدرجة التى تمكنهم من التخطيط الإستراتيجى لإختطاف النصر فى الميدان أثناء إنسحاب السوفييت أو بعده، وضاعت فترة حرجة لإحراز النصر فى الميدان، كان يجب إستغلال فترة إنسحاب السوفييت للتخطيط والتدريب والتنسيق وإرسال الإمدادات إلى الأماكن التى ستستعمل فيها داخل أفغانستان كان يجب أن تتم هذه الأنشطة طبقاً لخطة عسكرية سليمة، وكان يجب إتمامها قبل دخول الشتاء، ولم يحدث شئ من ذلك، وبمجرد أن بدأت المخابرات تفيق من صدمتها حتى وقع حادث تدمير طائرة ضياء الحق. والذى قتل فيه ومعه الفريق أختر} .

****

إذن فكارثة "أوجرى" أحيطت بالتكتم الرسمى تماماً كما حدث فى كارثة إغتيال الرئيس ضياء

الحق فيما بعد ذلك بسته أشهر تقريباً، ومع ذلك فإن ذلك (الفاعل المجهول) كان أشهر من أن يشير إليه أحد.

والغريب أن الناس فى باكستان، المثقفين والعوام، الصحفيين ورجال الحكم أوالمعارضة،تكلموا سراً أو علناً بأن CIAهى وراء العمليتين، وكانت صورة الكى .جى. بى تطوف مثل شبح غير مؤكد حول مسرحى الجريمة.

وقد ثبت للمجاهدين المخلصين بعد ذلك بعامين تقريباً أن الكى جى بى كانت تعلم مسبقاً بخطة إغتيال ضياء الحق رغم أن CIA هى التى قتلته، وهى التى أيضاً فجرت مخزن الذخائر فى "أوجرى" إذاً فهى عمليات مشتركة بين أمريكا والسوفييت.

 وتفجير "أوجرى" كانت موجهة فى الأساس لضياء الحق الذى أدى دورة وإستنفذ أغراض وجوده وحان الوقت لإزاحته بأى طريقة . . ولو بالقتل. وقد كان ضياء يهدد فعلياً أمكانيه أية تسوية فى أفغانستان بين السوفييت وأمريكا، ولاتضع فى حسبانها مصالح باكستان.

إن ضياء الحق كزعيم يريد أن يتبوأ صدارة إقليمية ودولية تتناسب مع إنتصاره فى أفغانستان والذى أراده إنتصاراً شخصياً يجعله زعيماً لايبارى فى المنطقة وفى العالم الإسلامى بل والعالم كله.

ومن أجل ذلك وافق ضياء الأمريكان على إزاحة صديقه أخترعبدالرحمن، حتى لايقف فى باكستان أحد الى جواره عند التقاط صور الإنتصار مستقبلا بعد إنسحاب السوفييت، وفتح كابل.

رأى الأمريكان أن ضياء الحق لابد أن يلاقى مصيراً يجعله عبرة لعملاء العالم الثالث حتى لوكانوا برتبه رؤساء جمهورية أوملوكاً، إن مصيرهم هو فى يد من صنعوهم ووضعوهم فوق كراسى الحكم وأعناق الشعوب.

حتى ضياء لعب نفس اللعبة مع عملائه الأفغان عندما ظن بعضهم أنه أصبح كبيراً لدرجة تؤهله لعصيان صانعه وولى نعمته ضياء الحق. فالعميد محمد يوسف فى كتابه الأول "الجندى الصامت" قال :

(وكنت حاضراً فى مناسبتين عندما طلب ضياء الحق من أختر عبدالرحمن زجر وتأنيب حكمتيار بهذه الكلمات . "يجب تحذير حكمتيار وإبلاغه أن باكستان هى التى جعلت منه قائداً للأفغان، وأن باكستان هى أيضاً التى تستطيع تدميره إذا إستمر فى سلوكه هذا ". وقام أختر بإبلاغ الرسالة بأدب إلى حكمتيار وراء الكواليس)..

بنفس المنطق دمرت أمريكا صنيعتها ضياء الحق، فلديها دوماً المزيد من أمثاله فى جرابها السحرى.

كان ضياء يسعى جاهداً لإفشال جنيف، ويدفع صنائعه من القادة الأفغان (الأصوليين) كى يتحدوا تحت راية عميلة المفضل حكمتيار كى يحسموا المعركة عسكرياً(!!)،. لقد نسى ضياء أن حسم المعارك أمام قوى عظمى إنما يقوم به رجال فى سبيل قضايا كبرى يؤمنون بها. ولا يقوم بمثل هذه المهمة الخطرة عملاء أشتروا كراسيهم وزعاماتهم المصنوعة مقابل دماء شعوبهم وأمال أمتهم المحطمة.

تدمير "أوجرى" كان تدميراً لقواعد عرش ضياء الحق، ولكنه لم يفهم الرسالة، أوفهم لكنه أصر على المقاومة، فكان لابد من تدميره شخصياً.

وتدمير "أوجرى" قلب الصفحة القديمة وبدأ صفحة أخرى فى العلاقة بين أمريكا و"الجهاد الأفغانى"، فى الصفحة الأولى ركبوا موجة الجهاد وصعدوا على أكتاف زعمائه ووظفوا حتى

الثمالة أنهار الدماء التى جاد بها المجاهدون والشعب الأفغانى، وحققوا بذلك نصراً لم يكونوا يحلمون به فى أشد أحلامهم جنوناً.
لقد حملت "البغال" سيدها وأثقاله إلى قمم القوة والسيادة الدولية وجاء وقت المكافأة. . طلقة فى الرأس حتى تنتهى أسطورة المجاهدين فى أفغانستان، إنهم مثل سيدهم ضياء الحق، أدوا دورهم ويجب القضاء عليهم حتى لايطالبوا بما لاينبغى لهم.
- بعض الأذكياء فى بيشاور فهموا الرسالة، خاصة قادة الأحزاب الجهادية، التى تخلت عن ضياء الحق ورفضت السير وراءه أو وراء حكمتيار، الإبن المدلل لكرسى الحكم فى باكستان. لقد شكلوا فى بداية العام "حكومتهم المؤقتة" وشعارها أن "لا إعتراف بإتفاقية جنيف"، لكنهم فى نهاية العام رتبوا صفوفهم بطريقه أخرى وصاروا أشد المخلصين لتطبيق بنود جنيف نصاً وروحاً. وعجيب ذلك التشابه بين زعماء الإفغان، الإسلاميين الأصولى منهم والمعتدل وبين زعماء الدول العربية، الراديكالى منهم والمعتدل.
 لقد تخيل العميد يوسف أن تفجير أوجرى كان نقطة تحول فى الحرب الأفغانية لأنه حرم المجاهدين من الأسلحة التى تمكنهم من قتال الجيش السوفيتى فى مرحلة إنسحابه، ثم إسقاط نظام كابول. وهى نظرة صحيحة ظاهرياً لمن لايعرف الوضع الأفغانى من داخله. فالموجود داخل أفغانستان فعلاً من أسلحة وذخائر ورجال كان يكفى"ويزيد"لأداء تلك المهمة، ولكن شئ هام كان قد حدث منذ أن كان العميد يوسف مسئولاً عن قسم أفغانستان فى الإستخبارات الباكستانية. وهذا الحدث كان تفجيراً أفظع وأكثر إجراماً من تفجير أوجرى، ألا وهو تفجير الروح الإسلامية الجهادية فى أفغانستان، وتحويل الناس هناك إلى مرتزقة، وزعمائهم إلى عملاء، وقتالهم إلى أكل عيش وتكديس ثروات،حتى صار المجاهدون الحقيقيون فى تلك البلاد مثل الشعرة البيضاء فى الثور الأسود.
ومع ذلك فقد إنتصر هؤلاء فى نهاية الأمر وبعد أربع سنوات من المرار وليس فى أيديهم إلا أقل القليل من السلاح وأقل القليل من الرجال.
إن العميد يوسف، والجنرال أختر عبدالرحمن، وفوقهما الرئيس ضياء الحق، هم أكبر المجرمين فى حق الجهاد، إذا وضعنا المعايير الإسلامية الصحيحة قيد الإعتبار. وما كان لأمريكا أو غيرها أن تخترق صفوف المجاهدين وتحول مسارهم إلاعبر هذه الوجوه التى تدعى الإسلام، وتقسم بالإيمان المغلظة على إخلاصها.
لقد تلوث هواء أفغانستان، وفسدت أرواح المجاهدين من جراء بعثات الشياطين التى أرسلها إلى هناك أختر والعميد يوسف كى يعيثوا فساداً فى الجهاد كفريضة دينية خطيرة الأثر، فحولوه إلى مجرد قتال، وسبيلاً لكسب العيش بقتل الآخرين.
ونحن لانستبعد وجود حالات شاذة لإناس مخلصين فى أوساط الأجهزة الباكستانية، ولكن كلامنا هنا عن الطبيعة العامة الفاسدة لتلك الإجهزة ومسئوليها الكبار، الذين يتم إختيارهم بعناية فائقة بحيث يصعب جداً أن يصل إسلاميون مخلصون لدينهم إلى تلك المناصب. وربما كانت الفرصة أفضل أمام بعض أصحاب الميول الوطنية، ولكن تلاحقهم دوما حملات التطهير المتعاقبة.
- ذكر العميد يوسف أن المصيبة بدأت من الصواريخ المصرية وفى الواقع أن مصر "مبارك" كان لها دوراً شيطانياً رئيسياً في معاونة أمريكا ومحاربة الجهاد فى أفغانستان، خاصة فى المرحلة الجديدة التى دشنها إنفجار أوجرى وساهمت مصر بنصيب وافر من الذخائر

المفخخة والتى أودت بحياة العشرات من المجاهدين "الأفغان والعرب".
والصواريخ المذكورة فى حادث أوجرى هى صواريخ (صقر/20) (صقر/30)،وكانت فى طور التجربة كما ذكر العميد، وقد شاهدنا المخابرات الباكستانية تجربها فى خوست، ثم وزعتها على مجاهدي المنطقة بعد وقت قصير من تجربتها، مع قيود مشدده بالأهداف التى ينبغى أن تستخدم ضدها، بما أفقدها قيمتها الحقيقية فى العمليات. وسوف نرى ذلك عند الحديث عن عمليتنا فى بارى فى ربيع 1988.
وبالمناسبة فقد رصدت عدة حالات تفخيخ فى صواريخ صقر المصرية، كانت واحدة منها على الأقل أثناء معارك جلال آباد.
إن تفجير أوجرى كان خدمة للأهداف الأمريكية والسوفيتية التى أصبحت متطابقة إزاء نقطة محددة هى مقاومة الإسلام فى أفغانستان.
وما دامت أمريكا قد قررت، وسار معها السوفييت فى نفس الطريق، فما أيسر أن يتسابق الصغار إلى تقديم الخدمات. والأجهزة التجسسية فى مصر وباكستان أو السعودية وغيرها جاهزة دوماً للسجود تحت أقدام "آلهة الدولار المقدس"، وما أيسر قتل المسلمين، و تقديم رؤوسهم على أطباق من ذهب إلى عاهرات بنى إسرائيل.
****

الطريق الطويل إلى تورغار

كان العرب فى قمة نشاطهم منذ أواخر شتاء 1987. فقررت عدم إضاعة الوقت والتحرك بسرعة صوب "بارى"، فلو إستطعنا مع الأفغان تحقيق ضربة موجعة للشيوعيين فى خوست، فسوف يكون لها تأثير كبير فإتفاق جنيف سوف يوقع غالباً فى منتصف أبريل، ومدينة خوست ملء سمع العالم وبصره بعد الضجة العالمية التى لم يسبق لها مثيل حول معركة طريق "زدران"، فالأضواء لم تبتعد كثيراً ولم تنس طريقها إلى المنطقة . . فلا بد أن يخرج السوفييت بفضيحة عسكرية أن لم يكن بهزيمة كاملة . . وليس أفضل من خوست لتحقيق ذلك

اليوم هو الأربعاء الأول من مارس 1988 رغم لسعة البرد الخفيفة إلا أن الطقس فى إسلام آباد يفوح برائحة مبكرة لفصل الربيع ، لكن أفغانستان شئ آخر ، وحتى خوست اللطيفة فإن بردها فى مارس لابد أن يوضع فى الحسبان.
أربعة توقيتات هامة وخطيرة عند حساب توقيت العمليات العسكرية فى أفغانستان
أولاً: فصل الشتاء، وهو متفاوت الوطأة من منطقة الى أخرى لكنه قاس على كل حال ويؤدى غالباً إلى شلل فى العمليات،وغالباً مايدفع المجاهدين إلى الخلف تاركين بعض الجبال أوالسهول الصعبة حتى ولو كانت هامة بالنسبة لهم.
ثانيا: شهر رمضان المبارك، فليس أحب على الأفغاني من قضاء هذا الشهر فى وسط عائلته وقريته.
ثالثاً: عيد الفطر .
رابعا: عيد الأضحى.
فالحرب يمكنها أن تنتظر فهى مستمرة من سنوات، ولم تظهر لها نهاية.

فلماذا لاتنتظر تلك الحرب حتى يعود الناس من عطلات العيد مع الأهل والأحباب ؟
هذه أعراف أو قوانين، يصعب جداً تخطيها أو تغيرها. والمصيبة أن السوفييت يعلمون ذلك، ويستفيدون منها دائما وفى كل مكان من أفغانستان. فهذه المواسم الأربعة هى مواعيد دائمة لأنتصارات موسمية لقوات السوفييت وحلفائهم.

كنا نتحرك فى وقت ضيق ومضغوط، فالشتاء لم ينته بعد فى أفغانستان، لكن خوست لابأس بها على أيه حال. ولكن ماذا عن رمضان وهو على "مسيرة" شهر ونصف من الآن؟.. لو حالفنا التوفيق، وتحركت حماسة المجاهدين فقد يقضون معنا رمضان والعيد أيضاً.. وحدث ذلك أحياناً فى السابق. . ومن يدرى فربما تكرر ذلك هذه المرة أيضاً.

تحركت من إسلام آباد ومعى الصديق "أبومعاذ"، من جماعة الجهاد المصرية.

إضافة إلى كونه خبيراًفى تفسير الأحلام فهو لطيف المعشر مرح مثل معظم أمثاله من أصحاب الوزن الزائد.

كان من المفروض أن يتولى أبو معاذ الأمور الإدارية المتعلقة بعمليتنا القادمة من خلال مكتبنا فى مدينة ميرانشاه الحدودية التى هى المركز الإدارى الخلفى والرئيسى لكل الوحدات العاملة فى خوست، ومناطق غيرها كثيرة. ولقد أدى أبو معاذ عمله بجدارة ومثابرة هادئة مع إبتسامة دائمة لم أضبطه يوماً بدونها.

تحرك معنا "ولـ ـيد" إبنى الأكبر حتى ينضم إلى معسكر أبو أسامة فى ورسك، أما "خالد" إبنى الآخر فقد إستطاع أن يتملص من السفر معى، فقد كان مشغولاً ببعض الصفقات التجارية الصغيرة فى (بازار) الحى الذى نسكن فيه، كما صارحنى أنه يريد ترك الدراسة وأن يتفرغ للتجارة، ويريدنى أن أساعده فى أفتتاح (سوبرماركت)!! .

كنت أظن أننى أقنعتة بالإهتمام بدراستة، وتأجيل مشروعه التجارى إلى مابعد التخرج، لكن روحه الإجتماعية المرحة، وجرأته، وإتقانه اللغة المحلية بسرعة، جعلاه يحرز نجاحاً تجارياً أكثر مما كنت أتوقع، فشجعه ذلك على المضى قدماً فى أحلامه التجارية.

وساعده على ذلك تلك المعاملة (الوحشية) التى لقيها من أساتذته فى "المدرسة الليبية" التى يبدو أنهم جعلوه هدفاً للقصاص من كل أخطاء الحكومة المصرية فى حق (الأخ العقيد) قائد ثورة الفاتح من سبتمبر. وخالد بدوره إستجاب لفطرته المحبة للإنطلاق وعشقه الموروث للنكته المصرية، فحول أحد الهتافات المدرسية التى يطلقونها في فناء المدرسة من "الفاتح ثورة الحرية" إلى "الفاتح ثورة الحرامية". وعاد يومها من المدرسة وهو يحمل على صدغه الأيسر طابع أزرق كبير ذو خمسة أصابع من كف مدرس الصف.

وفى الغالب أنه تصدر القائمة السوداء فى المدرسة وربما السفارة الليبية، لأنه ظل هدفاً دائماً للتعذيب البدنى والنفسى. . وكان سعيد الحظ بأن أفلت من هذا الإضطهاد. . لقد أنقذته قنبله سوفيتية فى (جاور)... وربما كانت مدرستة الأسعد حظاً بذلك.

غادرت إسلام آباد وأنا أشعر بالغضب لإختفاء خالد المتعمد وقد نقلت له أمه ذلك، وقد إنزعج لذلك أيما إنزعاج، وسافر خلفى وظل يبحث عنى فى بيشاور إلى قرب منتصف الليل حتى أدركنى فى أحد البيوت، وكنا وقتها فى إجتماع، فرفضت أن أقابله وظللت أعامله بجفاء، وأحياناً بقسوة، حتى يوم إستشهادة.

وكان إستشهاده دليلاً لايقبل الشك أقنعنى بأننى كأب لاأساوى شيئاً ، وأن آخر ما أعلمه هو أولادى. . ومشاعرهم ومشاكلهم .

****

شارع الجامعة فى بشاور، من أفضل شوارع المدينة من حيث مواصفات الطرق، وبالنسبة للمنطقة التى يمر بها، والتى كانت زراعية فى السابق، ويبدأ الشارع متفرعاً من شارع المطار الذى يخترق منطقة عسكرية عريقة تعود معظم مبانيها إلى عهد الإحتلال البريطانى للهند. أما شارع الجامعة فتنتهى مواصفاته العالية الجودة بأنتهاء مبانى جامعة بشاور، ليبدأ بعدها طريق خيبر الذى يصل بعد80 كيلومتر إلى أفغانستان عند نقطة تورخم الشهيرة عبوراً بممر خيبر التاريخى الذى شاهد حملات الغزو من وإلى الهند منذ فجر التاريخ.

على طول شارع الجامعة، وتفرعاتة الجانبية كانت معظم مكاتب وبيوت ضيافة المنظمات الأفغانية والمؤسسات الدولية، وأخيراً وصل العرب ليزاحموا التواجد الأفغانى والدولى المرافق له. فإنتشرت البيوت العربية العلنى منها والسرى على جانبى شارع الجامعة وتفرعاته، ولما ضاقت تلك الساحات، توسعت كل النشاطات السابقة إلى الأحياء الجديدة والحديثة فى منطقة (حياة آباد) الواقعة إلى يسار طريق تورخم فى بدايته المبكرة، ويفصلها عنه شريط السكة الحديد الذى تركه أيضاً الإستعمار البريطانى، الذى غادر المنطقة بجسده، بينما ظلت روحه جاثمه على روح "الدولة الباكستانية" التى لاتطيق الحياة بدون سيادة الغرب وعذاباته العذبة. فالصفوة المتغربة مازالت تحكم باكستان منذ "إستقلالها!!" ولكنها تحكم من تحت الحذاء الغربى، وترفض مجرد التفكير مجرد "الزحزحة" من تحته.

 شارع "عبد ا   رود" هو أحد التفريعات المشهورة من شارع الجامعة، وعند إلتقائه مع خط السكة الحديد "الإستعمارية" يقع بيت واسع كان مركزاً لهيئة عربية، ثم أصبح أحد مكاتب صديقنا جلال الدين حقانى.

ولما كانت الوجهة الرئيسية للعرب هو مشروعنا فى خوست، فإن مكتب حقانى هذا أصبح مكتباً نشطاً للعرب، وضاعف من ذلك أن شيخنا أبو أسامة المصرى إتخذ مقراً له أحد غرف ذلك المبنى حتى يحتفظ لنفسه بحيادية بعيداً عن مكاتب الأحزاب الأفغانية، أو مكاتب العرب بتوجهاتهم المتنوعة. وقد رأينا أن ذلك الحرص على الحياد لم ينفع "أبوأسامة" فتم طرده بطريقة مهذبه بواسطة أبا عبدا ، والشيخ عبدا عزام.

وكان الأول قد تم إختياره أميراً للعرب، والثانى أميراً لمعسكر صدى، أضافة إلى وائل جليدان "أبو الحسن المدنى" الذى إنتخب أميراً لمنطقة بشاور، وتمت تلك الإنتخابات فى مكتب الخدمات بين "أصحاب الحل والعقد". وكنت وغيرى من الرعايا قد سمعنا بنتائج تلك "السقيفه" وجرت علينا أحكامها وإن لم نشارك فيها أو حتى نسمع بإنعقادها.

على كل حال كان كل ما فى عقولنا وأرواحنا هو معركة كبيرة فى خوست تحول الإنسحاب "السياسى للسوفييت" إلى "هزيمة عسكرية" لالبس فيها، وكان العرب معنا وأمراؤهم أصدقاؤنا، فلا يهم بعدها ماذا حدث فى "سقيفتهم".

أبو أسامة كان قد تحرك إلى معسكره الجديد فى "ورسك" ودورته على وشك أن تبدأ بعد أيام وتحديداً يوم الجمعة القادم الثالث من مارس، وكان ذلك جيداً فهو الرجل المنضبط والصارم فى نظامه. لم يكن ليطيق حاله الفوضى تلك التى وجدنا فيها ذلك البيت، فوضى العرب وفرضى الأفغان حتى أصبح صورة مصغرة لأحدى "الجبهات" التى إنفلت عيارها.

صديقى عبدالرحمن يسكن فى بشاور مع زوجته، ويتلقى علاجاً بالإبر الصينية فى أحد

المستشفيات لعلاج مشاكل مزمنة فى اللوزتين. تلاقيت معه وكان عليه أن يتجهز بالرحيل مع عائلتة إلى ميرانشاه حتى نبدأ برنامجنا فى خوست، كان عبدالرحمن سعيداً بذلك الإنتقال ويسعى إليه منذ فترة.

أصدقاؤنا الجدد شفيق وأبو أنيس يبذلون أقصى جهدهم للإنتقال معنا بسرعة، ويرشحون عناصر أخرى من شباب الجزيزة وغيرهم.

ورغم التحذير فإن إقبال الشباب على معسكر أبو أسامة من ورسك كان شديداً. وكثيراً منهم كان قد تدرب قبلاً فى "صدى" لكن حب الإستطلاع دفعهم نحو "أبوأسامة" الرهيب الذى صورته أحاديث عرب بشاور كأنه وحش كاسر. وربما أن البعض دفعته إلى هناك غريزته فى تحدى الصعاب.

مفاجأة أخرى تمثلت فى وجود عدد من الأمريكيين الأفارقة،وصلوا إلى بشاور من أجل التدريب. تعرفنا منهم على أبو آمنه، وخليل مع ثلاثة آخرين لا أذكر أسماءهم. كان أجمالى عددهم أكثر من ذلك وحدث بينهم بعض الأضطرابات لكونهم من مجموعات مختلفة، وبينما إتفقت مجموعة منهم مع الدكتور عبدا عزام على المجئ للتدريب، كانت مجموعه أخرى قد أتفقت مع صاحبنا "سلطان"وتقابلت المجموعتان فى نفس البيت فى بشاور على الرغم منهما ومع حرص كل واحدة الا تعرف الأخرى عنها شيئاً (!!).

كانوا جميعهم من محترفى الرياضات العنيفة أحدهم كان أستاذا فى "الملاكمة التايلاندية"، إنقطعت صلتى بهم بعد فترة وجيزة، لكن وليـد، الذى كان قد تعلم الأنجليزية بشكل جيد، عقد معهم صداقة أستمرت لفترة طويلة نسبياً، فنالته كمية لابأس بها من اللكمات والرفسات، لكنه فى المقابل تعلم منهم ما جعله يعتقد أنه ملاكم جيد.

كان خليل هو أكبرهم سناً وكان ينظر إلى متسائلا: "نريد أن نعرف: من هو من؟".

لقد كان سؤاله مؤلماً ولم تكن عندى الإجابه فلذت بالصمت.

وحتى النهاية المأساوية لهذا الخليط المضطرب للعرب فى أفغانستان، لم يكن أحد يستطيع الأجابه على سؤال أخينا خليل: من هو من ؟؟.

 فى نفس اليوم كان لنا زيارة لأحد البيوت السرية التى يشغلها أحد قادة تنظيم الجهاد، وهو الدكتور عبدالمعز "أيمن الظواهرى".

كان البيت يقع قرب نهاية أحد التفريعات الضيقة لشارع الجامعة فى منطقة تدعى "تهكال".

كنت قد تعرفت على الدكتور عبدالمعز منذ عدة أشهر، وهو جراح ناجح،ومثقف ذكى.

واليوم تم كشف النقاب عن ذلك المقر السرى لأن ضيوفاً هامين قد حلوا على البيت، وكانت مقابلاتهم كثيرة لدرجة أن الدكتور عبدالمعز ترك لهم البيت مؤقتا لحين أنتهاء زيارتهم لباكستان.

الضيوفهم"محمد شوقى الأسلامبولى" والسيدة والدته، وكانت تلك هى المرة الأولى التى ألقاهم فيها، والمرة الأخيرة التى قابلت فيهم تلك السيدة الفاضلة.

لقد تكلمت معنا طويلاً،وكنا حشد من المصريين العاملين فى "الجهاد الأفغانى" وكان موضوعها الأساسى ذكرياتها عن إبنها الشهيد خالد.ولما وصلت إلى يوم تنفيذ حكم الإعدام فى إبنها. نفثت فى الجالسين شحنه هائلة من العواطف، ومنبعها قلب أم فقدت أبنها .

قالت السيدة أم خالد أن موعد تنفيذ حكم الإعدام لم يكن معلوماً لدى خالد أو زملائه الآخرين.

فى آخر مره زارته فى السجن وكان دائم الصيام وقراءة القرآن، طلب منها أن تحضر معها فى زيارتها القادمة بعض العصير له ولأخوانه ليفطروا بها.
وفى يوم الزيارة الأخيرة وصلت الأم فى وقتها المحدد، ومعها العصير، لكنها لم تجد ولدها الحبيب فى الزنزانه. حاول بعض موظفى السجن طمأنتها ولكن قلب الأم لايخطئ، لقد أدركت أنهم إصطحبوا إبنها إلى ساحة الإعدام فى السجن، ولم يلبث أن عاد بعض المسئولين الذين شاهدوا "أو نفذوا"عملية الإعدام وأنبؤها بالخبر وكان بعضهم يرتدى قفازات. فى الغرفة بعض النساء العاملات فى السجن، وكن يتوقعن رد الفعل التقليدى لأية أم يصدمها مثل ذلك الموقف الرهيب، ولعل نساء السجن إستعددن لإفاقة السيدة من إغمائها المتوقع.
ولكن ردة فعلها أذهلتهم بل عذبتهم، لقد أطلقت السيدة زخات طويلة من الزغاريد، وهنأت نفسها بصوت مرتفع بإستشهاد إبنها الذى إرتقى الآن إلى جنات الفردوس وأنه حى يرزق عند ربه. .كان فرحها قوياً ومتحدياً. . للسجن والسجانين وفرقة الأعدام. . لقد دعتهم إلى مشاركتها فرحتها وأن يتناولوا هذا العصير الذى أحضرته لأبنها حتى يفطر عليه من صومه. فهو لم يعد فى حاجة إليه. . فما عند ربه من نعيم خير وأبقى.
وصبت السيدة أم خالد أكواب العصير وتقدمت بها إلى السجانات، وضباط السجن، وأصحاب قفازات الإعدام لكنهم لم يتحملوا هذا الكرم. . والفرح المخلص العارم للأم الثكلى حطم أعصابهم المجرمة. . خرج الرجال من الغرفة مسرعين وإنهارت النساء باكيات وهم يتوسلن إليها أن تصمت فلم يعد لديهن القدرة على تحمل المزيد. . وصاحت إحداهن:
(كفى .. حرام عليك.. أى صنف من البشر أنت أرحمينا من هذا العذاب).
طفرت الدموع من أعين السامعين. سألت أحدهم بصوت منخفض، اذا كانت تلك القصة قد كتبت أو تم تسجيلها وتوزيعها، وكانت الإجابة بالنفى.. فعجبت لذلك، فالدقائق التى تكلمتها تلك السيدة معنا أقوى من كل ما قالته الجماعات الإسلامية مجتمعة.
وهى ماده كفيلة بإكتساب قلوب كل الناس.. بعكس أدبيات الحركة الجهادية، التى تترك (عندى على الأقل) أثرا معاكساً لأفتقارها إلى الروح الإنسانية..ولو أن تلك السيدة كانت زعيمة لحركة إسلامية ،حتى ولو كانت جهادية ،لما تركت مجلسى ذاك قبل أن أبايعها على السمع والطاعة.
قدمت للسيدة أم خالد إقتراحاً أن تزور مناطق المجاهدين فى بارى و مراكز العرب،وأن نصور تلك الزيارة بالفيديو ونوزعها على نطاق واسع، وأن الفوائد من ذلك العمل الإعلامى سوف تكون كبيره سواء للمجاهدين فى مصر أو فى أفغانستان.
كان الإقتراح غير متوقع، ولكن السيدة كانت جريئة ومتحمسة أما أبنها (محمد) فقد كان متحفظاً أولاً:لصعوبه توفير الأمن لها. فتوليت الدفاع عن فكرتى.. فقلت له أنها لن تكون مضطرة للمسير فسوف نوفر لها حصاناً مريحاً ومطواعاً، ومن ناحية الأمن فسوف نوفر لها أفضل حراسة شخصية ممكنه كأفضل مايتوفر لشخصية هامة تزور الجبهة..أما أخطار الحرب فكلنا معرضون لها بلا فرق أو تميز.
كان صديقنا سلطان مؤيداً لأقتراحى، وظل "محمد شوقى" متردداً وإنتقل التردد إلى السيدة، فقد تأخرت عن مصر لفترة طويلة وزوجها هناك وحيد، وعليها أن تقوم بزيارة عمرة قبل أن تقرر إذا كانت ستزور الجبهة أم تعود إلى وطنها.
وأخيراً سافرت السيدة لأداء العمرة ثم عادت إلى مصرعلي أمل أن تعود مرة أخرى إلى

أرض الجهاد بعد شهر، ولكننى لم أسمع عنها شئ بعد ذلك.
******
 فى زيارتى تلك لبشاور كنت أحمل معى تلك المذكرة التى أعطيتها عنوان "تجارب على الطريق" وتتناول مبادئ حرب العصابات من تطبيقات لما يحدث فى أفغانستان. ولم يكن شئ من هذا القبيل قد ظهر على ساحتنا العربية فى أفغانستان، وكنت أظن أن ماكتبتة وقتها هاماً، أو مفيداً، وقد كان ذلك إفراطاً فى الأمانى، وتفريطاً فى الحذر.
تركت من تلك المذكرة ثلاث نسخ لصديقنا (سلطان) حتى يقرؤها الشباب فيما بينهم، وأعطيت نسخة للصديق "أبو محمد السودانى" وهو من أفضل الأخوة الواعين الذين قابلتهم فى أفغانستان لكنه لم يمكث فيها طويلاً، ولم نعمل معاً أبداً.
****
 هناك تقدم في المجال الطبى الصديق محمد حسن عاد من أجازته وأحضر معه ثلاثة أطباء مصريين أحدهم متزوج من طبيبه وسوف تعمل فى ميرانشاه مع زوجها وتتولى العمل فى قسم النساء الذى أنشئ حديثاً بالمستشفى الذى بناه حقانى منذ عده سنوات.
دعانى (محمد حسن) للجلوس مع الأطباء الثلاثة حتى أحدثهم عن الوضع الحالى للقضية الأفغانية، فتكلمت معهم حوالى الساعة وفى النهاية إعتذرت لهم إن كان حديثى مخيباً لأمالهم وللصورة الوردية التى جاءوا بها.. لكنهم شكرونى بإخلاص على صراحتى معهم، وقالوا إن ذلك سيجنبهم الصدمات ويجعلهم أكثر إستعدادا لتحمل الشدائد.. فأكدت لهم أننا قادرون على إحراز النصر، ولاعذر لدينا إذا لم نفعل لأن الوسائل متوفرة معنا، ولكن نقص الأخلاص والأطماع الشخصية والحزبية قد تسبب كارثة عظيمة فى أفغانستان وغيرها.
******
 <u>الجمعة 3 مارس/88</u> أدينا صلاة الجمعة فى المسجد القريب من مكتب حقانى، على الجانب الآخر من قضبان السكة الحديد. بعد الصلاة عثرت على الشيخ نصرا منصور، وكان من أحب الشخصيات التى أستفيد منها وأرغب دوماً فى الجلوس معها. فهو أولاً يعطينى مايكفى من الوقت لمناقشة وبحث كل شئ أريد، والثانى أنه يقف معى على جانب المعارضة لأحزاب المقاومة الأفغانية وإنحرافاتها، والثالث إنه يبحث عن حل أو مخرج قبل وقوع الكارثه كما كنت"أفكر" فى مثل ذلك المخرج.وبالطبع كانت أمكاناته فى العمل أضعاف ماكنت أحلم به لنفسى، فهو عالم من أفغانستان وعضو مؤسس للتحرك الجهادى قبل الإنقلاب الشيوعى. ودوماً كنا نجد أنفسنا على إتفاق حول الأفكار الأساسية للعمل من أجل الخروج من الأزمة.
الشيخ منصور قال أن حقانى حضر معنا صلاة الجمعة وأنهما تحدثا قليلاً بعد الصلاة..
كما أخبرنى أنه على وشك أن يعقد مؤتمراً صحفياً وسوف يخبرنى بالموعد تلفونياً.
عقد المؤتمر الصحفى فى الخامسة مساء فى فندق "جرين أوتيل" فى منطقة صدر فى بشاور، متأخراً ساعة عن موعده نتيجة لتأخر الصحفيين عن الحضور. فلم يعد مولوى منصور من الشخصيات الهامة فى ذلك الوقت، كما أنه من المغضوب عليهم من الجهات الغربية المهيمنة على مسيرة الأحزاب الجهادية الأفغانية. ومنذ أربع سنوات وثقلة العسكرى يتناقص بشكل

ملحوظ، حتى إنحصر فى منطقة "زرمات" جنوب وجنوب غرب وادى "جرديز"، وحتى هناك بدأ تواجده العسكرى يذبل، وإن ظل تواجده الأدبى والمعنوى كبيراً.
لقد إنحسرت عنه المعونات المالية والأسلحة.. وتحالفه غير المعلن مع "إيران" لم يعوضه سوى عن قليل مما فقد ، لكن الضرر السياسى المترتب على ذلك كان فادحاً، خاصة فى ساحة بشاور التى تهيمن عليها السعودية والتى حبست عن منصور المعونات العينية والخدمات الأخرى من طبية وتعليمية.
ناهيك عن تضرر سمعته بين مجموعات العرب المجاهدين والموظفين فى الهيئات، والمعبأة بشدة بعداء مذهبى وسياسى مرير ضد الثورة الإيرانية، ضاعفه الولاء المالى تجاه السعودية ودول الخليج .
وكانت حرب العراق ضد إيران قد إكتست بالطابع المذهبى لدى التيار الإسلامى،خاصة السلفى منه،وكان التيار الجهادى هو مجرد طبعة جديدة أكثر تشدداً، من التيار السلفى الحكومى فى السعودية.
بدأ مولوى منصور المؤتمر بالحديث عن "حكومة أحمد شاه" المؤقته وأعلن عدم إعترافه بها، لأنها جاءت بتدخل وضغوط دولية، وأن الذى إختار أحمد شاه هم سبعة أشخاص فقط هم الزعماء السبعة وأصر منصور أنهم لا يمثلون فى أفغانستان سوى أنفسهم.
سأله الصحفيون وكانوا جماعة من الباكستانيين مع إمرأة أوربية.
ما موقفك إذا وقعت باكستان أتفاقية جنيف.. هل تبقى هنا أم ترحل للجهاد فى أفغانستان؟
فرد الشيخ عليهم قائلاً: نحن نشكر باكستان حكومة وشعباً على دعمهم لنا و لمجاهدينا ومهاجيرنا، ومازلوا يساعدوننا حتى الآن وأرجوا أن يساعدوننا فى المستقبل... وفى حال توقيعهم على الإتفاقية سنجاهد داخل أفغانستان فنحن نسيطرعلى80 % من الأراضى وأبواب إيران مفتوحة لنا..وسوف نحصل على دعمهم.
لقد أذهلنى تلويح الشيخ بالورقة الإيرانية، ولا أدرى لماذا ومض فى ذهنى أنهم سوف يغتالونه فى بشاور بسبب هذا الموقف . وظننت لفترة أن هذا المصير يطارده فما أكثر من قتلوا فى بشاور بسبب مواقفهم السياسية.
لكن مجهولون فجروا سيارته بالقرب من جرديز بعد ذلك بأكثر من أربع سنوات، ومازلت أعتقد أن الجهه التى قتلته هى نفسه الجهه التى توقعت أنها ستفعل ذلك، ولكنها تأخرت عدة سنوات .
إستقبل الصحفيون كلام الشيخ منصور بعدم إهتمام.. وفى صباح اليوم التالى لم تظهر فى وسائل الإعلام ولاكلمة واحدة عن ذلك اللقاء، وقد أحزننى ذلك التجاهل.ذهبت صباح ذلك اليوم إلى مكتب الشيخ منصور ويصحبنى أبومعاذ،و لمدة ساعتين تحدثت معه عن الوضع الحالى وموقف الأحزاب، وموقف إيران من القضية الأفغانية، ورأيه شخصياً فى إيران وثورتها، وكان قد زارها عدة مرات.
فأبدى الشيخ جرأة وإستقلالية فى الحديث عن إيران... وقال أنه كعالم من الأحناف فإنه يعارض تماماً أحكام التكفير ضد أيران والشيعة، ولم ينفى وجود خلافات فقهية مع الشيعة ولكنه عارض تماما فكرة التكفير.
وإعترف بأنه تلقى مساعدات مالية وتسليحية من إيران، ولكن ليس بالقدر الذى كان يتلقاه سابقاً

من باكستان، وعزى ذلك إلى ظروف الحرب التى تعانى منها إيران. رغم تلك الظروف التى ذكرها فقد لاحظ أن أحوال المهاجرين الأفغان هناك هى أفضل منها فى باكستان وأكثر إنضباطاً رغم عدم تسلم إيران أية مساعدات دولية للمهاجرين لديها، أو أنها تتسلم مالا يذكر من تلك المساعدات، نتيجة للحصار الدولى المضروب عليها. كما أبدى إعجابه بالطريقة التى يبنون بها إقتصادهم رغم ظروف الحرب القاسية.

ثم إنتقلنا للحديث مرة أخرى عن مخرج للعمل الجهادى فى أزمته الحالية، وكيف أن الأحزاب فى بشاور تسير فى ركاب أمريكا وباكستان والسعودية ولن تحقق شيئاً من أهداف الجهاد.

وقلت له أن إصلاح الإنحراف الحالى والمستمر منذ سنوات لابد له من تحرك من جانب العلماء فهم قوة معنوية يطيعها الشعب الأفغانى ويحترمها، وقد كان للعلماء محاولات فى السابق لإصلاح مسيرة الأحزاب لكن "الزعماء" فى بشاور أفشلوا تلك التحركات بل وأفسدوا العديد من دعاة الإصلاح... الآن وقد إكتملت الرؤية ونضجت التجربة فهل يستطيع العلماء بذلك محاولة جديد... ربما كانت الأخيرة ؟

كان مولوى منصور متحمساً دوماً لدور العلماء فى الجهاد، وبالتالى فهو تحمس لتلك الفكرة بل أنه قد إتخذ خطوات متعددة لتجميع العلماء، وعقد معهم إجتماعات عديدة فى مناطق حدودية.

وأخبرنى أن الأحزاب تشكل خطورة على مثل هذا التحرك لذا لابد ان يكون سريا حتى يكتمل تشكيله ويجمع قوته حتي لا تجرؤ الأحزاب على مقاومته وأنهاء دورة قبل أن يبدأ... ثم طلب منى أن أبحث ذلك الموضوع مع مولوى جلال الدين حقانى، وأنه سوف يزورنى فى ميرانشاه يوم الخميس أو الجمعة القادم كى يعلم نتيجة البحث.

<u>(الثلاثاء 88/3/8)</u> غادرت بشاور متجها إلى ميرانشاه فى باص خاص، وكان معى عدد من المدربيين العرب، مع مجاهد أمريكى أفريقى، جاء من شمال أفغنستان ويجيد اللغة الفارسية. الأطباء الجدد تحركوا هم أيضاً فى سيارة إسعاف يرافقهم صديقنا القديم المجاهد (درويش). إذا لم تكن هناك مضايقات من نقاط التفتيش فإن السفر على هذا الطريق هو أمر ممتع بالنسبة لى، رغم أن عدد من أصدقائي لايراه كذلك، خاصة عبدالرحمن الذى قرر أن يسافر مع زوجته بالطائرة إلى بلدة (بنون) ثم ينتقل بالسيارة إلى ميرانشاه وهى مسافة ساعة واحدة فقط، الرحلة كاملة كانت تستغرق ست ساعات، كنت أستمتع بها كامله وأنا أمارس عادة لازمتنى منذ الطفولة المبكرة، وهى الإستمتاع بمناظر الطريق أثناء السفر.

كل ما أراه كنت أظنه جميلاً ومدهشاً ... وأتساءل عند كل منظر . كيف يعيش الناس فى هذه المنطقة ؟.. البيوت.. الطريق.. المزارع.. المدارس.. المساجد.. المقابر.. الدكاكين ثم أضفت سؤال من نوع آخر فى السنوات الاخيرة: لو أننا نقاتل فى هذه الأماكن .. كيف ستكون المعركة.. كنت أرى دوماً أننا سنكون فى الجبال..والعدو فى السهول.. كما هو الوضع فى أفغانستان.. ثم أدير فى رأسى سيناريو القتال الوهمى على هذا الأساس..

فكانت مناطق من تلك التى أمامي تسعدنى من جانب المعيشة وأرها كابوساً من جانت القتال.. ومناطق كانت عكس ذلك.. ولا أفيق من هذا كله.. إلا عندما يتوقف الباص فى محطته الأخيرة .. والبحث فى رأسى لم ينتهى بعد.

□ فى الخامسة من مساء <u>الخميس (88/3/10)</u> جلست مع حقانى فى غرفه الضيوف..

وكانت غرفه مستطيلة واسعة، مغطاه بطبقة من السجاد الأزرق الرخيص، كان المساء بارداً ممطراً، كان طقساً سيئاً ضاعف من إحساسنا بالتوجس والخطر من تحولات قادمة تنذر بالشر. بدأت معه بموضوع حكومة أحمد شاه المؤقته، فزودنى بتفاصيل جديدة أدهشتنى، فقال أن تلك الحكومة لايوافق عليها أحد وذكر لذلك أسباب مشابهة لما قاله مولوى منصور منذ أيام.

ثم أعطاني قصة داخلية بين قادة المنظمات السبعة أثناء تشكيل الحكومة.

فأثناء إجتماعهم قال خالص أنه بصفته الرئيس الحالى لإتحاد المنظمات فأنه يطالب بأن يكون هو رئيس الحكومة المؤقته الجديدة، فرفض السته الباقون محتجين بأن رئيس الحكومة يجب أن يكون من خارج رؤساء المنظمات السبعة. فطلب منهم خالص أن يفوضوا إليه مسئولية أختيار رئيس الوزراء،فوافقوه على ذلك،ولكنه طلب منهم تفويضاً كتابياً بشهادة المسئولين الباكستانين، ففعلوا.

وفى الجلسة التالية أعلن عليهم إسم رئيس الوزراء الذى إختاره وكان الأسم.. جلال الدين حقانى!!.. فثار الحاضرون ورفضوا بالإجماع وقالوا أنت تعلم رأيه فينا وأنه يتكلم ضدنا فى كل مكان، وأنه إذا تولى رئاسة الحكومة فأول شئ سيفعله هو أن يقدمنا جميعا إلى المحاكمة. غضب خالص وإنسحب من الجلسة محتجاً عليهم. أما الستة الآخرون فقد جلسوا لأختيار رئيس الوزراء الجديد، فرشح ثلاثة منهم المهندس أحمد شاه، أم الثلاثة الآخرون فقد رشحوا "الملك ظاهر شاة!!". وإنتهت الجلسة بالتعادل ولم يصلوا إلى قرار.

عقدت جلسة أخيرة حضرها خالص، وحسم المشكلة بأن صوت إلى جانب "أحمد شاه" الذى فاز برئاسة الحكومة...

ثم إنتقلنا بالحديث إلى دور العلماء فى المرحلة القادمة، وأخبرته عما دار بيني وبين مولوى منصور. فقال حقانى بأن العلماء متفرقون وموزعون بين الأحزاب، وأنهم، إى العلمـاء، يخشون الأحزاب لأنها قد تقتلهم إذا تحركوا بشكل مستقل.

ثم إستدرك "قائلا بأن الفرصة قد تسنح إذا تم توقيع إتفاقية جنيف، وضعفت الأحزاب، فربما تمكن العلماء من الحركة.

أما الآن فإن قادة المنظمات إذا وجدوا عالماً قد إلتف حوله ثلاثة أشخاص فإنهم يقتلونه. "يقصد حقانى من هذه المبالغة، تصوير مدى خوف قادة الأحزاب من حركة العلماء وتضييقهم عليهم وإهدار دمهم بسهولة".

وعن موقف باكستان من المجاهدين فى المرحلة القادمة قال بأن الباكستان قد أخبرتهم أن إمدادات السلاح والذخائر سوف تكون قليلة جداً..(ولم تكن مخازن أوجرى قد تم تفجيرها بعد وهذا يدل على أن حجب المساعدات العسكرية عن المجاهدين كان سياسة مقررة حتى ولو لم يتم تفجير مخازن أوجرى، ولكن التفجير ربما عجل بتنفيذ السياسة وجعل المنع سريعاً ومفاجئاً).

كما أن حكومة باكستان لن تضيق على حركة المجاهدين فى المناطق القبلية الملاصقة للحدود فيمكنهم شراء النقل مواد غذائية أو عسكرية وبناء المكاتب حسب قوانين القبائل، وهذا يعتمد على حسن علاقتهم بها.أما المراقبة الدوليةعلى حركة الأسلحة فلن تتخطى مدينة بنون.

كما أن الباكستانيين عرضوا عليه المساعدة فى موضوع التدريب وقالوا له :"إختر الأرض ونحن نزودك بالمدربين والمعدات".

وأخيراً أبديت له إستعدادى للعمل فى مجلته التى يرغب فى إصدارها على إعتبار أن العمل

الإعلامى فى المرحلة القادمة سوف تكون له أهمية خاصة .
فقال بأنه مازال يبحث عن الإشخاص المناسبين لذلك العمل .ثم عرض على أن أعمل فى مكتب الإدارة الخاصة بالقوة الجديدة التى يزمع إنشائها، فقلت له أن "أبومعاذ"يمكن أن يقوم بذلك لإنشغالى فى برنامج العمليات فى بارى.
وفى اليوم التالى عرفته على أبو معاذ لأول مرة، وقد ساعده فى عمله لبعض الوقت .
ذهبت مع عبدالرحمن إلى سوق ميرانشاه للبحث عن صديقنا القديم "عبدالرحمن جربز" وكان له دكان صغير هناك يعمل فيه مع أخيه.
لم يكن عبدالرحمن متواجداً فتركنا له رساله مع أخيه، وما لبث أن جاءنا إلى البيت، وكان لقاءاً حاراً، فقد كان عبد الرحمن يعتبر نفسه واحداً من جماعتنا، وكنا فى الحقيقه متعلقون به.
كان على جانب كبير من الأدب والأخلاق الرفيعة، وكان خجولاً ومتواضعاً لدرجة كانت تربكنا نحن وتجعلنا فى خشيه من أن نسئ إليه بدون أن ندرى.
ومن حسن حظنا أن مثل هذا الشاب النبيل كان موضع إحترام قبليته (جربز) وخاصة قائدهم الأشهر "مالى خان" الذي كان أيضاً صديقاً لنا ولكننا كنا نخشى نزواته وأطماعه. وقد حذرنا عبد الرحمن منه وطلب أن يكون هو الواسطه بيننا وبينه، لأن مالى خان إذا علم أن لنا برنامجاً كبيراً فى المنطقة وأننا سوف نبقى فيها فترة طويله فربما طلبا منا "إيجاراً!!" فالجميع يطمعون فى أموال العرب.
بدأنا أيضاً في جمع بعض الشباب الأفغان الذين عملوا معنا فى تجاربنا السابقة فى محاولات تكوين قوة أفغانية ثابتة.
وبالتدريج بدأنا فى إستكمال الأسلحة اللازمة،و كنا نختزن بعضها منذ عملياتنا السابقة،والبعض الآخر نأخذه تدريجياً من مخازن حقانى، وكنا نستلمها كعهدة، أوقع على إستلامها أحياناً وأحياناً أخرى كان عبدالرحمن.
إثنان من الأطباء العرب الجدد دخلا معنا إلى بارى لأفتتاح نقطة طبية، كنا نعتبرها النقطة الطبية المتقدمة لمشروعنا العسكري القادم . وقد فرح المجاهدون فى المنطقه بالمشروع الطبى الجديد. فلم يعودوا فى حاجة لعبور الحدود للحصول على دواء للأمراض البسيطة، أما وقت المعارك فإن وجود طبيب فى المنطقة يبعث الكثير من الراحة فى نفوس المجاهدين.
الشتاء لم يكن قد رحل بعد، الأمطار والسحب المنخفضه تأتى من وقت إلى آخر.. فى الليل أو فى النهار.. كنا نواصل السير فى المنطقة بحماس وسرعة وفى كافة الأوقات لدراسة وضعنا الحالى، والمواقع الحكومية القديمة والجديدة، وأى عمليات تلغيم إضافية من جانب الحكومة أو المجاهدين، والمجموعات الجديدة أو القديمة المتواجدة حالياً، ودرجة إستعدادها وتسليحها، وقادة المجموعات الموجودة، الجيد منهم والمشبوه.. أين هم الآن وما هى نشاطاتهم..
كان ذلك العمل روتينياً بالنسبة لنا لكن ليس إلى درجة أنه فقد جاذبيته أو أن حماسنا قد فتر، أو خبا إحساسنا المرهف بجمال الطبيعة الفاتنة التى حولنا، وقد كستها السحب والأمطار ثوباً من الحزن والطهارة.
الأثنين : (15 مارس 88)
كتبت هذه الفقرة فى مفكرتى(السحب نزلت فوق رؤوسنا.. والأمطار متصلة ولكنها ليست

عنيفه.. والرؤية ضعيفه جداً. عند العصر تقدمنا صوب مركز مالى خان، لمعاينة المنطقة... لم نشاهد شئ يذكر لكثرة السحب... لكن المناظر غاية فى الشاعرية) .
أما اليوم التالى فقد كان حافلاً بأحداث مثيرة، وبالإستنتاجات التى توصلنا إليها، كذلك ظهرت الملامح الأولية لخطتنا العسكرية القادمة.
لم يكن معنا فى ذلك الوقت ساعات شخصية من النوع الذي يوضح اليوم والتاريخ لذا كنا نسأل بعضنا البعض ونجتهد فى تحديد ذلك، لذا فقد لاحظت أن التأريخ عندى فى المفكره ليس دقيقاً فلنقرأ وننظر إلى أحداث ذلك اليوم الذى أرجوا أن يكون هو يوم :
الثلاثاء" 88/3/16":
إستدعوا السيارة باللاسلكى كى تحضر إلينا... ذهبنا إلى نفس مكان الأمس ألقينا نظرة على مواقع العدو فوق جبل تورغار والمواقع الجبلية الآخرى على إمتداده من الجهتين، ثم المطار من خلفه... كانت الرؤية ممتازة بعد أن توقف المطر ليلاً، المواقع لازالت كما هى منذ ثلاث سنوات.إمكانيات العمل جيدة للغاية بسبب:
- عدم زيادة القوات الحكومية كثيراً عما كانت عليه قبلاً.
- وجود حشد كبير من الرجال والسلاح فى "بارى".
فقررنا التالى: أن تكون العملية الكبيرة قبل عيد الفطر حيث يتلاشى المجاهدون ويصعب تجميعهم مرة ثانية .
- الإتصال مع بشاور لإستقدام"كركور" جديد "أى رومت كنترول" والإتفاق مع"أبوعبدا " على العملية الكبيرة، ومستلزماتها المالية والبشرية وهى "50 شاباً عربيا لأقتحام تورغار"
3 - أيضاً الذهاب إلى ميرانشاه لإحضار باقى أفراد "كتيبه فتح ا "،وهو الإسم الذى أطلقناه على مجموعتنا الأفغانية، وبرنامجهم هو التمركز أولاً فى "تودة شنى" تمهيداً لقصف المطار ليلاً ..كانت الطائرات تهبط فى الليل إذا وجدت قصفاً نهارياً على المطار... ولم يكن هناك عادة أى تفكير فى قصف المطار ليلاً...
4 - تكوين مجموعة إستطلاع خاصة بجبل "تورغار" بقيادة صديقنا "شفيق".
5 - تكوين مجموعات إقتحام من العرب للإستيلاء على تورغار وتكون تحت إشراف أبوعبيدة "سلطان" بصفته "منسق عام" للعمل فى المنطقة.
وصلت السيارة عند الظهر فصلينا ثم غادرت مع عبدالرحمن، وأبومعاذ، وأحد افراد مجموعتنا الأفغانية وقد ظهرت عليه أعراض الملاريا.
عبرت بنا السياره السلسلة الجبلية التى تفصل منطقة بارى عن أول منطقة جريز الملاصقة لمدخل غلام خان، وهو وادى تقطعه مياه السيول أحياناً، ومياه العيون الرقراقه طوال العام، ومع إلتقاء الوادى مع الجبل توجد ساحة واسعة نسبياً تتوسطها دوحة رائعة ضخمة ومستديرة بشكل يصعب أن نتصور أن هذه الإستدارة المتقنة تمت هكذا تلقائيا بدون عناية من يد فنان يعتنى بها بشكل مستمر.
كنا نطلق على تلك التحفة لقب : "ملكة أشجار بارى" ... وكنا مثل غيرنا من مجموعات المجاهدين، نستلقى تحت ظلالها الوارفه، ونغفو لبعض الوقت، خاصة إذا كانت الرحلة سيراً على الأقدام، كان منظرها يغرى بزيارتها والإستلقاء تحتها... بعد أن نهبط أو قبل أن نصعد الطريق الملتوى فوق جبل "بارى".
هذه المرة ما أن هبطنا الجبل حتى شاهدنا عدد من سيارات "الباجيرو"، والتى لايمتطيها إلا

عليه القوم،وقد إلتفت حول دوحتنا الحبيبة وملكة الاشجار. لم يكن صعباً علينا أن نتعرف من سحن هؤلاء "الغلاظ"، إنهم ضباط الإستخبارات الباكستانية فى ثياب أفغانية وفى أيديهم خرائط يطالع بعضهم فيها...على الفور غابت البسمة من على وجوهنا ،بالذات العرب منا. عدد من الشاحنات عبرت مسرعة من خاف الدوحة فى طريقها إلى أحد الشعاب كى تلتحق بشاحنات أخرى، وشاهدنا قاذف صاروخى متعدد المواسير عياره كبير من عيار الرجمات الروسيةBM41 فعلمنا أنها صواريخ صقر المصرية قد وصلت "لتجربتها"ضد مدينة خوست. "السرعة التى تتم بها الحركة تنبئ عن قرب عملية الإطلاق".. هكذا كتبت فى مذكرتى. لم نتوقف.. بل تابعنا السير وعبرت سياراتنا هضبة"شاميت" وما أن هبطت الطريق الحاد المتعرج حتى شاهدنا فى الوادى أسفلنا "مهرجاناً" مماثلاً للذى تركناه عند"ملكة الأشجار"ولكن هذه المرة شاهدنا سيارة حقانى الضخمة، وعدد كبير من سيارات رجاله تحيط به، وأربع شاحنات مغطاه وحولها عدد من رجال الإستخبارات الباكستانيه، نزلنا للسلام على الشيخ حقانى فى الموقع حوله عدد كبير من الضباط وضباط الصف الباكستانيين .

كان تمييز ذلك سهلاً علينا ، لكن أحدهم فاجأنا بأن أخرج كاميرا والتقط لنا صورة ونحن مع حقانى. وآخر إقترب منا على طريقه "المخبرين" وأخذ يلقى الأسئلة علينا، وكان مهتما بأبومعاذ وسأله: هل أنت طبيب؟. لقد شعروا بلاشك بجفاء موقفنا منهم، وعدم رغبتنا فى الحديث أو النظر إليهم. وما لبثنا أن إبتعدنا قليلاً وكلنا غيظ من أنهم التقطوا صورة لنا.

سألنى عبدالرحمن بإنفعال" هل الكاميرا معك؟".فأجبته بالإيجاب...

فأخذها منى ثم تقدم صوب الضباط الباكستانيين وأنهال عليهم تصويراً.. ثم تحول إلى تصوير المعدات والسيارات، فأخذ الضباط يصرخون ويطلبون منه أن يتوقف، وهو لايبالى بهم. جرى بعضهم صوب حقانى يطالبونه بالتدخل ، وقد علموا أن هؤلاء عرب يعملون مع حقانى ، وقبل أن يتدخل حقانى أغلق عبدالرحمن الكاميرا وعاد نحوى فى هدؤ إستفزازى غريب ، كتمت بصعوبة رغبتى فى الضحك رغم أننى بدأت أشعر بالقلق والحرج. خشيت أن نسبب حرجاً لحقانى أيضاً. وشعرت بالقلق لأنى أعرف ولع صديقى عبدالرحمن بالتحدى... ولولا حبه الشديد لحقانى.. لإستجاب لفطرته الأصيلة المتعلقة بحرب الشوارع.

قبل مغادرتنا المكان إتفقنا مع حقانى على لقاء فى الثامنة من صباح الغد، فى منزله فى ميرانشاه، فقال بأنه سوف يعود بعد صلاة العشاء، بعد إتمام هذا البرنامج.

كان لنا منزلان فى المدينة إلى جوار المستشفى الكبير الذى أنشأه حقانى، ويسكن فيه أصدقاؤنا من الأطباء الجدد والقدامى.

البيتان كلاهما يشتركان مع سور المستشفى، لذا فأحدهما يطل على الطريق الواسع الذى تطل على جانبه الآخر مقبرة كبيرة مليئة بالإعلام والرايات التى تزين قبور الشهداء، وكان لنا فيها عدد من الأصدقاء الذين سبقونا إلى هناك.

والبيت الأخر يطل على زقاق ضيق جداً متسخ جداً... وعلى جانبيه شقوق طويله تحمل المياه "الملوثه" من البيوت إلى...الشارع الرئيسى!!...وهو طريق ترابى على حالته "الخام" ومتسع جداً بشكل يسمح بتكوين بحيرات من الماء المنتن، حتى تتبخر بفعل الشمس أو تحمله مياه السيول التى كثيراً ما تمر من هناك، فتعيد "التوازن البيئ" وتفرض حالة إجبارية من النظافة المؤقتة.

ذلك البيت المطل على ذلك الشارع الكبير كان هو مقرنا الأساسى وفى أحد غرفتيه رتبنا ورشة

لابأس بها للأعمال الميكانيكية والكهربائية، ومنها خرج إلى النور مشاريع تطويريه لصواريخ الكاتيوشا من عيار 107مليمتر كى تتحول على أيدينا وبأفكارنا العبقرية إلى صواريخ جديدة مثل "مدبولى 25" و"عوضين إس إس" ولولا ضيق وقتنا لإنشغالنا باشياء كثيرة، ثم إستشهاد عبدالرحمن بشكل لم نتوقعه، إذن لإنفجرت فينا إحدى هذه الصواريخ المبتكرة وإستشهدنا سوياً فى وقت واحد، وإذن لإرتاح الجيمع" العرب والافغان، والسوفييت".

فى حالة عدم وجود مفتاح لقفل الباب، كان يمكن دخول بيتنا عبر سور المستشفى المجاور، لذا لم نندهش عندما دخلنا فوجدنا إبنى وليد داخل البيت فكانت المفاجأة مزدوجة.

كيف دخل البيت... وكيف ترك المعسكر، وكان فى دورة تدريبية عند "أبواسامة" فى معسكر "ورسك".

قال وليد أنه قد غادر المعسكر عندما وجد أن كثيرون قد غادوره... ولكونه محرجاً منى فإنه لم يقل الحقيقة بوضوح... والحقيقة أنه ومعظم من فى المعسكر لم يستطيعوا أن يتحملوا قسوة التدريب، وقد كان وليد هو أصغرهم سناً... وقد كان حماسه للدورة طفولياً حتى أنه شارك فى كل حلبات المصارعة والملاكمة... وكان قد تلقى بعض الدروس على أيدى الأمريكيين الجدد فى بشاور... ولكن ذلك لم ينفعه كثيراً فقد تناول فى المعسكر ملا يحصى من اللكمات والسقطات،ولكنه كان ينهض دوماً ويشترك فى صراع جديد.

فأمرته أن يعود بسرعة إلى المعسكر حتى يكمل الدورة وكنت أعلم صعوبة ذلك لأن أبوأسامة لن يسمح له ولكننى كنت أرجو على الأقل أن يلتحق بالدورة الثانية.

توجهنا ليلاً إلى بيت العرب، وسألناهم عن أخبار بشاور فعلمنا أن هناك أضطراب شديد.

فمعسكر صدى قد أغلق، والدكتور عبدا عزام قد ألقى خطاباً فى معسكر ورسك وقال أنه أيضاً سوف يغلق بين لحظة وأخرى.

سبب إغلاق معسكر صدى هو أن الشرطة الباكستانية منعت العرب من المرور فى المنطقة المارة بالمعسكر والمؤدية إلى "جاجى" فى أفغانستان.

علمت من حقانى سبب ذلك التصرف من الحكومة الباكستانية وهى أن بعض العرب عند تفتيش أمتعتهم فى الطريق بواسطة أحد نقاط التفتيش عثروا معهم على قنابل يدوية فأخذوهم إلى السجن، وبدأوا يمنعون العرب من المرور. أما التهديد أو التحذير من أغلاق ورسك، وهو ماحدث بعد وقت قصير، فلم يكن سببه حكومة باكستان بل أنه أغلق بأمر أبوعبدا والدكتور عبدا ، للأسباب السياسية التى ذكرناها قبلاً... وأهمها هجوم أبو أسامة على القادة والأحزاب الأفغانية.ودعوته للشباب العودة إلى بلادهم بعد التدريب .

ولم يعرف أحد فى بشاور السبب الحقيقى لأغلاق المعسكر فقد ظل ذلك سراً، وقد أخبرنى به أبو أسامه عندما قابلته فى عام لاحق..

إغلاق "صدى" والإغلاق والوشيك "لورسك" ترك شباب بشاور فى تشويش شديد حول مستقبل الجهاد فى أفغانستان وإمكانية إستمرارهم فى مساعدته مستقبلاً فى ضوء تسوية بدت مخيفة وذات أنياب ومخالب.

وفى يومنا التالى غادرنا وليد فى الصباح الباكر متوجها إلى بشاور، ومنها إلى معسكر ورسك القريب، وتوجهت مع عبدالرحمن إلى منزل حقانى.

فى غرفة الضيوف وجدنا مولوى عجب نور، من وزيرستان، وكنا لم نره منذ مدة طويلة

فسألناه عن جماعتهم من المجاهدين بقيادة "سمير جول" و"مولوى عبدالحليم" وغيرهما.
ولم يلبث أن حضر حقانى. وكعادتنا دوماً كنا قد أعددنا قائمة أسئلتنا حتى ننهى حديثنا بسرعة، لكثرة الناس من قادة ورجال قبائل وكلهم منتظر للحديث معه،،وقدمنا أسئلتنا بالتتابع وبتركيز، وكذلك كانت إجاباته.

س هل هناك موعد لإغلاق الحدود؟
- لايوجد .

س ماهى أخبار التسوية؟
- فشلت حتى الآن... فكل طرف مازال مصراً على رأيه بالنسبة لتشكيل الحكومة القادمة فى كابل.

س ماذا بالنسبة لإحضار عائلاتنا للسكن فى ميرانشاه بعد التسوية حتى نتمكن من المشاركة فى الجهاد؟
- سوف نشترى الأرض المجاورة لمدرسة منبع الجهاد... إتفقوا أنتم وحددوا مطالبكم... وعدد الأسر القادمة.

س بعد أغلاق طريق جاجى هل يتم أغلاق طريق ميرانشاه؟
- إغلاق طريق جاجى لم يكن قراراً سياسياً... بل بسبب حادث العرب الثلاثة الذين كان بحوزتهم قنابل يدوية.

س توزعت بنادق القنص "دراجانوف" فى أيدى المجاهدين، بدون أن يتدربوا عليها جيداً، ولايكادون يستخدمونها فى الجبهة، فهل يمكن تجميعها مرة أخرى وتدريبهم عليها، ثم تكليفهم بمهام محددة فى الجبهات؟... وهل يمكننا الحصول على بعضها ؟
- لايمكن تجميع البنادق مرة أخرى... فقد أعطيناها لأناس لهم أهميتهم كقيادات... وسوف يحزنهم أمر التجميع أو التدريب.
سوف أعطيكم "دراجانوف" قديم، وأكتب لكم ورقة للمخازن كى يصرفوا لكم واحدة جيدة.

س برنامجكم القادم فى خوست هل يشمل الإستيلاء على جبل تورغار؟
- لا بل يشمل طرد القوات الحكومية من جبل "زرمانكى" على ميمنه تورغار.

س لدينا برنامج للهجوم على تورغارفى شهر رمضان وسوف نتفق مع أبوعبدا على ذلك... فما رأيك؟
- لا مانع... وبرنامجنا سيكون قبل ذلك... ولابد فى عمليتكم من إشراك جميع الأحزاب حتى يمكن المحافظة على الجبل أو تلغيمه بكثافة حتى لاتعود إليه الحكومة.

وأثناء الحديث وصل مولوى نصر ا منصور، وعند إنصرافنا طلب منى عدم مغادرة ميرانشاه قبل أن يلقانى حتى نناقش الموقف العام ، فوافقت على ذلك.
وعند الظهر كان للشيخ منصور أجتماع جماهيرى حاشد فى الساحة المقابلة للمستشفى الذى نسكن عنده.وكان يتحدث عن حكومة أحمد شاه وعن التسوية القادمة...
إستمر الإجتماع حتى الظهر، ولم نستطيع أن نراه باقى هذا اليوم لإنشغاله الشديد وتنقلاته الكثيرة.
ولم إجتمع معه مرة أخرى إلا بعد عدة أشهر عندما زارنى فى منزلى فى إسلام آباد من أجل تعزيتى فى إستشهاد إبنى خـالد.

الخميس "88/3/18 "

لم يتصل بنا مولوى منصور، وقبل العصر إتصلنا تلفونياً مع صديقنا "سلطان" فى بشاور كى نخبره عن التجهيزات المطلوبة للعملية ونطلب منه المجئ، لكنه فاجأنا بأن والدة عبد الرحمن قد وصلت إلى بشاور وتبحث عن إبنها.. ولابد أن يحضر لرؤيتها. إذن نحن الذين سوف نذهب إلى هناك.. كان عبد الرحمن يتوقع وصول والدته، ولكن ليس بهذه السرعة فبعد مفاوضات عبر الرسائل، وكان قد رفض السفر إلى مصر لإنشغاله بالعمل، طلب منها المجئ وأعطاها العنوان والتلفونات فى بشاور التى عن طريقها يمكنها الوصول إليه.

كان عبدالرحمن حتى قبل أيام يقيم فى بشاور، ثم إنتقل إلى ميرانشاه من أجل برنامجنا فى "بارى".

أما "بارى ماتش" المجلة الفرنسية الشهيرة، فقد وصل مراسل لها إلى ميرانشاه لمقابلة حقانى، ومن المفروض أن أكون مترجماً بينهما.

المراسل فرنسى من أصل تونسى وهو ليس مسلماً... وكان مراسلاً عسكرياً على جبهات الحرب بين العرق وإيران.

ودار بيننا حديث طويل " بالإنجليزية" حول موضوعات عسكرية وكان تركيزه، كما هى عادة الصحفيين الأجانب وقتها، يدور حول صواريخ ستنجر وكأنه يتصور أن كل أفغانى يحمل فى جيبه صاروخ أو أكثر من ذلك النوع.

ولكننى أخبرته أنها نادرة جداً وأننى لم أرها حتى الآن، لذا كان مندهشا.

ثم سألته عن شئ يحيرنى فى حرب العراق وإيران وهو كيف إستطاعت إيران الصمود طول هذه السنوات بدون سلاح جوى لديها...

وكان هو الآخر مندهشاً لنفس السبب، لكنه أضاف بأن الأغرب أن القوات البرية الإيرانية وخاصة المشاة، يقاتلون بشجاعة نادرة، ويقبلون على الموت بلا مبالاه.

فأجبته بأن الحافز الدينى فى القتال أهم من الطائرات ومن صواريخ ستنجر، وأن الروس كانوا قد هزموا عملياً فى أفغانستان قبل أن يسمع أحد عن تلك الصواريخ.

وصل حقانى وإستمر الحوار الصحفى إلى قرب المغرب، وتم إستئنافه بعد صلاة العشاء وحتى العاشرة ليلاً.

فى الحديث عارض حقانى مايحدث فى جنيف، وقال بأن المشكلة الحقيقية هى بين المجاهدين والسوفييت، بينما فى جنيف تتفاوض حكومة باكستان مع حكومة كابل، وكلاهما ليس طرفاً أصلياً فى الحرب.

وقال بأن حكومة كابل الحالية تسببت فى قتل مليون وثلاثمئة ألف أفغانى لذا فلن يقبل أحد إستمرارها فى الحكم تحت أى صورة.

وأن الجهاد سوف يستمر حتى خروج الروس "وهو أمرغير مؤكد حتى الآن" وحتى إسقاط الحكومة الشيوعية فى كابل، وبالتالى لن يتمكن المهاجرون " 5 ملايين" من العودة إلى ديارهم فى ظل القتال والقصف.

وقال بأننا نسمع فى جنيف من يطالب بوقف كافة المعونات عن للمجاهدين، بينما ليس هناك أى مطلب للسوفييت بأن يوقفوا إمدادات السلاح لحكومة كابل، ومعنى ذلك أنهم فى جنيف يسعون إلى تسليم أفغانستان للشيوعيين.

****

الإسكندرية / ميرانشاة: صراع حضارات

كان لنا زيارة سريعة إلى بشاور وإسلام آباد...عبدالرحمن سافر مع والدته بالطائرة إلى"بنون" ومنها إلى ميرانشاه.

أما "سلطان" فسوف يحضر بعدنا بفترة قصيرة ليشرف بنفسه على التجهيزات المطلوبة للعمليات بصفته أحد أعضاء اللجنة العسكرية وربما كان رئيساً فعلياً لها.

فى طريق العودة إحتجزتنا نقطة الميليشيا فى "بنون" لمدة نصف ساعة وفتشونا بدقة، وبعد إستعطافات ووساطات سمحوا لنا بالعبور.

فى ميرانشاه وجدنا عبدالرحمن مازال موجوداً، وقد إنتقل مع زوجته ووالدته إلى بيتنا المجاور للمستشفى، فقد إعتقد أن ذلك سيسعد قلبها... فالبيت واسع وله حديقة صغيرة بها بعض الأزهار والخضروات.

لكن زيارة الوالدة القادمة من الأسكندرية لولدها الأصغر والمقيم فى مناطق القبائل كانت زيارة غير سعيدة على غير المتوقع.

كانت الأم غير مسرورة من بقاء إبنها فى تلك البلاد الغريبة العجيبة وتريده أن يعود معها،فهى قد جهزت له عروساً من بنات العائلة وقد صدمها خبر زواجه من أفغانية.

عبدالرحمن بدوره لن يعود إلى الأسكندرية قبل أن يحسم القضية الأفغانية عسكرياً... طبعاً بمساعدة أبوولـيد الذى هو أنا .. ثم أنه مثل صديقه الحميم لايتوقع فى الأسكندرية سوى السجن والتعذيب وأخيراً حبل المشنقة... فلماذا يذهب أصلا ...؟

أما عن زوجته الأفغانية فهو بشكل عام سعيد معها...وليس مثل المرأة الأفغانية فى القدرة على تحمل مشاق الحياة مع مجاهد عربى يعيش راهباً فى جبال خوست وناسكا فوق قمم بارى وفى باطن شعابها... ومغاراتها...

وهو قبل مغادرته الإسكندرية رفض فكرة الزواج من بنات العائلة لأنهن "غير ملتزمات"، وليس ما يدعوه الآن لتغيير رأيه.

كانت سبل النقاش مسدودة، رغم حرص عبدالرحمن على إسعاد والدته فى زيارتها التى لاشك أنها لن تكون طويلة.

ولم تفلح محاولات عبدالعليم ، صديقه القاهرى، فى تطييب خاطر الأم الفاضلة.

ولكن زاد الطين بلة أحداثاً غير سارة كدرت خاطر الأم ثم أرعبتها...

ففى الطريق إلى ميرانشاه، عند مخرج مدينة بنون لاحظ حراس الميليشيا تلك الملابس العجيبة التى ترتديها أم عبدالرحمن ، لاشك أنها غريبة عن المنطقة وأنها تنتمى إلى مجهول من كوكب الأرض. فهى ترتدى "بالطو" أسود اللون، وغطاء رأس "إيشارب" لم يسبق لهم أن رأوا مثله. فأعادوها من حيث أتت، فعادت مع إبنها وهى فى قمة الغضب من هؤلاء الوحوش عديمي الذوق. حاول عبدالرحمن تهدئتها، وقال إن ذلك الحارس قد أخطأ وبعد عدة ساعات سوف يعيدون الكرة بعد أن يكون حل محله حارس آخر، وبالفعل تغير الحارس ولكن المأساة تكررت وعادوا مرة أخرى إلى بنون وقد أسدل الليل سدوله ولابد من قضاء الليل هناك... في أحد الفنادق"!!"...

وكانت ليلة سوداء على سيدة الأسكندرية، فالسرير ليس إلا قوائم خشبية مشدودة بحبال الليف، مع فرش وأغطية ليس لها لون سوى اللون الطينى ذو اللمعات الزيتية التى تحمل رائحة العرق

البشرى. أما البراغيث والبعوض والبق... فهى من المكونات الرئيسية للجدران والفرش.
كان الوضع عادياً بالنسبة للإبن، لكن الأم التى قضت الليل واقفة لم تترك له الفرصة كى ينام أو ليفسر لها ماتراه...
الإبن إتصل تلفونياً مع مكاتب حقانى فى ميرانشاه وبشاور، فأرسلوا إليه "شادور" نسائى لوالدته وسيارة "باجيرو" فخمة كى تنقلها إلى ميرانشاه وبرفقتها حرس مسلح.
ظن عبدالرحمن أن ذلك الإستعراض لإمكانات حقانى سوف تعدل موازينه المختلة أمام والدته. فالسيارة لايركبها وزير فى مصر ،وهذا الحرس من المجاهدين الأقوياء المدججين بالأسلحة الرشاشة وقواذف"آر/ بى/جى" قد لايتوفر لمحافظ الأسكندرية شخصياً.
لكن الأم على العكس، قد إنتابها الرعب من أشكال الحرس العابسين، فجلست طول الطريق متشبثة بزراع إبنها وقد جحظت عيناها وإمتنعت عن الكلام.
وما أن دخلت "الفيلا" فى ميرانشاه حتى إنفجرت فيه صائحة: من هؤلاء "الحرامية"الذين كنا معهم؟... لقد علمت الآن أنك تعمل مع عصابة، يرأسها ذلك الرجل الذى أرسل لك السيارة ، والمسلحين".
بكت وصاحت على مستقبل إبنها الذى ضاع، فبعد أن تعبت على تعليمه ونشأته، هاهو الآن يعمل مع "عصابة حرامية" فى أفغانستان. وأصرت أنها لن تعود إلى الإسكندرية إلا "ورجلها على رجله"، أى قدما بقدم معه.
تطوع "عبدالعليم" القاهرى لتلطيف الأجواء ... وقد كان لطيفاً لبقاً... لكنه لم يفلح فى تهدئتها بقدر ما أعطاها الفرصة كى "تفضفض" عن مكنون نفسها... وبإختصار لايعجبها كل ما رأت، حتى هذه "الفيلا" ليست فى نظرها سوى خرابه!!.
وزوجة أبنها ليست سوى دابة تسرح فى البيت، فأين هى من بنات الأسكندريه شبيهات البدر فى علاه !! خاصة بنات العائلة ذوات المال والجمال... الخ.
الزيارة عقدت حياة عبدالرحمن وزادت مشاكله المنزلية، ولم يستطيع المكوث معنا فى الجبهة سوى فترات قصيرة.
يعود بعدها مسرعاً إلى بيته قبل أن يشتعل مابين أمه وزوجته. ومن حسن الحظ أن أحداهما لاتفهم لغة الأخرى.. وإن كانت ملامح الوجه والكلمات التى تخرج هادرة تفضح المشاعر.
حاول عبد الرحمن إسترضاء أمه بكل الوسائل المستطاعة، فإشترى لها أفخر مايستطيع من أقمشة وملابس وهدايا لأفراد الأسرة.
ووفر لها أطيب الطعام والفواكة... وأحرز بعض التقدم لولا إنتكاسه خطيرة لادخل له فيها... ولكنها كانت القاضية. ففى جلسة عائلية هانئة بعد صلاة العشاء وقد إمتدت أطباق الفاكهة وأكواب الشاى بين عبدالرحمن وأمه التى تلاعب طفله الصغير الذى أسماه إبراهيم،على إسم خاله" حتى يرضى والدته.
والزوجة الأفغانية تبذل جهدها فى الخدمة وإظهار كرم الضيافة الأفغانى الأصيل أمام حماتها القادمة من "عربستان مصر". وفجأة دوت فى الخارج عدة إنفجارات هائلة وسط هدؤ الليل الساكن، وعادت أصداء الإنفجار بعد إنعكاسها على الجبال القريبة كى تضاعف من الضجيج، فصرخت الأم مولوله..
وزادها جزعاً أن فلذة كبدها ، عبدالرحمن ، قد إلتقط بسرعة رشاشه، وجعبة الذخيرة وضعها بسرعة على كتفه وإنطلق خارجاً إلى الشارع، فقد توقع هجوماً مسلحاً على مكتب حقانى

الواقع إلى الجانب الآخر من المستشفى.
طارت زخات من الرصاص فى السماء، ثم تعالت الأصوات هنا وهناك.
ومالبث كل شئ أن صار هادئاً كما كان.. لقد أطلق بعض المنافقون عدة طلقاتRPG من خلف المقابر صوب المستشفى،ولكنهم كانوا بعيدين لدرجة أن القذائف إنفجرت في الهواء ولم تصل حتى إلى الجدار الخارجى للمستشفى... وإنتهى كل شئ كما بدأ... لكن بدأت مشكلة فى بيت عبدالرحمن لم تنتهى حتى الصباح.
لقد إرتدت الأم فستانها الأسود، والبالطوا الأسود، والإيشارب الأسود، إنه لبس الميدان، لكن ميدان السفر، وليس ميدان الحرب.
وحلفت ألف يمين ، وبكل عزيز لديها أنها لن تنام إلا في الأسكندرية، لقد زالت الغمة من على عينيها ، كما زعمت ، ورأت كل شئ على حقيقته، لقد أصبح أبنها عضوا فى عصابة مخدرات خطيرة ، يرأسها هذا الرجل ذو الأسم الغريب "حقانى" ،وأن العصابة الأخرى المعادية لهم هى التى أطلقت قنابل هذه الليلة كى تثأر لنفسها فى حرب بين العصابات الإجرامية.
لقد فقد إبنها عقله وقد يفقد حياته... ولكنها سوف تعود إلى بلادها.. فلديها بيت وزوج وأبناء فى حاجة إليها.. وقد إستعاضت ا فى هذا الإبن الضال...
كانت ليلة طويلة وكئيبة لم ينم فيها أحد من أهل البيت.. وعند الفجر، طلب عبدالرحمن من أمه أن ترتدى الشادور الأفغانى حتى يمكنها عبور نقاط التفتيش، فوافقت مرغمة. ثم ركبا أول باص متجه إلى بشاور .. ولم يعد عبد الرحمن إلينا فى بارى إلا بعد أن طارت أمه مع أول طائرة إلى الإسكندرية..
لقد إعتبرت الأم أن ولدها قد مات وأنه لن يعود إليها مرة أخرى..وشعر عبدالرحمن أن أفغانستان قد أخذته بعيداً جدا .. بعيدا عن الوطن والأهل.. وتيقن إن الفجوة أوسع مما كان يعتقد.. وأن العودة أضحت مستحيلة..
لقد عمل سابقاً فى مراكب الصيد.. ومازال يذكر ذلك المنظر الحزين لسفينة تمخر أمواج البحر بينما الشاطئ يتضاءل بالتدريج. لا أحد متيقن أنه سيعود مرة أخرى إلى تلك البيوت التى ضاعت ملامحها فوق شاطئ يختفى تدريجيا خلف أمواج البحر الرمادية. هل يعود المركب بالأسماك والربح الوفير... أم يختفى مع رجاله فى أعماق البحر المظلم...؟ لا أحد يدرى ...
****
فى الخامسة عصراً توجهنا فى سيارة من ميرانشاه إلى بارى... كان معى عبدالرحمن وثلاثه آخرين من العرب، وأيضاً شفيق المدنى، الذى أصبح عضوا رئيسياً فى الفريق... سمعنا إشاعة عن هجوم للمجاهدين على أحد المواقع الحكومية فى بارى وإستلائهم عليه، وأن مولوى فضل الرحمن خليلى أمير جماعة المجاهدين الباكستانية يجهز رجاله للهجوم على جبل رغبلى شمال جاور فى الطريق إلى مانى كاندو. فتركت رسالة خطية مع أبو معاذ أطلب فيها من أبو عبيده أن تشترك مجموعاتنا الهجومية فى ذلك المشروع كنوع من التدريب، وعلى أساس أن يشترك معنا رجال فضل الرحمن فى مشروعنا الهجومى القادم... فهم بشكل عام أفضل إنضباطاً من الأفغان.
فى الليل وصلنا إلى مركزنا فى تودة شنى على جدول الماء وفى مقابل صخرة ضخمة أسفل الجبل عند إنحناء الوادى... كان موقعاً ممتازاً كمعسكر خلفى، ونقطه حراسة تتحكم فى

مفرق طرق ذو أربعة شعب.
كانت مجموعة من قبيله جريز قد عسكرت معنا فى نفس الموقع يقودها صديقنا القديم "محمد أمين" وهو زميل عبدالرحمن جريز.
أخبرنا أمين أن الحكومة الباكستانية قد أمدتهم بقاذف صاروخى عيار 122 مليمتر مع قذائف كثيرة... ولكن الحكومة الباكستانية أصدرت أوامرها (!) بعدم إستخدام تلك الصواريخ ضد المطار.
فهمت على الفور أننا لن نستطيع نحن أيضاً العمل ضد المطار حتى بإستخدام الصواريخ الصغيرة القديمة من عيار 107 مليمتر.
وفهمت لماذا كانوا يعرقلون فى السنوات الماضية عملنا ضد المطار، وأننا منذ برنامجنا الناجح فى عام85 لم نستطع تكرار التجربة رغم التقدم الكبير فى إمكاناتنا، فالمنطقة بشكل غامض ، مغلقه فى وجوهنا... خاصه من جهه المطار.
وتأكد عندى وقتها أنه ما دامت باكستان تصدر أوامرها حتى مستوى قادة صغار مثل أمين، فهى قادرة على فتح طريق زدران أمام السوفييت. فعلى جانبى الطريق قادة على نفس المستوى.
وكتبت فى ذيل مذكرتى لذلك اليوم " الجمعة 25 مارس 88":
(مشروعنا كله يسير عكس التيار... معنوياً الإستعداد موجود للإستمرار حتى النهاية وتكوين أمر واقع)..
 فى الأيام التالية إستخدم المجاهدون صواريخ "صقر" فى قصف المدينة حسب أوامر وبرنامج أعدتة المخابرات الباكستانية، ومن موقعنا فى "توده شنى" كان الترتيب أن تأتى مجموعة كل 15 يوماً ومعهم 50 صاروخاً يطلقونها على المدينه كما يتراءى لهم خلال هذه المدة.
طبعاً لم تكن أى مجموعة تطلق كل تلك الكمية، بل كانت "تختصر" جزءاً كى تبيعه لتجار السلاح. ولكن موقعنا المحبب فى توده شنى أصبح هدفاً عسكرياً لقوات الحكومة، فالهاونات الثقيلة من فوق تورغار جعلته هدافاً دائماً على مدار الساعة، وإستطاع الطيران إصابة الموقع بعده قذائف من عيار ألف رطل ، أحدثت حفرتان هائلتان على مسافه ليست بعيدة عن القاذف الصاروخي. ولكن إنحناءه الوادى منعت من إصابته، ونتج عن القصف بركتان زرقاوان عميقتان إستفاد منها العرب والأفغان فى السباحة وغسل الملابس.
أصبح المكان خطر جداً علينا. وكنا نبيت فى خيام فى شعب ضيق لا يوفر لنا حماية تذكر، فكانت قذائف الهاون ليلاً تتساقط قرب رؤوس الخيام على جانبى الشعب الضيق.فتحركنا غرباً فى شعب جديد وعلى مسافه كيلومتر تقريباً، وكانت الجبال حولنا مكسوة بشجيرات كثيرة من ذلك النوع المشهور فى بارى.
كان المكان وفير المياة، ويصعب إكتشافه من الطيران، ولما كان لا نستخدمه، فى الرماية فقد ظل مجهولاً تماماً لدى العدو... ولكن إلى ذلك اليوم الذى جاءتنا فيه زيارة مشئومه من تلك التى أعرفها جيداً... أناس من أهل المنطقة عبروا الهضبة المشجرة التى أمامنا... وهم يتلفتون فى كل إتجاه... ثم سار كل شئ كما توقعت... أرسلنا إليهم إثنين من الشباب الأفغانى الذين معنا لسؤالهم عن هويتهم ووجهتهم... فقالوا أنهم من أهل المنطقة وهم فى طريقهم إلى مركز مالى خان...ولم يكن فى وسعنا أن نفعل أكثر من ذلك لأن أى تحقيق لن يسفر إلا عن توتر مع أهالى المنطقة ومالى خان، والذى يحدث إما أنهم جواسيس من أهل المنطقة،

أو جواسيس من خارج المنطقة، وسوف يفهم أهل المنطقة ذلك ولكن لن يخبروننا بالحقيقة بل سوف يصحبون هؤلاء إلى مكان بعيد حيث يجرى التفاهم معهم حول المكافأة المطلوبه لقاء إنقاذهم من الموت.

كنا قد قضينا حوالى أسبوعين فى المنطقة وكان عدد العرب معنا غير عادى بالنسبة للمنطقة. وقد وصل الخبر حتماً إلى الحكومة، وكان لابد أن تحدد موقعنا على الخريطة حتى تعمل على قتلنا بالوسائل المناسبة. ولما كنا قد غادرنا موقع توده شنى إلى مكان لم تسكنه العفاريت بعد، فكان لابد من إرسال أشخاص لتقليب أحجار المنطقة بحثاً عنا.. كنت أتوقع ذلك إلى أن رأيتهم فعرفتهم فوراً... لكن ما فائدة ذلك ؟؟..

لقد وصلت الطائرات فى الغد، وقصفت الشعب الطويل من بدايته عند المدخل، وحتى قبل خيامنا بمئتى متر.

واصلوا العمل يومياً، ولكن رمايات الهاونات الثقيلة من تورغار فاجأتناعدة مرات بقذائف دقيقة للغاية... سقطت واحدة منها على بعد أمتار قليله منى، وكنت نائما تحت شجرة، ونظرت إلى حيث الدخان والأتربة، حيث كان يجلس"عبدالرحمن جربز"منذ قليل فنهضت مذعوراً أبحث عنه ولحسن الحظ أنه كان قد إنتقل من مكانه قبل لحظات فقط من سقوط القذيفة...وجدنا حولنا فيما بعد لغم فراشه واحد... ولكننا لم نبحث عن مزيد... ونوع من قنابل الطائرات لم نره فى أى مناسبة أخرى، ذو قطر حوالى بوصة واحده وطوله حوالى ثمانى بوصات، و قنبلة صغيرة مجنحة ذات مظهر رشيق وجميل وكأنها تحفه فنية... جمعنا عدد منها من فوق مدق السير ثم فجرناها فيما بعد.

تخلينا مرة اخرى عن مشروع قصف المطار عندما شعرنا بأن ذلك قد يسبب توتراً مع مجموعات المنطقه التى تلقت أوامر من باكستان بعدم التعرض للمطار بصواريخ صقر.لكننا إنهمكنا بنشاط بالغ فى إستطلاع المنطقة حول جبل "تورغار" لتحديد أنواع ومواضع الأسلحة المطلوبه للعمل، وأجلنا مؤقتا إستطلاع الجبل نفسه حتى وصول جماعه منان، من الذين لهم خبرة فى صعود الجبل من جوانب مختلفة، وبالتالى معرفه حدود حقول الألغام وهى المشكلة الأخطر فى العمليه كلها.

إستطلاع الجبل نفسه كان بهدف تحديد مسارات الهجوم، وفتح ثغرات فى الألغام... أو البحث عن مسارات من خلف الجبل تكون خالية من الألغام... أو إمكانية العثور على ثغرة فى الجبهة الأمامية المواجهه لنا وتكون خالية من الألغام...كان أهم تغيير فى المنطقة هو إحتلال القوات الحكومية لجبل" زرمانكى" إلى الغرب من تورغار...وأضاف ذلك مزيد من الحماية والمنعة لتورغار. فالطرف الغربى هو أقصر الطرق إلى أعلى قمة فى الجبل، حيث أقوى المواقع الدفاعية مع دبابة إلى شرق القمة. ينخفض سطح الجبل قليلاً ويمتد جهة الشرق لحوالى 300متر،ظننا أنها لاتحوى سوى خنادق إرتباط، وفى أقصى الشرق موقع واحد قوى وحوله عدة مواقع ثانوية.

وضعنا تصور أولى للمدفعية المطلوبه ومواقعها... وكان تركيزنا الأساسى على هاون عيار 82 مليمتر مع عدد من المدافع عديمة الإرتداد من نفس العيار.

وكان فى المنطقة عدد من الرشاشات الثقيلة عيار 23مليمتر، ومدافع جبلية عيار 76 مليمتر، و كان لدى جماعة "داد مير" النصيب الوافر من هذا كله... فوطدنا علاقتنا معهم وكانوا فى أحد الأعماق الجبلية السحيقة فى جنوبنا الشرقى... كانوا تنظيميا من جماعة "سيد احمد جيلانى".

كانت المجموعة التى وجدناها هناك، غاية الطيبة ودماثه الخلق، ورحبوا بنا بحرارة... فكررنا الزيارة ودفعنا جماعتنا من العرب فى دوريات متتابعة لزيارة موقعهم والتعرف على الأسلحة هناك. ثم إتفقنا معهم على تدريب أفرادنا على الرشاشات الثقيلة والمدافع التى لديهم فرحبوا كثيراً. فخصصنا أحد عناصرنا العربية للإرتباط بهم والإشراف على تدريب شبابنا عندهم.
وكان المسئول هو أبوآمنه الجزائرى، ثم قمنا بعمليه جس نبض لمجموعة "داد مير" من ناحية إستعدادهم أن نعمل سوياً فى عملية مشتركة على مواقع العدو فوق الجبال ، فوافقوا بلا تردد ولم نخبرهم بنوايانا تجاه "توغار".
كانت عملية "حقانى" المرتقبه على"زرمانكى" تمهيداً جيداً لنجاح برنامجنا ضد تورغار...
وقدرت أن عمليتنا قد تتأخر إلى منتصف شهر رمضان... ولكن إذا نجحت عمليه حقانى، وحققنا نحن تفاهماً جيداً مع مجموعه "داد مير"، إضافة إلى مجموعة منان البدوية وهم جزء متمم لنا عضوياً فى المنطقة، فإن الحماس المتولد عن ذلك سوف يبقى المجاهدين فى مواقعهم ونتمكن من إتمام البرنامج قبل عيد الفطر.
كل مجموعتنا العربية إنهمكت بحماس فى نشاطات متنوعة تمهيداً للعملية التى يعرفون جوهرها وهو الإستيلاء على تورغار، أما زملاؤنا الأفغان فى نفس المجموعه فلم يعرفوا شيئاً عن هذه النيه سوى أننا نجهز مواقع لضرب تورغار بالهاونات.
ولكننى على إنفراد مع عبدالرحمن كنا نناقش الخطوة التالية فيما إذا نجحنا فى الإمساك بالجبل وكنا نفكر كما يلى:
1 ـ فور الإستيلاء على الجبل نترك أمر الدفاع عنه لمجموعة " منان" وقد أبدى إستعداده لهذا العمل فى وقت سابق... وهو قادر عليه، بل هو أفضل من يقوم به من بين الأفغان.
2 ـ ننقل هجومنا العربى، بدعم من الأفغان المتوفرين فى إتجاه المطار مباشرة ومن أقصر الطرق... وكنا نضع فى الإعتبار التأثير السئ لسقوط تورغار على نفسيه قوات العدو كما أن الموقع المسيطر لذلك الجبل يؤهله لتقديم الدعم المدفعى اللازم لتحركنا التالى:
3 ـ عند الوصول إلى المطار ننتشر فى المنطقة الزراعية كثيفة الأشجار على حافته الشمالية ونهاجم من هناك قلعه " تخته بك"، ولم نكن نعرف أسمها آنذاك، وكانت معلوماتنا وإشارات الخرائط الأفغانية تشير إلى أنها مقر القيادة العسكرية والمدنية وتبعد ثلاثة كيلومترات،هوائيه، من مدرج المطار.
4 ـ إنتقالنا إلى المطار سينقل المعركة إلي مركز المدينة ويضع أى مركز عسكرى متبقى فوق الجبال من خلفنا فى محاصرة، خاصة وأن الإستيلاء على تورغار سيتم من خلال هجوم واسع بالمدفعية على الخط الأول للعدو فى الجبل على إمتداد تورغار إلى جهة الشرق.
5 ـ هذا الإنتقال السريع المفاجئ سوف يشجع المجاهدين على الهجوم على المواقع الحكومية المواجهه لهم ، بدافع إحراز الغنائم ،فى أجواء إنهيار وإرتباك القوات الحكومية.
6 ـ إذا أمكننا تحريك الدبابة التى فوق تورغار فننزلها من فوق الجبل ونستخدمها فى هجومنا جهة المطار.
7 ـ نجهز راجمه صواريخ B.M.12 فوق سيارة، ونجهز لها فى مكان متقدم حوالى مئة صاورخ، تتقدم السيارة إلى أقصى نقطة ممكنه وتفرغ حمولتها على منشئات المطارعلى الحافة الشمالية أساساً وهى الحافة التى لم تكن تطالها صواريخنا سابقاً... وضرب تلك المنشآت ذو

فائدتين الأول هو تعطيل المطار عن العمل أطول مده ممكنه، والثانى هو تسهيل هجومنا عليه. وهذه الفقرة قائمه بذاتها تتم حتى ولو لم يتم تطوير الهجوم إلى ما وراء تورغار كما ذكرنا.
إذن كنا سنبدأ البرنامج مع المجموعات المتعاونه معنا على أنه هجوم مدفعى على خط الدفاع الجبلى عن خوست، ثم فى خضم القصف الذى ركزنا نحن فيه قدرة غير عادية من النيران فوق تورغار نهاجمه بسرعة... ثم ننزل إلى المدينة فى إتجاه المطار ثم نهاجم مركز المدينه...
وكانت (المغامره)تعمتد على نقطتين:
1 ـ ان يؤدى سقوط تورغار وهجومنا المفاجئ على المطار الى حاله إرتباك شديد، فإنهيار فى قوات العدو ذات المعنوات المنخفضة.
2 ـ قوات المجاهدين المنهمكة فى قصف مدفعى، تتحول إلى تقدم للإستيلاء على المواقع الحكومية وسلب أسلحتها وغنائمها.
والمجموعات الخامدة سوف تكون حاضرة بسرعة البرق لنهب الغنائم كما هى العادة... وفى ذلك فائده لأنهم سيتوجهون إلى المحاور البعيدة التي لم يشملها هجومنا نحن أو مجموعات القصف المدفعى من أصدقائنا فتتسع رقعه الخلل أمام القوات الشيوعية.
وسوف نرى التطابق الجوهرى بين (مغامرتنا) تلك وبين الخطة التى طبقها حقانى، عند فتح خوست فى مارس 1991. حتى أنه فى البداية إختار نفس المحور للتقدم من تورغار إلى المطار من جهه الطرف الغربى لجبل تورغار لكن ضياع عنصر المفاجأه منعه من إستخدام ذلك الطريق، فإستبدل به محوراً آخر... شكل وقتها مفاجأة لم تكن متوقعة. وسنرى ذلك فى موعده. لكنه إتجه أيضاً إلى المطار فقلعه "تخته بك" ثم باقى المدينة... وإستغرقت رحلته تلك خمسة عشر يوماً فقط (!).

****

ولنعد إلى جوله أخرى إلى أوراق المذكرة التى كنت أحملها فى جيبى فى تلك الأيام

<u>الجمعة السابع من إبريل 1988</u>:

من وقت مبكر خرجت فى داورية مع شفيق وصخرى وأبو محجن اليمنى بهدف إختيار أماكن لحفر مغارات لتخزين الذخائر فى مكان مناسب للعمليات، خاصه ذخائر الأسلحة الثقيلة...
رشحنا مكانين وتقدمنا صوب تورغار علي وجل من الألغام ورشحنا أمكنة للراجمة فى عمليتنا ضد المطار... وربما إستخدمناها فى رمايات على أهداف خلف تورغار خاصة موقع "شهيد كلى" وهو قرية تستخدم قاعدة إدارية لتورغار وبها بطارية مدافع جبلية عيار،76 مليمتر ...حسب معلوماتنا وقتها.
قررنا أن نسافر عصراً إلى ميرانشاه لإستعجال"سلطان" لتجهيز متطلبات الحملة... لكن قبل وقت الرحيل نزل علينا وفد كبير من العرب، وعددهم عشرة... من بينهم عبدالرحمن الذى غاب عنا فترة طويلة فقد ودع والدته التى عادت إلى مصر بعد رحلتها العاصفة والمخيبة للآمال. عبد العليم "القاهرى" عاد معه مرافقاً ولكنه هذه المرة يحمل واحداً من مشاريعه الخيالية، إنها مجلة بإسم "الجهاد العالمى" !!. ويطلب منى الكتابه فيها... وبعد ساعات من الإلحاح من جانبه والتملص من جانبى أخلى سبيلى فى مقابل كتابة رسالة إلى عائلتى فى إسلام آباد لإعطائه أرشيف مقالاتى القديمة كى يأخذ منها ما يناسبه.
ألغينا السفر إلى ميرانشاه وجلسنا نستمع أخبار القادمين. فى الجزء الأول من الليل جلست فى الحراسة مع عبدالرحمن وشفيق وصخرى لتقسيم الشباب إلى مجموعات حتى نوجهم فى

دوريات للتعرف على المنطقه.

السبت 8 أبريل 1988:

بدأنا الحركة فى الثامنة صباحاً. سرت مع عبدالعليم في مقدمه الركب سيراً على الأقدام. تكلمنا فى موضوعات مختلفة منها إحضار العائلات إلى داخل أفغانستان لفترة محدودة حتى يتعودوا على أجوائها فقد نكون مضطرين للبقاء فيها إذا أردنا الإستمرار فى الجهاد، فلا أحد يدرى موقف حكومه باكستان منا... وقد لا تتركنا نعيش حتى فى ميرانشاه. فى الطريق قابلنا قافلة من العرب والأفغان تحمل أمتعة لنا... كنا فى الطريق إلى مركز خلفى رئيسى للكومندان "مالى خان". الطريق يمكن تمهيده للسيارات، وذلك يساعد عملنا كثيراً...فقررنا إدراج ذلك فى برنامجنا، ومن هذا الطريق يمكن ربطه بفرع يصل إلى مركز داد مير، واذا تم ذلك سوف تكون المراكز الرئيسية الهامة مرتبطة ببعضها، وتصل سيارتها بسهوله إلى خطوطنا الأولى فى المعركة القادمة... أثارتنا الفكرة... وقررنا المضى فيها فى أقرب وقت... بعد إستشارة "مالى خان" وجماعه "داد مير " أما حقانى فنعرف سلفاً أنه سيرحب جداً بالفكرة.

بعد فترة إستراحة فى مركز مالى خان إستأنفنا المسير الطويل إلى مركز "عيد جول"؛ وكان أبو عبيده "سلطان" قد أرسل مجموعة من العرب إلى هناك تحت قياده "أبوحنفى" وشهرته "الونش" وكان ماذكره لنا أبوعبيده نفسه عن هذا الشخص أثار فى نفوسنا الريبه منه.. فتجنبنا لقاءه.. وساءنا أن يضع سلطان مثل ذلك الشخص فى مكان حساس مثل هذا يمكنه من رصد كل الحركه فى بارى!!. والغريب أنه لم يخبرنا بتلك المجموعة ولامهمتها.

وفى الواقع فإن كل من أرسلهم أبوعبيده إلينا كانوا مزودين بأوامر تفصيلية تجعل قيادتنا لهم أمراً صعباً ومربكاً لنا ولهم..فسوف يصبح لكل منهم أميرين يتلقى منهما الأوامر..وكان إرسال الأشخاص وسحبهم من عندنا يتم بدون إخطار مسبق لى أو لعبد الرحمن، على عكس إتفاقنا السابق الذى كان يقضى بعدم تحريك أى عربى من الجبهة إلا بعد نهاية العملية.

وجدنا صديقنا سلطان عند مديرنا الإدارى أبومعاذ... تكلمنا قليلاً وشعرنا بجفاء غير عادى من سلطان على عكس طبيعته المرحة.. وإستنتجت وقتها أنه غير مرتاح للتعامل معنا فى تلك العملية... فقررت فى نفسى أن أطلب منه قبل عودتنا أن يعين أميراً جديداً للعرب فى بارى.. ويعفينى أنا وعبدالرحمن... وأننا سنستمر فى مساعدة ذلك الأمير إذا رغب هو فى ذلك.

حددنا تلفونيا موعدا للقاء مع حقانى صباح الغد.

الأحد التاسع من إبريل 1988:

وصلنا بيت حقانى قبل الثامنة صباحاً وتحدثنا معه فى الوضع السياسى الحالى وبعض أخبار الصحف التى قالت أن التوقيع على إتفاقية جنيف سوف يتم يوم الجمعة القادم. وسألنا أيضاً عن وضع العمليات العسكرية حالياً... وموقف حكومه الباكستان بعد التوقيع، وإمدادات السلاح.

قال الشيخ حقانى: لم نبلغ بأى تغيير فى موقف باكستان.وأحمد شاه مسعود طلب مقابلتى وسوف نحاول ترتيب ذلك.

فعرضت عليه أن يرسل إليه رسالة عن طريقنا إذا لم يكن لديه إتصال مباشر معه، فقال إنه سيفعل ذلك عن طريق مكتب مسعود فى بشاور. وخطر فى ذهنى وقتها أن مسعود يريد أن يرتب مع حقانى عمليات عسكرية مشتركة وبالتالي فإن أفضل محور للعمل العسكرى أمام العرب سوف يكون مع ذلك التحالف بين مسعود وحقانى كأفضل قادة عسكريين فى داخل

أفغانستان "حسب تقديرى".
أما قنبلة الجلسه فكانت حين قال بأنه سوف يسافر خلال أيام إلى سرانا لأن بعض أقوام منطقة "مانى" الواقعه بين "سرانا" و"أورجون" و"شمل" هؤلاء قد إستلموا أسلحة وأموال من الحكومة الشيوعية وأعلنوا إنضمامهم لها، وأنه أرسل إليهم من ينزع سلاحهم.وقال بأنه لابد من تقوية "سرانا" ومراكز طريق زدران قبل التشديد على خوست.
كان يريد أذن تأمين وضع القبائل وإحكام طريق زدران حتى يضمن عدم قيام القوات الشيوعية بعملية إمداد جديد لمدينة خوست خاصة إذا شدد المجاهدون ضرباتهم وهددوها بالإجتياح.
كان تفكيرا معقولا... ولكن مشروعنا إهتز قليلاً. وقال عن عملنا بأن المحافظة على الجبال الهامة مثل تورغار مشكلة تتعبه كثيراً لأن المجاهدين غير مطيعين ولايبقون طويلاً فى المواقع
قال حقانى أيضاً: طريقة القتال الحالية سوف تستمر فى المرحلة القادمة أيضاً. .
(كانت بعض الأوساط تروج بأن مرحلة التسوية وعودة المهاجرين والمشاركة فى السلطة بين أحزاب بشاور وحكومه كابول سوف تجعل الشكل العام للقتال هو عمليات الإغتيال لرموز الشيوعية فى البلاد والقضاء عليهم بدون حرب مكشوفة... وأظن أن مصدر ذلك السيناريو هو المخابرات الأمريكية...وكنت قد سمعت شيئاً مثل ذلك منذ عامين من مصادر باكستانية حكومية خاصة في مركز الدراسات الإستراتيجية فى إسلام آباد خلال بعض محاضراته ونشراته).
وعن عودة ظاهر شاه إلى البلاد قال بأنها إذا حدثت فسوف تشق صفوف المجاهدين لأن هناك ثلاثة منظمات تؤيد الملك علناً. أما عودة المهاجرين فهى غير ممكنه طالما القتال مستمر.
- لايمكن للسوفييت أن يوقفوا إمداداتهم العسكرية لحكومة كابل، وإلا فإنها ستنهار حتماً.
- ليس لدينا معلومات كافية عن القوة العسكرية فى خوست.
- حكومة باكستان تطلب من المجاهدين تحرير خوست وإتخاذها قاعدة لهم .
(ملاحظه: هذه بالتحديد وجهه نظر ضياء الحق، وقد ناقشنا ذلك قبلاً).
□ كان سلطان حاضراً ذلك اللقاء مع حقانى، وبعد عودتنا إستأنفنا مناقشة الموقف العام وعمليتنا القادمة، وأظهر (سلطان) تغيراً ملحوظاً فقد أبدى تشككا فى عمليتنا وجدواها..
وحذرنى سلطان من خسارة تلك العملية لأن الكلام ضدى سوف "يزيد" وتساءل عن ضمانات نجاح العملية.
أحسست أن هناك حملة جديدة ضدى وضد العملية فى أوساط بشاور وإن ذلك قد أثر فى أبو عبيدة ،فإنعكس على طريقة تعامله معى ومع عبدالرحمن... فطلبت منه أن يعين أميراً جديدا للعملية وللعرب فى بارى... فوافق بلا تردد، فتأكدت ظنونى.
□ الشئ الذى لم نكن ندركه أثناء ذلك النقاش الكئيب هو أن مخازن الذخيرة فى أوجرى كامب بدأت تنفجر... فى واحدة من أبرز مصائب هذا العام.

<u>الإثنين العاشر من أبريل 1988:</u>
قضيت شطراً من الليل أتكلم مع عبدالرحمن فى التطورات الجديدة...
فتحرك القبائل من منطقه(مانى) يؤثر على برنامجنا ولكنه لايمنعه... وقد حدثت أشياء مثل هذه قبلاً وقضى عليها... ربما ظن هؤلاء أن حقانى أصبح ضعيفاً بعد معركة زدران.. ولكنه قادر على إثبات العكس فما زالت قواته سليمة وفى حاجة لأن تثبت جداراتها بعد هزيمة الشتاء

الماضى.
لكن المشكلة الأكبر فى نظرنا هو تبدل موقف أبوعبيدة، وبالطبع اللجنة العسكرية فى بشاور.. ويبدو أن نفوذ أتباع سياف مازال قوياً حتى فى ظل الترتيبات الأخيرة التى حملت (أبوعبدا) إلى زعامة العرب وتقهقر الشيخ عزام خطوة إلى الخلف. لقد أضاع العرب فرصه تدمير القوات السوفيتية فى طريق زدران وهاهم الآن يضيعون فرصه فتح خوست قبل إنسحاب السوفييت من البلاد... وحتى لولم تؤدى العملية إلى فتح المدينة فإن الإستيلاء على تورغار وتهديد المطار بشكل دائم، وإضعاف خط الدفاع الجنوبى للمدينة. تعتبر إنتصاراً لاشك فيه خاصه وأن العالم كله يحفظ إسم خوست ويعطيها من الأهمية أكثر من العاصمة كابل، وذلك بعد الحملة الأعلاميه المصطنعة والتى رافقت حمله زدران.
ثم إتفقنا على ترك قياده العملية لأى شخص تعينه لجنه بشاور العسكرية، فذلك أفضل من حيث إخلاص النية فى العمل.
ولكن فى هذه الحالة فإن تنفيذ برنامج كبير مثل الهجوم على تورغار، حتى بدون تطويره بعد ذلك، يعتبر عملاً خطيراً للغاية بالنسبة للعرب هنا.فالعمليه كلها تعتمد على صلاتنا القديمة مع المجموعات والقيادة فى المنطقة... وتحريك هؤلاء بدون تلك الخلفية أمر صعب.. فليسوا جميعاً على نفس الدرجة من الجدية... فهناك مجموعات لن تتحرك إلا لسرقة الغنائم، وبعضها سيشارك رمزياً...وهكذا... حتى يصل إلى المجموعات التى يمكنها أن تقتحم الجبل معنا... ثم تتمسك به... أو تطور الهجوم فى إتجاه المطار...وأن العرب لو هزموا فى تلك الموقعة... حتى بعد إبتعادنا عن القيادة فسوف يحملوننا(مسؤولية برنامج فاشل ورطناهم فيه ثم خرجنا) .
وبالفعل.. جلسنا صباحاً مع أبوعبيده وطلبت منه مع تعيين أمير جديد، أن يقتصر، ومن الآن على الإعداد لبرنامج إزعاجى فى منطقه بارى والتخلى عن العمليه الكبيرة.
فإبتسم سلطان إبتسامه المنتصر وسألنى: هل أنت خائف من العملية؟.
فقلت له إننى غير خائف من العملية... ولكن العرب غير مستعدين لقبول عمليات أضرب وإهرب ...أقصد أنهم مغرمون بالمعارك الجبهوية والدفاع عن مواقع ثابتة كما حدث فى معركة جاجى... كذلك فالعرب لن يتحملوا أى هزيمة لإفتقارهم إلى الإستمرارية أو القدرة على الإستفادة من الأخطاء.
(الغريب أننا كنا على مسافة زمنية قدرها عام واحد تفصلنا عن أكبر هزيمة لقيها العرب فى أفغانستان... فى معركه جلال آباد التى كلفتهم 300 قتيل على الأقل).
أظهر سلطان بعض الليونة بعد جفائه السابق... وقال: إستمروا فى عملكم حتى أشاور اللجنة العسكرية، ونأتى بأمير جديد.
غادرنا مكتب العرب... وصلتنا صحيفة اليوم فإذا بها حافلة بأخبار معسكر أوجرى وإنفجاراته الرهيبة، وأنباء عن مئات من القتلى والجرحى فى إسلام آباد وروالبندى...شعرت بالقلق على عائلتى وفكرت فى السفر للإطمئنان عليهم... ثم عدلت عن الفكرة على إعتبار أن ماحدث قد حدث وإنتهى الأمر وإن ذهابى مثل عدمه لن يغير شيئاً... ودعوت ا أن يسلم.
كانت حالتى المعنوية سيئه جداً... ورأيت أن كل شئ يسير على عكس ما أتمنى... وأن الأسوأ هو الذى يحدث دوماً. وتتالت أحداث صغيرة وكبيرة كى تدفعنى قدماً نحو المزيد من الكآبة. هاهو أبومعاذ جالس مع صديقنا عبدالعزيز ليفسر له، كعادته،رؤيا رآها بالأمس..فكانت كابوساً

مليئاً بالنذر.
سيارتنا غادرت إلى بارى بدون أن تأخذنا معها، ربما ظن السائق أننا باقون فى ميرانشاه هذا اليوم.
إستأجرت سيارة مع عبدالرحمن كى تأخذنا إلى " تودة شنى". كدت أن أتفاءل لأن السائق إسمه نعيم.. ولكن ماهى إلا دقائق حتى تشاجر نعيم مع سائق سيارة أخرى ضايقه أثناء السير. نزل نعيم كى يستخدم العنف ضد السائق الآخر لكنه عاد إلينا وأنفه يسيل بالدم... وأراد أن يأخذ أحدى بنادقنا كى يقتل بها غريمه !!.
منعناه بصعوبه وعاوننا بعض أولاد الحلال فى فض الإشتباك ثم واصلنا المسيرة والجميع متوترون.
كانت "توده شنى" بعيده جداً هذه المرة... الطريق سيئ وقصف شديد هناك... لذا أوقف نعيم سيارته وطالبنا بإكمال الطريق على أرجلنا... ففعلنا صاغرين.
وصلنا مركزنا فى مقابل الصخرة السوداء على مفرق أربعة تفرعات للوادى الضيق الجميل... لكن لا أثر لهذا الجمال الآن، لقد أقبل الليل...ونحن منهكون نفسياً وجسمانياً... وهاهو أخينا " محمد أمين" قد أطلق صاورخين على المدينة فبدأت هاونات تورغار، ومعها عدة مدافع من المدينة تدك مكاننا بدقة مفرقة... تسللنا إلى الشعب الجانبى حيث لنا خيمتان، وصليت المغرب والعشاء جمعاً وقصراً... وتمددت على الأرض بدون غطاء... وقذائف الهاون ترقص حول خيمتنا فى شكل دائرى... لم أبالى بشئ من ذلك وضعت فى غياهب النوم... إستيقظت مذعوراً بعد منتصف الليل... فقد توقف القصف فجأه... فسألت الحارس خارج الخيمه: ماذا حدث؟..فقال: لاشئ ... لقد توقف القصف.
فرجعت إلى النوم... حتى ولو بدون قصف المدافع !!.هل هو التحدى ؟... أم القرف ؟...

***

زاد عدد العرب فى "توده شنى" مع تميع موضوع القيادة، فأخينا سلطان فى تدخل دائم كما ذكرنا... وإنسحبت تدريجياً من موضوع الإمارة، والألقيت معظم الأمور على كاهل عبدالرحمن... ذلك أراحنى قليلاً لكنه عقد المشلكه أكثر... فمن المشهور عند القادمين أننى المسئول عن الموقع... بينما هم يشاهدون أننى لا ألقى الأوامر لأحد... ثم وصل "صابر المصرى"... وهو صعيدى قوى البنية ذو عيون زرقاء... طيب وصبور ذو روح أبوية... وهو من العرب المشهورين بالبراعة فى إستخدام الهاونات.
وقد وصل إلينا وقد عينه أبوعبيده مسؤلاً عن الهاونات ومعه طاقمه الخاص... هو المسئول المباشر عنهم... وهكذا زاد تجزئ العمل وتضارب الأوامر... ولكن سلطان لم يكتف بذلك فقد ضخ مزيداً من العرب إلى بارى فى مركز (عيد جول) وطلب منهم تجهيز عمليه على جبل (زرمانكى). وكان المسئول عن تلك البؤرة الجديدة هو (أبوحنفى الونش)!!. . ولم يكن الونش قد أثبت أى قدره عسكرية، أو لم تتح له الفرصة لذلك منذ وصوله عام 86 وقد شاهد جزءاً من معركه جاور وقتها، ولكن روحه الفكاهية الفاقعة قد تمنعه من القيام بدور قيادى فى عمل عسكرى... فأكثر من يعرفوه يضحكون لمجرد رؤيته... فقدرته هائله على الإضحاك. ولو أن القوات الشيوعيه فوق جبل زرمانكى تفهم العربيه لكان الونش قادرا بمفرده على طرحهم أرضاً مع إلقاء أسلحتهم وأعينهم تفيض دمعاً... من كثرة الضحك.
لم تكن تصرفات سلطان صحيحة، ولا إختياره للاشخاص موفقاً. قص علينا الونش بعد

ذلك كيف شارك مع مجموعة من المجاهدين فى محاولة إلتفاف وهجوم على زرمانكى من الخلف فإكتشفهم العدو وهم مختبؤن فى قرية مهجورة فصب عليهم نيراناً شديدة... إنفجرت قنبله خلف (الونش) بمسافة كبيرة لكن قوة ضغطها قذفتة إلى الأمام"وكان جالساً القرفصاء فأخذ فى طريقه قائد المجموعة وباقى المهاجمين وطاحوا جميعاً على الأرض.
لقد قص علينا الونش مسرحية كوميدية أضحكتنا... ولكن لم يخبرنا عن معركة.
****
لقد بدأت الفوضى العربية تدب على أرض بارى التى كانت هادئة... لقد تأقلمنا على الفوضى الأفغانية... لكن الآن صرنا بين فكى الرحى ، فوضى عربية وأخرى أفغانية.كنت أشعر وعبدالرحمن بالمسئولية عما يحدث... فنحن الذين جرينا خلف العرب وجذبناهم إلى هذا المكان وبدلا من الفتوحات والمعارك الرائعة... فها نحن فى حيص بيص.
كنا نفكر فى عبور تلك المرحلة إلى بر الأمان بدون خسائر بشرية وبأكبر قدر من الفائدة للشباب الجدد... ورغم كل الفوضى.
المنطقه تزداد خطورتها مع إستمرار الصورايخ الجديدة فى ضرب المدينة وزادت غارات الطيران وقصف المدافع... وكنا قريبين جداً من الهدف المقصود... ولم نلبث أن أصبحنا مستهدفين وتأكد لنا بعد أيام قليلة أن هناك رصد دقيق لخيامنا فى الشعاب المجهولة التى دخلناها... وكان تصحيح الرماية واضحاً من إقترابها التدريجى حتى تصل تماماً إلى مكاننا... تكرر ذلك عدة مرات لكن ا سلم... ثم إن الطيران عثر علينا بسرعة رغم تغيير المكان والتزام إحتياطات الإخفاء والأمان.
فإقترحت أن يكون لنا مركز خلفى فى أحد المغارات القديمة إما عند "سمير جول" أو المركز القديم لمنان بين الشجيرات وقرب نبع رائع للماء العذب، وألا نأتى إلى "توده شنى" وما خلفها إلا للإستطلاع أو للرمايات عندما نقرر برنامجاً لذلك.
وبالفعل إتخذنا بعض الخطوات لكن لم يكن أحد متشجعاً للرجوع إلى الخلف (!!). ومطالبى بعد ذلك بدأت تؤخذ بإستخفاف، بالطبع لكونها متناقضة مع الشجاعة.
ومن أجل الإستفادة دفعنا عددا كبيرا من الدوريات لمعرفة المنطقة والتعرف على مواقع العدو القريبة، ثم وضعنا نقطتين فى برنامج العمليات الصغيرة والمناوشات... الأول وأهمها هى محاولة تدمير الدبابة فوق تورغار... وكنا غير متأكدين بعد أنها فى المدى الفعال لمدفع82 ميلمتر عديم الإرتداد.
النقطه الثانية هى ضرب بطارية مدافع D.C علي حافة المطار الغربيه وكنا قد رصدناها كواحده من المتغيرات الجديده عندالعدو.
كانت دورياتنا ممتعة ومرهقة فى آن واحد...خاصة وقد أظلنا شهر رمضان...فكانت معاناتنا مضاعفة وأيضاً إستمتاعنا بذلك العمل الرائع.
بواسطة الكاميرا ذات العدسة المقربة قمت بإلتقاط صور متتابعة لجبل تورغار حتى نكون منها صورة متكاملة"بانوراما". وبالفعل حصلنا على صورة متكاملة غنية بالتفاصيل لجبل تورغار وخنادقه المقابله لنا... والدبابة القابعة إلى شرق قمته الشامخة.
لقد أثارت الصورة الملونة الجميلة، والتوضيحات المكتوبة عليها بالقلم الأزرق على الخنادق والأسلحة التى بها، أثارت شهية الشباب للهجوم، ولكن أين لهم بالقيادات التى تقودهم نحو

النصر ؟؟!.
وقد كانت جلال آباد قادمة فاغرة فاها مثل قبر رهيب وماهى إلى عدة أشهر حتى غاب أكثر هؤلاء فى باطن الأرض فى أكبر هزيمة لنا على أرض أفغانستان.!
****

الإثنين 88/4/18: هو اليوم الأول من رمضان 1408 هجرى حسب رؤيه باكستان،وفيه بدأت الصوم مع عبدالرحمن،لرغبتنا فى مخالفة السعودية، ولأن المنطقة التى نحن بها لم تشاهد الهلال أمس.
بقى عبد الرحمن فى ميرانشاه لأن إبنه (إبراهيم) كان مريضاً. عدت منفرداً إلى منطقة بارى عند مركز "سمير جول" وتقدمت سيراً صوب مركزنا الجديد فى الشعب المهجور وكنا نطلق عليه "مركز صابر". قابلت صخرى الذى قال لى بأن بعض الشباب بدأ يشعر بالملل... لم يكن هناك داعى حتى الآن للملل... فدورياتنا مستمرة فى المنطقة... وصابر وجماعته أعدوا مركزا للهاون خلف الجبل المواجه "لتورغار" وهو جبل طويل قررنا أن نضع على إمتداده ثمانية هاونات على الأقل عند الهجوم على تورغار، أما عمليات شق طريق جديدة وإصلاح بعض التالف منها فهى الآخرى تسير بنشاط تحت قيادة الشاب الهمام (أبو أنيس). كنا نحاول تقليل كثافة العرب فى المنطقة المتقدمة التى تبدأ من مركز صابر وأن نعود بهم إلى مركز منان القديم المجاور للنبع العذب الذى أطلقنا عليه(كوتشى آب). لهذا ربما شعروا بالملل ولأن المعركه ليست فورية كما يحب العرب الذين يستثقلون فترة الإعداد للمعركة، ويرغبون دوماً فى دمج المرحلتين معاً فى مرحلة واحدة... وأن تكون المعركة فى وقت الإعداد... وأن يتم الإعداد للمعركة... أثناء المعركة !!!
وليس غريباً أن نخرج من أفغانستان بمثل هذا السجل العسكرى المتواضع!! والعدد الضخم من (الشهداء) !! .

(الثلاثاء 88/4/19) ـ (الثانى من رمضان 1408هـ):

وصل عبدالرحمن وآخرون... وأخبرنى أن سلطان قد عاد من بشاور وأن علينا أن نذهب لمعرفه ما إستقر عليه أمر اللجنة العسكرية فى بشاور.
عدنا بالسيارة إلى ميرانشاه وجلسنا مع سلطان قبل المغرب ثم بعدها... وكان ملخص ما ذكره أن اللجنة العسكرية تتملص من أى إجابة قاطعة حول عمليه (تورغار)..كذلك بالنسبه لتعيين أمير جديد للمنطقة .ولكن أبا عبدا موافق على العملية ويطلب بالدفاع عن الجبل بعد الإستيلاء عليه...
فأخبرت أبوعبيده بأننى لن أكون مسئولا عن مثل هذا العمل بأي حال وأن خسائرنا سوف تكون عالية... وأن الدفاع عن الجبل هى مسئولية الأفغان وهم أقدر منا عليها...
كان وجودنا فى الهجوم ضرورياً من أجل عمليه التنسيق بين المدفعية وبين المشاة، وأيضا بالنسبه لتعامل المشاة مع حقول الألغام وفتح ثغرات فيها، وهو عمل يشمل إستخدام الأفاعى المتفجرة(وكان عدداً منه متوفراً فى المنطقه)وكذلك عمليات الرفع اليدوى والتنظيم قبل العملية.
أما الدفاع فهو يعنى البقاء تحت القصف المستمر أرضاً وجواً لفترات غير محدودة، وهو عمل لا بد فيه من تناوب القوات من أجل الراحة، بينما ليس لدينا إحتياطى بعد ذلك سوى أطقم المدافع وعدد محدود فى الإداريات.
لقد عدنا إلى نفس النقطة مع "اللجنة العسكرية" ولم تحسم أى قضية، وإن كانت الفوضي فى

الجبهة العربية فى بارى تتنامى والمخاطر تزادد بسبب برنامج القصف الصاروخى "صقر" ورد القوات الشيوعية عليه.

الاربعاء 88/4/20:
نبحث اليوم عن تراكتور لفتح الطريق... نحاول عن طريق مكتب حقانى أن نجد فى أحد مراكزهم واحداً نستعيره ...وجدنا عندهم سائق ماهر ذو شهرة فى شق الطريق، وهو "والى خان" الشهير بقاهر الجبال ... ولكن بلا معدات فماذا عساه أن يفعل؟.
سنحصل اليوم أيضاً على سياره تبقى معنا فى الجبهة بشكل دائم... فى لقاء آخر مع سلطان أخبرنا نقلاً عن الشيخ حقانى بأن أمريكا واسرائيل طلبتا من باكستان إغلاق معسكرات العرب لأن أحد المقبوض عليهم فى العمليات فى إسرائيل كان قد تدرب هنا... وأن إسرائيل هددت بقصف السعوديه لأجل هذا الأمر، على إعتبار أن السعوديه تمول تلك المعسكرات.
الخميس 88/4/21 :
تحركنا فجراً فى سيارتنا الخاصة، كان معنا عدد كبير من العرب أرسلهم معنا أبوعبيده إلى مواقع مختلفة، بعضهم إلى بارى عند "الونش" وآخرون إلى مركز صابر الذى صار مكدساً... وإضطررنا إلى توزيع الباقين على مراكز خلفية من "كوتشى أب" إلى مغارات "سمير جول". معظم القادمين "ضيوف" ذوى مدد صغيرة، وبعضهم جاء لزيارة أصدقائه وآخرون لمعاينة الجو، إذا عجبهم الحال سوف يقررون مدة بقائهم!!
وهكذا... أصبحت الفوضى والتسيب فوق قدرتى على الإحتمال... لكن الأمير الجديد لم يصل، وربما لايصل أبداً ويبقى الوضع هكذا، إما إلى أن تحدث كارثة، أو ينفض "المولد" ويعود الناس إلى بلادهم عندما يقررون هم ذلك.
الأسوأ من كل هذا أن معظم من فى المنطقة الأمامية يعتبرونى أميراً (رغم أن معظم أوامرهم قادمة من بشاور أو ميرانشاه)...أى أننى بشكل ما مسؤل عما يحدث...وهذا صحيح...فقررت وضع حد للمهزله...

أخذنا "أول دين" من مركز منان وقمنا معه بعدة جولات فى المنطقة، ولكن مهمته الأساسية كانت الصعود معنا إلى "تورغار" وكانت أمنيتنا من تلك المجازفة أن نكتشف ثغرات فى حقول الألغام يستخدمها العدو فى المرور... وكنا أثناء مراقبتنا الطويلة للجبل قد إشتبهنا بوجود مثل تلك الثغرة عندما شاهدنا ضابطاً شاباً يهبط من عند الدبابة إلى مسافة كبيرة أسفل الجبل ثم توقف عند حافة جرف، ثم جلس القرفصاء ونظر غلى الأسفل برهة،ثم عاد مرة أخرى. كان معى وقتها شفيق وعبد الرحمن وآخرون...عقدنا مؤتمرا عند نقطة الترصد وقد خيل إلينا أننا وجدنا مفتاح المشكلة فهل يعقل أن تكون كل تلك المسافة هى عمق حقل الألغام،وأن الذى شاهدناه هو ثغرة يستخدمونها... ولكن لأى شئ؟.
لم نشاهد الضابط فعل شيئاً مميزاً سوى أنه جلس القرفصاء،فوق رأس جرف، لفترة ثم ذهب... فهل يقضى حاجته؟ غير معقول أن يفعل ذلك من الجهه المقابلة للمجاهدين، فالجانب الآخر من الجبل هو الأنسب لذلك.
لكن على أى حال هناك ثغرة على الجبل من أسفل الدبابة وحتى الجرف الأسود.
هذا إحتمال كبير جداً، ولكنه يحتاج إلى مزيد من التأكيد.

وإذا تحركنا مع" أول دين" فى إستطلاع قريب قد نتأكد من ذلك أو نجد ماهو أفضل منه.
كان ذلك قبل شهر رمضان بقليل، لكننى الآن غيرت رأيى وقلت لعبد الرحمن،ناصحاً، فقد كنت أعرف أننى سأترك الموقع وربما العملية كلها بسبب هذه الفوضى، فقلت له:(لايظهر أننا قادرون القيام بالعملية أثناء شهر رمضان... فكثير من المجاهدين بدأوا يرحلون إلى بيوتهم... حتى جماعة منان عددهم قليل جداً، ولايمكن إستنفارهم من قراهم فى شهر رمضان.
والعرب بمفردهم لايمكنهم خوض العملية، وحتى مع وجود الأفغان فإن حالتنا الراهنة لاتؤهلنا حتى لمجرد البقاء فى المنطقة... فنحن معرضون للخسائر، بدون أن نكون قادرين على فعل شئ... فالعدد أكبر من اللازم... وتحولت جبهتنا إلى بيت ضيافة مثل بيوت بشاور وليس لنا سيطرة على أحد هنا... وأنصح بالتالى:
1 ـ تأجيل عملية إستطلاع تورغار مع "أول دين" إلى مابعد العيد حتى لايشيع أمرها بين الأفغان وتفتضح العملية ونكشف نوايانا للعدو... فينبغى أن يكون الفاصل بين تلك المهمة والهجوم على الجبل ليس كبيراً.
2 ـ إبقاء طاقم هاون واحد مع صابر وسحب الآخرين إلى مغارات سمير جول، وهو ليس بعيد جداً،كما أن مساحاتها الكبيرة ومكانها الجميل وتوافر المياه... يجعلها منتجعاً طيباً للإخوه الراغبين فى إكتساب الثواب والبقاء فى الجبهة خلال شهر رمضان.
3 ـ بعد عيد الفطر ينبغى أن نجلس لإعادة النظر فى المشروع كله... فبدون تنظيم أمورنا كلها ... فلا داعى للقيام بعملية خطيرة كتلك التى نفكر فيها) .
من عبد الرحمن والآخرين، مثل شفيق وصخرى وأبو أنيس، لم تكون فكره الرجوع إلى الخلف مقبوله، والشباب يفضلون العمليات في شهر رمضان ولن يسرهم الجلوس في الخلف.
ومن حججهم أيضاً أنه يمكننا إستخدام أكثر من هاون وإتاحة الفرصة للجميع أن يشاركوا فى الرماية عليه كنوع من الإزعاج للعدو.
ثم أثاروا معى وفيما بينهم حقيقة إن المنطقة تفتقر إلى أمير...فشعرت بأصابع الإتهام تتجه نحوى... فقررت المغادرة فوراً حتى تصبح المشكلة أكثر تحديداً... وأن يتخذ أبوعبيده قراراً محدداً فى قيادة الجبهة... ولا أكون أنا مسؤلا بلا مسئولية...

فى عصر ذلك اليوم (الأحد24/4/ 88 ـ الموافق 7 رمضان):

كانت حقيبتى الصغيرة معدة للرحيل...قررت أن أرحل بصمت حتى لا أثير ضوضاء...فكنت أعلم أنهم سيعمدون إلى إسترضائى وتطييب خاطرى... ولم يكن ذلك هو المطلوب أو هو حل المشكلة التى أراها أمامى.
هذا الشعب الضيق أصبح مكدساً بالشباب، بلا قيادة ميدانية وبلا خطة عمليات... أوامرهم تأتى من بشاور أو ميرانشاه، من اللجنة العسكرية التى هى غير مقتنعة بالعملية، وليس لديها حتى الآن فكرة عما تريد أن تفعله... سواء فى بارى أو فى أفغانستان كلها... والشباب يتوافدون إلى بشاور بالعشرات والمئات...وليس هناك خطة لإستيعابهم أو حتى قدرة على ذلك...
والأخطر أنه لا أحد يدرى على وجه الدقة عن هذا الشئ المطلوب من هؤلاء الشباب الذين إندفعوا بكل حماس وعفوية، وعدم وعى أيضاً ،إلى أفغانستان من أجل الجهاد... ماذا نريد منهم الآن... وغداً... فى أفغانستان أو غير أفغانستان... سنقاتل بهم من؟ ولماذا ؟. ومن سيقودهم؟. وأين؟. وكيف ؟... ومتى ؟...
اسئلة حائرة... ولكن قيادات العرب فى بشاور أغلقت أذانها وسطحت الأمور تحت شعار

(توكل على ا ... دع الأمة تستيقظ) .
ولكن ماذا بعد اليقظة؟...هل هى ثورة على الأوضاع المذرية التى تحكمنا وتحكم البشرية كلها أم أن بعد هذه اليقظة غفوة أطول؟ فتكون مثل صحوة الموت؟!.
كنت على وشك الرحيل فحضر عبدالرحمن وأبو أنيس وشفيق وصخرى وقد غمرهم العرق... نزعوا أسلحتهم متعجلين فقد تأخروا عن صلاة العصر، ، وبدأوا فى الوضوء من جدول الماء الصافى الذى يمر من تحت أقدامنا فى الشعب.نظرت اليهم أملأ ناظرى منهم...
كنت أحبهم حقاً...
ولكن شعورى بالغضب والأسى على نفسى وعليهم غمرنى أكثر من أى شعور آخر... نظرت إلى الخيمتين على جانبى الشعب الضيق هذا هو "مركز صابر" على اليمين خيمة واحدة... كنت أبيت فيها مع أخرين وعلى اليسار خيمة صابر المكدسة للغاية...وإلى جوارها عريش به أوانى الطبخ وبعض جوالات الأرز والبطاطس...
وتلك الحفر على جانبى الوادى تنذر بالخطر... قنابل طائرات وقذائف هاون "غرناى" قادمة من تورغار... لقد أصبح مركزنا هذا على خرائطهم ... إن ذلك يغيظنى... فما أبشع أن يكون التجسس هو الحرفة الأولى فى المجتمع...
وهؤلاء الشباب الرائعون يغيظوننى أيضاً... إنهم مصرون على البقاء... ليس لأى جدوى عسكرية للمكان... ولكن تحقيقاً لمبدأ (التوكل على ا ... وأنه لن يصيبنا إلا ما كتب ا لنا .. وبحثنا عن الشهادة !!).
لقد أصبحنا مثل الأفغان فى هذه النقطة أيضاً... ربما نحن متشابهون حتى قبل أن نلتقى بهم... لقد ضاعت مسئولية القائد عن أرواح جنوده تحت تلك الشعارات.
فى مواقع تافهة مثل تلك يمكن أن يقتل الكثيرون بلا مبرر... فلا القائد يأمر جنوده بتغيير المكان... ولا الجنود مستعدون "للمجازفة" بأن ينتقلوا من تحت وابل القنابل إلى مكان آخر على بعد أمتار قليلة...حملت حقيبتى وسلاحى وأدرت ظهرى لمعسكر "صابر" وكأننى أودع بيتى الذى نشأت فيه... لم يلاحظنى أحد... كنت غارقا فى تأملاتى... أو حسراتى الحزينة .

<u>الإثنين25/4/88 ـ 8رمضان1408</u>

فى بيتنا فى ميرانشاة بدأت برنامجى مبكراً يوم الأثنين. الإستحمام، ثم غسيل الملابس، وبعدها تنظيف السلاح ثم ذهبت إلى بيت العرب الجميع نائمون. وهناك ضيوف لم أرغب فى لقائهم.
عدت إلى البيت جمعت أشيائى وسلاحى، وطلبت من صاحبى الأفغانى "صديق" أن يبحث لى فى مكتب حقانى عن سيارة متجهة إلى ليجاه.
نجح "صديق"فوجد لى فى مكتب حقانى سيارة،كنت أنا راكبها الوحيد مع السائق...فى حقيبتى كتاب أردت أن أقضى وقتى فى قراءته... كان بعنوان "القادة الألمان يتكلمون" وهو كتاب فريد فى موضوعه الذى يتناول الآراء العسكريه لكبار قادة ألمانيا النازيه حول أداء الجيش الألمانى فى الحرب العالميةالثانية وأسباب هزيمته فيها.. والمؤلف هو الخبير العسكرى الأشهر"بازل ليدل هارت" الذى أثرى الكتاب بوجهات نظره وتحليلاته العميقة.
فى تلك النزهة الخلوية كان ذلك الكتاب هو متعتى الكبرى... وقد لخصت نقاطه الرئيسية فى "نوته" صغيرة مازلت أحتفظ بها مع الكتاب.
ولاشك أن ذلك الكتاب العميق والممتع قد رفع معنوياتى المتدنية... فرجعت مرة أخرى إلى

مفكرتى مسجلاً فيها مقترحات جديده للخروج من ورطتنا العربيه ولتطوير عملنا... وعمل المجاهدين أيضاً..

في يوم الثلاثاء 26 أبريل88:

كتبت هذه الملاحظات(راودتنى فكرة أن أعرض على الشيخ جلال الدين تجميع الأسلحة الثقيلة المبعثرة لدى مجموعات المجاهدين فى وحدات مدفعية خاصة، وإستخدامها فى عمليات عسكرية مشتركة. أيضاً أن ينزل مدفعى "الشلكا "من فوق جبل جاور وإستخدامها في العمليات الهجومية، حيث أن الطيران سيكون ضعيفاً بعد أنسحاب الروس والموقف يحتاج إلى عمليات هجوميه كبيرة) .

(كذلك فكرت مرة أخرى أن أعرض على أبو عبيده وأبو عبدا تكوين قوة ثابتة من العرب تعمل على ترتيب العمليات الهجومية الكبيرة... مع توضيح تخصصات الأفراد مع تسلسل هرمى للقيادة حتى لا نتعرض لمثل الفوضى التى حدثت في بارى) .

ثم أضفت وراء ذلك مباشرة تلك الملاحظة الغريبة:(يبدو أكثر الأفكار نظرياً ولايساعد الواقع على تنفيذه... لهذا أفكر منذ الأمس فى مقابله مسعود فى بانشير لدراسة تجربتة.

والكتابة عنها كأحدث عمل من نوعه بين المسلمين... ثم التوجه بعدها لدراسة التجربة الثورية الكبرى فى أيران).

لحسن الحظ إن كل الأفكار لم تكن نظرية لأن حقانى قد نفذ معظم ماكنت أفكر فيه، وكنا قد تحدثنا مراراً عن ضرورة تجميع الأسلحة الثقيلة، وقبل فتح خوست كانت قواتة قد وصلت مستوى جيدا من التنظيم.

أما على الجانب العربى فلم يتم تنفيذ شئ مما كنت أفكر فيه... بل سارت الأمور على نفس المنوال وأدت إلى كل الكوارث المتوقعة.

ولم تسمح ظروف الأيام التالية على أن أذهب إلى بانشير... وكذلك لم يكن ممكنا آنذاك الذهاب إلى إيران لأن الأجواء المذهبية والسياسية المسيطرة على بشاور بشقيها الأفغانى والعربى ماكانت لتسمح بالذهاب إلى هناك خاصة بالنسبة لى، فقد كان ذلك إنتحاراً حقيقياً... وليس سياسياً فقط.

ولكننى كنت أصارح أصدقائى المقربين بما أفكرفيه ... فعند عودتى إلى ميرانشاه(يوم الخميس 28 إبريل) جلست مع أبوعبيده الذى أفتقدنى في الأيام الماضية، وكذلك إخواننا فى بارى... وقد عرفوا بعد بحث أننى معتكف فى ليجاه... أخبرت أبوعبيده بوجهة نظرى حول مايحدث فى بارى وأننى تركت العمل هناك... إلى آخر توصياتى حول العمل هناك. ثم أخبرته بالمقترحات الجديدة حول القوة الثابتة للعرب.

عادت إلى أبوعبيده طبيعته المجاملة وروحه الأخوية المرحة، فوافق على جميع مقترحاتى، بل طالبنى بأن أتولى أمر تكوين القوة الثابتة وتأهيلها.

ولكننى كنت مازلت واقعاً تحت صدمة بارى... فإعتذرت له عن ذلك ولكننى رشحت أصدقائنا أبو حفص وأبوجهاد أن يتوليا هذا المشروع .وكان كلاهما مازالا فى الدورة التدريبية فى شاهى كوت تحت إشراف حيدره.

وأخبرت سلطان أننى أنوى السفر إلى بنشير ثم إيران لدراسة تجربة مسعود في حرب العصابات ثم تجربة الثورة الإيرانيه التى حتماً سنجد فيها الكثير من الدروس المفيدة لعملنا

فى المنطقة العربية خاصة مصر.
فأخبرنى أبو عبيده أن الدكتور عبدالمعز أرسل إليه رسالة يقول فيها أنه يرغب فى مقابلتى إما فى ميرانشاه أو بشاور، فسألته عن سبب ذلك فقال أنه شخصياً يخمن أن الدكتور عبدالمعز يرغب في أن أتعاون معه فى إنشاء مكتب أبحاث ودراسات.
ثم أخرج أبوعبيده عدة صخور صغيرة من درج مكتبه، وقال أن هذه الصخور أرسلها له عبدالرحمن من"توره شنى" فقد ذهبوا ليلاً إلى جبل توغار برفقه (أول دين) وصعدوا منه جزءاً ثم رجعوا... وقد أحضر عبدالرحمن هذه الصخور كتذكار.
أخذت الصخور بين يدى أقلبها وأنا فى دهشه كأنها صخور جاءت من سطح القمر...كانت قطعاً سوداء بازلتيه... وأختلطت مشاعرى وأفكارى ولم أدرى ماذا أقول... فغمغت قائلاً: جيد...جيد.
ثم وافقت على تأجيل سفرى إلى الغد حتى أرافق سلطان وأبوأنس إلى بشاور... وفى وقت متأخر ليلا وصل أبوأنيس من "توده شنى" وبرفقته عبدالرحمن وشفيق... وقد حضروا خصيصاً لمعرفه إذا كنت قد تركت المعسكر غاضباً منهم... وأكد عبدالرحمن أنه لم يتوقع أن أترك المعسكر وأنه كان يتجهز للصلاه وفوجئ بسفرى بعد أن غادرت المكان...
شعرت بالخجل أنهم تكلفوا هذه المشقه وحضروا فى هذا الوقت الخطير... فليس من المحبذ التحرك ليلاً عبر الحدود ثم فى مناطق القبائل، نفيت غضبى وقلت أننى أنوى مقابلة أبو أسامه فقد أرسل يطلبنى، وكان ذلك صحيحاً، وأننى سوف أغادر إلى الإمارات وأحضر قبل العيد لبحث موضوع بارى مرة اخرى.
وطلبت من عبدالرحمن ألا يحاول الصعود إلى تورغار مرة أخرى حتى لايشيع الخبر بين الأفغان... فيعلم العدو أن العرب يفكرون فى العمل ضد تورغار فيضاعف إحتياطاته.
وكررت نصيحتى مرة أخرى بسحب العرب إلى المراكز الخلفية عند مغارات "سمير جول" كنت وعبدالرحمن قادرين على قراءة أفكار بعضنا البعض.
كان يعلم أننى غضبان... وأننى تركت المعسكر محتجاً... وكنت أقرأ فى وجهه، أنه غضبان لأننى تركت العمل الذى طالما حلمنا به... وكان أولى بى آلا أتركه وحيداً فى هذا الخضم المتلاطم، مع شباب جدد معظمهم عديم الخبرة...
كنا قد عثرنا على مجموعة نادرة من العرب إمتزجنا بهم كأننا كنا معا منذ بداية الجهاد.من أمثال شفيق وصخرى وأبو أنيس وذبيح ا ، وهناك شباب رائعون يمكن أن نكسبهم معنا من أمثال صابر وحمدى - وهم من تنظيم الجهاد - ثم بعد أن إستجاب ا لنا بأن شد أزرنا بأمثال هؤلاء... تتركهم وتولى مغاضباً... وتتركنى وحيداً بعد أن كنا لانكاد نفترق فى سراء أو ضراء ؟...
كنت أرى هذا وأكثر فى قسمات وجهه المرهقة... والذى كان عابساً على غير العادة، حتى عندما كنا نجتمع فى أقسى الظروف،وأحلك اللحظات التى تنخلع لها القلوب،وتنهد فيهاالجبال!!.
كدت للحظة أن ألغى سفرى وأعود معهم .. كنت أشعر بتأنيب الضمير وأنا أتركهم هكذا فى مثل هذه الظروف... ولكن بقائى سوف يساعد على إستمرار هذه المهزلة وسأكون أنا الساتر الذى يغطى كل تلك التجاوزات ... وأن سفري سوف يجبر أبوعبيده على علاج الوضع الذى هو المتسبب الأول فى إتلافه... كان لابد أن أغادر حتى ينصلح الحال... سوف أعود حتماً بعد العيد... وسوف أشارك معهم فى العملية... مادام هؤلاء مشاركون فيها ، لن أتركهم حتى ولو

كانت معركه خاسرة وقتلنا جميعاً فيها.
بعد صلاة الفجر بقى أبو أنيس، وودعنى شفيق ثم عبدالرحمن الذى ودعنى الوداع الأخير... فلم أره بعد ذلك أبداً.
فى بشاور لم أستطع العثور على الدكتور عبد المعز. تحركت فى نفس اليوم إلى إسلام آباد... وفى نيتى إكمال الرحلة إلى الإمارات والعوده قبل العيد كى أتابع مع عبدالرحمن مشروع "تورغار".
لكن فوجئت بثورة منزلية... من الزوجة والأولاد بهدف أن أبقى معهم حتى أيام العيد...ثم واجهونى بسجل طويل من الإهمال الجسيم الذى أرتكبتة بحقهم بشأن قضاء مثل تلك المناسبات المباركة معهم.
ظلت المعركه بينى وبينهم فى شد وجذب،هم يستخدمون تكتيكات اللوم والتأنيب وأحياناً الدموع وأنا أستخدم تكتيكات الوعود الوردية والتلويح بالهدايا،وأحياناً إلقاء النكات لتخفيف حدة المواجهة.
ظللت صامداً... لولا المستجدات التي أضعفت موقفى حتى خسرت المعركه وأذعنت للمطالب الأسريه، بشرط أن أغادر فى رابع أيام العيد... وقد كان.
 أما المستجدات فكانت وصول أباحفص وأباجهاد من دورتهم التدريبية "السرية" فى شاهى كوت... ثم وصول سلطان من ميرانشاه... ثم أبو معاذ المدير الإدارى لمشروع تورغار... وجميع هؤلاء لهم أسر مستقرة فى العاصمة إسلام آباد... ولم يلبث أن توافد بعض الضيوف العزاب ممن حضروا دورات إنتهت قريباً من أفغانستان، أوعلى الحدود.
فى طريق عودتهم قابل أباحفص وأباجهاد فى ميرانشاه صديقنا عبدالرحمن وإكتشفا من حديثهما معه أنه غضبان جداً من تصرفهما معه ومعى أثناء مرورهما علينا فى بيت ميرانشاه أثناء التحرك إلى شاهى كوت.قالا إنما فوجئا بذلك الغضب الذى لامبرر له من وجهه نظرهما ما حدث هو أمر عادي لايستوجب ذلك.
إكتشفت وقتها أن الشاب عندما ينتمى إلى "تنظيم سرى" فانه يصاب بحالة من الإستعلاء والشعور بالتفوق... ويرى فى ذلك حقاً طبيعاً بما يستتبعه من تعدى على حقوق أو مشاعر الآخرين الذين عليهم قطعاً (!) تقبل ذلك بصدر رحب.
لم يكن من المصلحة توسيع الخلاف أوإستمراره فقبلت وجهه نظرهما على علاتها...
وطلب أبا جهاد رسالة منى إلى عبد الرحمن أخبره فيها أن الموضوع قد تمت تسويته... فقد ربط عبدالرحمن موقفه بموقفى... فكتبت له رساله بذلك... قال أباجهاد أنه سيأخذها معه إلى ميرانشاه.
لقد إنتهت المشكله ظاهرياً... ولكنا حقيقتها ظلت قائمه بيننا... بل فى صلب العمل الجهادى نفسه... فبعض التنظيمات أو بعض التيارات داخل بعض التنظيمات تتقمص شخصيه شعب ا المختار... فترى من خارجها مجرد " أغيار" من "الأميين".
ومازلت بعد سنوات من تلك الأحداث ألاحظ أنه حتى فى جبهه القتال لايشفع الخندق الواحد فى خلق وحده شعوريه بين الفئتين.
فأصحاب "التنظيم" يرون أنهم الأفضل من كل "الأغيار" الذين معهم فى نفس الخندق... وأحياناً. بل غالباً... مايكونون مخطئين فى ذلك.
ويرون أن (الجهالة) داخل التنظيم خير من العلم أو المقدرة إذا كانت خارجه... أوكما قالها

(إخوانى) عركته السنون: "تخرب بيدى... ولاتعمر بيدك". أى نرضى بالخراب إذا جاء على يد التنظيم، ولا نرضى بالصلاح والعمران إذا جاء من خارج التنظيم ...وهي حكمة صحيحة تماماً حسب ما رأيت وعايشت فى كل تلك السنون... ومن كل التنظيمات التى شاهدت... إخواناً كانوا... أم جهاديين... أم أحزاب جهاديه من الأفغان...أم "حركة طالبان" ..إلخ.
المهم أن المشكلة بيننا وبين إخواننا التنظيميين قد تم حلها... وإحتفالاً بهذه المناسبة السعيدة طلبوا معدات أخرى من التى لدينا... أو أهم قطعه لدينا وهو جهاز التحكم من بعد... وذلك (لإجراء بعض التجارب عليها). حسب قول أبوجهاد... وحتى لا أفسد المصالحه وافقت على ذلك الشرط التصالحى وكتبت بذلك إلى عبدالرحمن... وقد وعد أبوجهاد بإعادة الجهاز فور الإنتهاء منه. ويبدو أنهم حتى هذه اللحظة لم ينتهوا من العمل بالجهاز... ولا بكل الأشياء الأخرى التى إستعاروها من معداتنا الفنية حتى الخرائط الخاصة بمنطقة خوست لم يعد منها شئ... أنها الضريبة المقدسة التى ينبغي أن يدفعها الأميون لشعب ا المختار.
وإن كان من إيجابية فى كل ذلك فكانت أنهما أتاحا لى الفرصة من حيث لا أدرى كى أكتب آخر رسالة أوجهها إلى عبد الرحمن، وكانت فرصة لترطب الأجواء معه بعد مغادرتى للجبهة. وقد وعدته بالحضور بعد رحلة سريعة إلى الإمارات.
وأوصيته بالإهتمام بالمطار"مطار خوست" وكتبت له فىآخر الرسالة بيت الشعر المفضل لديه والذى كان يتغنى به عند قصف المطار... وكان يقول :(يحن إلى أرض المطار فؤادى) وقد وجدت ذلك الخطاب وسط أوراق عبدالرحمن فى ورشتنا فى ميرانشاه ومازلت أحتفظ به.
سافرت إلى أبوظبى رابع أيام العيد، وهناك قضيت عشرة أيام ممتعة مع الأصدقاء والزملاء القدامى... وإشتريت كمية من الكتب الجديدة كما أفعل فى كل زيارة.

<u>فى مساء الاثنين 30 مايو1988:</u>

أقلعت بى الطائرة من دبى كى تلامس عجلاتها مدرج مطار إسلام آباد فى الثالثة من صباح **الثلاثاء (31 مايو)** وكانت مفاجأة سارة لى أن أجد الأهل فى إنتظارى فى المطار... ولم أتوقع منهم تجشم تلك المشقه... وزاد من بهجه اللقاء ذلك الفجر الربيعى الرائع.
ومن المطار إلى البيت قطعنا الرحلة إلى البيت فى سيارتنا الميكروباص التى نعتبرها بيتنا الثانى، فى سؤال عن الأحوال وأخبار الأهل والأصدقاء... وأنوع الهدايا... كأن عيدنا لم ينته بعد.
لكن... هل يعقل أن تكون الدنيا خادعة إلى هذا الحد ؟... هل يعقل أنها فى نفس الوقت الذي تقدم لى تلك اللحظات الرائعه من اللقاء العائلى الحميم فى أجواء الفجر الباسم الملئ بعبير أيام العيد المبهجه مع فرحة العودة ولقاء الأهل التى تغمر كيانى سرورا...
هى نفس اللحظات التى أتلقى فيها أكبر مصيبة شخصية لم أرى لها مثيلاً منذ خلقنى ا ... حتى اليوم ..
نعم... هى كذلك بكل أسف... قمه الفرح هى نفسها قمة الكارثة...
فى نفس اللحظة التى لامست فيها عجلات الطائرة التى قدمت فيها، أرض مطار إسلام آباد ... كانت قدم صديقى عبدالرحمن قد لامست لغماً مضادا للأفراد قريباً من قمه "تورغار" فدوى إنفجار هائل رفعه فى الهواء وأطاح به بعيداً أكثر من عشرة أمتار.
كانت إصابته جسيمة...فقد طارت رجله اليمنى .. وتعلقت اليسرى بقطعه من الجلد وفقد عينه اليمنى... وتهشم عموده الفقرى... وظل ينزف لساعتين من الزمن... ثم ... فاضت روحه

إلى بارئها...
فماذا كان يحدث فى بارى خلال تلك الساعات التى كنت فيها معلقاً بين السماء والأرض فى طائرة أقلعت من دبى فى طريقها إلى إسلام آباد؟.

****

أحبك في ا   يا صخري

كانت بارى قد هدأت جداً خلال رمضان... فقد توقف برنامج صواريخ صقر الذى ترعاه المخابرات الباكستانية. ومعظم المجاهدين قد عادوا إلى قراهم وراء الحدود... وتراجع عبدالرحمن وصابر والآخرون ،أى ماتبقى من الشباب العرب إلى مركز سمير جول ذو المغارات الفسيحة والحصينة. فى مثل هذا الوقت من كل عام تكون بارى خالية وخطيرة... لم تعد القوات الحكومية تهاجم... لكن "المنافقين" من الجواسيس على إستعداد لبث الألغام... أو نصب كمائن سريعة وقاتلة.
وقبل حوالى شهرين كان عبدالرحمن يركب فى سيارة لجماعة منان... وكانوا فى طريقهم من بارى إلى ميرانشاه.. فمرت سيارتهم فوق لغم دبابات،مزق السيارة وقتل أثنين من المجاهدين وأصيب عبدالرحمن بعدة رضوض وظلت أذنيه تصفر بعدها لمدة شهر.
فهدؤ بارى الساحر قد يعنى إقتراب موت سريع ومفاجئ...وهكذا معظم الجبهات فى أفغانستان.
بعد أيام العيد بدأ عبدالرحمن مرة أخرى فى تسيير الدوريات، ووضع (تورغار) تحت المراقبة من جديد.
وفى أثناء المراقبة لاحظ عبدالرحمن أن أحد الضباط كان قريباً من الدبابة ثم هبط مباشرة وقطع مسافة كبيرة نسبياً حتى وصل إلى حافة جرف حاد من الصخور السوداء وعنده ينتهى الطريق القادم من القمة، لكن هناك حافة جبلية مشجرة تأتى من أسفل الوادى إلى أسفل الجرف الأسود. إذن فقد تكرر نفس المشهد مرة أخرى.
وكنا نفكر فى نفس هذا الطريق قبلاً عندما شاهدنا أفرادهم ينزلون من القمة إلى إتجاه الجرف. وقلنا وقتها لو أن تلك الثغرة واصلة إلى حافة الجرف، فلنهاجم ليلاً خلالها، ونصنع سلم أوأكثر من أخشاب البامبو لصعود الجرف.
ولكن هل هناك إحتمال أن تكون هناك ألغام فى الطريق الواصل من الوادى إلى أسفل الجرف كان الإحتمال ضعيفاً لكون الجرف يعتبر حاجزا طبيعيا أمام أى تقدم تجاه القمة فتلغيم هذا الطريق يعتبر تحصيل حاصل.
لقد شاهد عبدالرحمن الحلم يتحقق أمام عينيه، وقرر أن يحسم المسأله فوراً ويجيب عن جميع التساؤلات... كان يعرف أننى سأصل يوم الجمعة.
وكان يريد أن يضعنى ويضع اللجنة العسكرية مع سلطان أمام الأمر الواقع.
هاهو الطريق مفتوح أمام تورغار... فلنهاجم فوراً ونأخذ الجبل فلنقبض بأيدينا على مفتاح خوست.
فقرر بسرعة أن يصعد الجبل... وأن يصل إلى نفس النقطة التى تحرك منها الضابط الشيوعى ... إلى أسفل الدبابة.
ليس لأحد بعدها عذر أو سؤال... سيصعد هو بنفسه هذه المرة كى يثبت أن الطريق سالك...

وفى المرة القادمة سيأتى على رأس طابور المجاهدين... العرب والأفغان.
عبدالرحمن كان يعلم أنه يحتاج الى وقت ليس بالقليل حتى يتم عمليه الحشد اللازمه للهجوم... من أفراد وذخائر... ولو علم الأفغان أنه إكتشف الطرق الآمنه إلى قمه تورغار فسوف يصل الخبر حتماً فى وقت قصير إلى قوات خوست الشيوعية.
لذا قرر عبد الرحمن عدم أخبار الأفغان حتى جماعة منان،أقرب الأصدقاء والحلفاء..
جهز عبدالرحمن داورية من العرب... وقبل اليوم المحدد للحركة نزل إلى ميرانشاه، وودع زوجته وإبنه... ورغم ثقته فى نجاح العملية إلا إنه كان مليء بالحزن... وربما شعر أن أقرب أصدقائه قد تخلى عنه فى وقت كان لا يتوقع منه أنه يفعل ذلك. ورغم أنه يعلم أننى قادم فى القريب العاجل... إلا إنه كان يتحدث كثيراً عن الشهادة ...
ويتوقع أنها قريبة... تكلم فى ذلك مع الأصدقاء الجدد الرائعون صخرى، وشفيق، وأبوأنيس، وذبيح ا ...
ولم نكن نتحدث عادة بتلك اللهجة،... كان أكثر أحاديثنا عن " العمليات" ومتعلقاتها... حتى الحديث عن الشهادة كان يتم بمرح... كأنها أحد مستلزمات"العمليات" ولكنها لم تحضر أبداً...
لذا كان يقول نحن مجموعة من "التنحاء" الذين لايريدون أن يذهبوا.
قال الشباب الذين حوله أن الحزن غلب عليه باقى أيام رمضان وحتى يوم العملية...
تحرك عبدالرحمن على رأس مجموعة بعد عصر يوم الأثنين "30 مايو" وساربهم من "توده شنى" عبر الوديان الضيقه التى تخترقها جداول المياه العذبة الرقراقة... وفى المسالك الملتوية... كمن على مسافة قريبة من حافة " تورغار" الشرقية فى الوادى الذى يفصل ذلك الجبل عن الجبل المقابل والذى كنا نستخدمه لمراقبه "تورغار"، وكنا كالعادة نطلق عليه إسماً مرحاً وهو "جبل اللياقة" لأن الصعود إلى قمته يحتاج إلى لياقة عالية .
 ضوء القمر هام في مثل تلك العمليات ، ولابد من الإستعانه به لأن إستخدام أضواء الكشافات الصغيرة مستحيلة لخطورتها .الليلة هى ليلة السابع عشرمن شهر شوال.. ويتأخر ظهور القمرإلى ما بعد صلاة العشاء، ولكن حتى يرتفع إلى ما فوق جبل اللياقة تكون الساعة قد أقتربت من الحادية عشر ليلا فتغمر ضياءه سفح تورغار الجنوبى والوادي المواجه له ، وهو وادى متسع كثير الأشجار والأعشاب العالية ، وتضاريسه خشنة .. وهو مثالى للكمائن.. وقد زرعت فيه القوات الحكومية عددا لا بأس به من الألغام فى أماكن غير متوقعة .. فسبب ذلك ذعرا لكل من يحاول إستخدامه .
فى ضوء القمر إقترب عبدالرحمن ومجموعته إلى بداية المنحدر الصاعد إلى الجرف الأسود ثم شرعوا فى الصعود ببطء شديد... وبعد مسافة ترك مجموعة لحماية الطريق من خلفه... وصعد بمجموعة صغيرة، تضم صخرى وشاب بحرينى يدعى الخال وأبو أنيس.
إستمروا فى الصعود حتى بلغوا الجرف الأسود... فإستراحوا حتى يلتقطوا أنفاسهم لقد أكتشفوا أن العدو أقرب مما تصوروا فأصواتهم فوق القمة وسعال الجنود فى الخنادق يصل إليهم تحت الجرف كأنهم إلى جانبهم.
لابد من الصعود فوق الجرف... قرر عبدالرحمن وبدأ بنفسه فلا أحد يباريه من حيث القوة واللياقه فى المجموعة التى معه... لم يكن الأمر سهلاً ولكنه نجح فيه... ثم تبعه الخال... وفى الأخير جاء صخرى... لكن رشاشة إنحدر من على كتفه وإصطدم بالصخور بقوة فأصدر

صوتاً عالياً... ظنت المجموعة أن العالم كله قد سمعه... فصاح الحارس من فوق القمة قرب الدبابة، صوته هو الآخر أقرب مما توقعوا: "قف ...قف ... من هناك".
ثم ثلاثون طلقة متتابعة كنست المكان من حولهم، لقد أفرغ الحارس المذعور خزان ذخيرته صوب الصوت المعدنى... وحدثت جلبه عند القمة...
فتكوم عبدالرحمن والشباب بين النتوءات الحجرية وهم منبطحون... وإنتظروا حتى هدأت الضجة.
أدرك الشباب أن هبوطهم من الجرف مستحيل فسوف يسقطون حتماً...
قال لهم عبدالرحمن هامسا"سوف نسير على حافة الجرف ثم نهبط من الجزء العادى من الجبل ... قد يكون هناك ألغام... سأبدأ أنا بالحركة جهة الغرب لكن إبتعدوا جميعاً خلفى بمسافة خمسة أمتار..."
نظر عبدالرحمن خلفه ولما إطمأن أنهم إبتعدوا مسافة كافية نهض وخطا بيمناه خطوته الأولى.. فكانت الأخيرة..إختلطت صرختة المدوية مع الإنفجار الهائل.. وطار فى الهواء ثم سقط بعيداً فى ساحة مستوية مليئة بالأعشاب وبعض الشجيرات...
أصاب الشلل تفكير الشباب الثلاثة... هل ضاع عبدالرحمن؟.
وتوقعوا نيران رشاشات العدو أن تنهمر عليهم من فوق القمة... فازدادوا إلتصاقاً بالأرض وإقتراباً من الأحجار البارزة ...
لكن الغريب أن العدو لم يطلق نيرانه... وبدلا عن ذلك جاءهم صوت عبد الرحمن خافتا وهو ينادى: "صخرى... صخرى... صخرى". نهض صخرى وتحرك فى إتجاه الصوت .. فحذره زميلاه : إحترس ياصخرى.. فالأرض ملغومة. فرد قائلاً: وهل نترك خوينا "أخينا" ونذهب ؟.
تقدم صخرى الأسمر بقوامه الممشوق مثل رمح أفريقى، كى يعبر حواجز الموت إلى صديقه عبدالرحمن. كان القمر قد بدأ يختفى خاف تورغار، ولكن الظلام لم يكن دامساً بل أن الضوء غير المباشر من القمر كان يكفى للمسير الحذر... ولكن مادامت الألغام مدفونه فليس من وسيلة فى مثل هذه الظروف كى يكتشفها أو يتجنبها صخرى وزملاؤه.
وصل صخرى سالماً إلى عبدالرحمن... الذى كان مطروحاً على ظهره وهو يئن من الآلام... حاول صخرى أن يحمله على ظهره فكانت تجربة شاقة عليه وغاية الآلام لصديقه... فوزن عبدالرحمن يناهز ضعف وزن صخرى... ولم يكن أحد يدرى أن عظام الظهر لدى عبدالرحمن قد تحطمت من جراء الأنفجار ثم سقوطه فوق الصخور.
لم يستطيع صخرى أن يعالج الموقف حتى وصل زميلاه وساعداه فى حمل عبدالرحمن على ظهره... وكان الهبوط مأساويا... فصخرى لايقوى على حمله الثقيل. فهو يسقط به فى كل خطوة... وعبدالرحمن يتألم بشدة لأى حركة فى ظهره... وطلب من صخرى ألا يضعه على الأرض لأن ظهره لايحتمل... ولكن صخرى النحيف كان يحمل عبدالرحمن فوق ظهره ويمسك يداه من الأمام ويمشى منحنيا... فيسقط أكثر مما يمشى، حتى تمزقت ملابسه وإبتلت جميعها بدماء عبدالرحمن الذى ينزف بغزارة من كل بدنه.
فى قمة ألمه همس عبدالرحمن فى أذن صخرى القريبة من فمه: "أنا أحبك فى ا يا صخرى" ... ثم همس مرة أخرى:"أللهم أجعل ذلك خالصاً لوجهك الكريم"
ولم يتكلم بعدها أبداً ولكنه ظل حيا والدماء تتدفق من جسده إلى جسد صخرى الذى تحولت

ثيابه إلى أثمال معجونة بالدماء.
مازالت المسافة كبيرة جداً حتى تصل المجموعة المنهكة إلى الواد... فأخذوا صديقهم عبدالرحمن إلى قرب شجرة متشعبة وإطمأنوا إلى أن المكان لايراه العدو... فأنزلوه من فوق ظهر صخرى الذى هده الأعياء...
أما عبدالرحمن فلم يعد يتكلم منذ فترة لكن بعض الأصوات التى تنبعث منه تنبئ أنه مازال حياً ... نظروا إليه وتأملوا إصاباته التى فطرت قلوبهم...
قال لى صخرى بعد ذلك بأشهر طويلة :
(لقد تمنيت له وقتها ألا يعيش ودعوت له أن يموت شهيداً، فلم أكن أتصور أن يعيش بمثل هذه الإصابات المريعة... لقد إختفت ساقه اليمنى كلها .. وتدلت اليسرى على قطعة من الجلد .. وعينه اليمنى فقئت ويسيل من محجرها الدم.وعظام ظهره مفككه... والدماء تنزف بغزارة من الصدر والبطن واليدان... فكيف يكون حاله إذا قدرت له الحياة ؟.
لقد تركته مع إخوانى تحت الشجرة وذهبت كى أطلب نجده لنقله فنزلت حتى مجموعتنا التى تركناها للحماية، وكانوا قد سمعوا إطلاق النار ثم الإنفجار... وكاد القلق يقتلهم وهم لايدرون ماذا حدث ولاكيف يتصرفون...
طلب منهم صخرى الصعود إلى الأعلى لمساعدة أخوانهم... أما هو فسوف يذهب سريعاً إلى المعسكرات فى "توده شنى" لطلب مساعدة من الأفغان لنقل عبدالرحمن.
لكن تقدير صخرى لم يكن سليماً، فقد بدأ الخيط الأبيض من الفجر فى الظهور... وليس هناك وقت لكل ماذكر... فلا أحد يستطيع دخول تلك المنطقة فى ضوء النهار، إلا أفراداً قلائل وبشق الأنفس مع المخاطرة الشديدة.
وبالفعل فقد بدأ النهار يشرق عليه فى الطريق... فخلع ملابسه وأستحم وغسل ملابسه التى غمرتها الدماء... وسار حتى تجمع العرب فى مركز "سمير جول" وأخبرهم بالخبر الصاعق
أما الجماعة العربية فوق الجبل فقد أدركوا أن عبدالرحمن قد فارق الحياة في حدود الخامسة صباحاً... ولم يعد الوقت المتبقى يسمح بكثير من الحركة .. فأخفوا جثته تحت تلك الشجرة الضخمة وتسللوا بسرعة خارج الوادى...
شاع الخبر بسرعة البرق بين كل مجموعات بارى... فقد كان عبدالرحمن الشخصية الأشهر والأكثر شعبيه بين الأفغان فى بارى. أما مجموعة منان فقد نزل عليهم الخبر نزول الصاعقة، وكأن منان نفسه هو الذى قتل، وإستنفروا رجالهم كأنهم ذاهبون إلى المعركة... وثارت ثائرتهم على العرب لأنهم تركوا جثه عبدالرحمن فوق الجبل وعادوا بدونه... كان يجب أن يحضروه حتى ولو كلفهم ذلك ألف قتيل (لقد كان ترك جثه القتلى فى أرض العدو بدون سحبها عاراً شديداً لدى الأفغان، وكثيراً ما كانت المعارك من أجل إستعادة جثث القتلى، أشد عنفاً وتكلفة من معركة إحتلال موقع) .
حشدت جماعة منان رجالها وأسلحتها طول اليوم... وتقدموا صوب تورغار مع هبوط الظلام.. وتقدم معهم العرب، وصعد معهم أفراد المجموعة التى رافقت عبدالرحمن إلى الشجرة التى تركوا جثة زميلهم تحتها... ورجعوا به إلى بارى... وفى وقت مبكر من صباح الأربعاء عبروا بها الحدود إلى ميرانشاه، ثم إلى بيت حقانى...
كانت الصدمه كبيرة لحقانى ورجاله فقد كان عبدالرحمن صديقاً حميماً للجميع، وتوافد رجال حقانى فى سياراتهم من الجبهات ومن القرى القريبة، وشهدت المدينة الصغيرة حشداً ضخماً

لايتوافر إلا لكبار القادة أو زعماء القبائل.
وأخر حقانى عملية الدفن حتى صباح اليوم التالى حتى يتيح الفرصة لزملاء عبدالرحمن الذين هم خارج ميرانشاه أن يحضروا عمليه الدفن...
في صباح الخميس كان الجمع حاشداً ومهيباًفى مقبرة ميرانشاه فى مقابل بيت عبدالرحمن، إمتلأت المقبرة بالمشيعيين وطفحت بهم الطرقات والساحات المجاورة، وألقى حقانى خطاباً طويلاً جامعاً تحدث فيه عن معانى الجهاد، وعن مشاركة العرب فيه وعن عبدالرحمن الذى وهب حياته لذلك الجهاد حتى لاقى ربه شهيداً، وبكى أكثر الحاضرين حزناً على ذلك العربى الغريب الذى مات شهيداً وعاش شجاعاً وسط جبهات القتال وفيما بينهم. وتم دفن عبدالرحمن فى ساحة صغيرة ضمت الشهداء أحمد جول وفتح ا وهما أقرب مساعدي حقانى إستشهدا فى معركة ليجاه عام 1985 ثم الضابط نقيب ا قائد قاعدة جاور والذى إستشهد فى بدايات معركتها عام 1986.
وبعد شهر تقريباً زرت مقبرة عبدالرحمن وكان خلفه مساحة قليلة باقية... ظننت وقتها أن الأقدار قد إحتجزتها لجثتى كى أدفن قريباً منه... كنت وحيداً وقت الزيارة التي كانت عصر أحد أيام شهر يوليو.. تحدثت طويلاً مع عبدالرحمن... وأخبرته بما يحدث وأشكو إليه هذا الحال الذى صرت إليه بعد أن إستراح هو وتركنى وحيداً فى ظروف أشد قسوة من أى وقت مضى... وهل أقسى من أكون بدونه؟... فماذا يمكننى أن أفعله فى أفغانستان؟... ومع من أعمل؟.لم أدرى كم مضى من الوقت، ولكننى لما عجزت عن الوقوف وقد إنفطر صدر من شدة البكاء... عدت أدراجى مع بداية الظلام.

****

<u>من القتـال .. إلى المحاضـرات</u>

اذا كان عبد الرحمن قد نال الشهادة، فإننى أصبحت قتيلاً يتحرك على سطح الأرض.
لقد كنت أتصور أننا سوف نستشهد سوياً. وأننا سنشارك فى فتح خوست، وربما كابل أيضاً قبل أن يحدث ذلك.
ثلاث سنوات متواصلة ونحن نعمل سوياً ، ينضم إلينا أصدقاء ويتركنا آخرون ونبقى نحن معاً فى كل حال. كنت أرى أنه طالما عبدالرحمن موجود فالدنيا بخير، وأن أحلامنا المعقوله أو المجنونة نستطيع تحقيقها بشئ من الصبر، ولدينا منه المزيد.
ولعدة أسابيع كانت تنتابنى حالات من البكاء لا أستطيع السيطرة عليها وكأن دموعى تهطل من سحابه بعيدة لادخل لى بها.
يحدث ذلك على غير إنتظار... قد أكون مع أصدقاء، أو فى الصلاة أو أقود سيارتى فى أحد الشوارع، أو حتى نائماً... فكثيراً ماكنت أراه فى المنام، وهو يضحك سعيداً وأنا أبكى حتى تختنق أنفاسى فأنهض وكأننى على وشك الموت لأجد الدموع قد غسلت وجهى.
كان لابد أن أخرج من تلك الحالة بأى طريقة، فقد كانت أسير إلى هاوية ليس لها أى معنى... فعبدالرحمن قتله لغم فوق تورغار أما أنا فسوف يقتلنى الحزن عليه وأنا على فراشى أو فى

الطريق.
فإذا كان هو شهيد، فأى شئ أكون أنا؟... ملحق شهيد؟...
لم يكن الخروج من تلك الحالة الصعبة بالأمر اليسير، وقد شعر أصدقائى بما أعانيه فمدوا أيديهم نحوى للمساعدة، فلم أرفض.
لقد طلبوا منى مرافقتهم إلى "شاهى كوت" "جنوب غرب جارديز" لحضور دورة تدريبية أشارك فيها كمحاضر.
بدأت رحلتنا فى أوائل شهر يوليو... تحركت من أسلام آباد، وأردت أن آخذ أبنى خالد معى كى أتركه فى جاور مع الشباب العرب هناك فقد كان لديهم دورة تدريبية وافقوا على إلتحاق خالد بها رغم صغر سنه "14 عاماً ونصف العام".
وكان خالد بروحه الإجتماعية المرحة قد إكتسب الكثير من الأصدقاء العرب، بإستثناء عبدالرحمن الذى كان على خلاف دائم معه بسبب طبعة الفوضوى. وقت السفر تأخر عنى خالد بسبب بعض صفقاته التجارية، فغضبت منه وسافرت منفرداً... لكنه أدركني في ميرانشاه، ورفضت مرة أخرى مقابلتة وطلبت من سلطان أن يرسله إلى جاور بدون أن أراه.ولقد ندمت على ذلك طول الطريق إلى شاهى كوت .. وما زلت نادما..
بعثتنا المتوجهة نحو "شاهى كوت" كانت مكونة من سيارتين من نوع "بيك آب" مليئة بالشباب والمهمات إضافه إلى دفعة أخرى سبقتنا صوب الحدود لإستئجار شاحنة كى تحمل المهمات الثقيلة وترافقنا حتى شاهى كوت.
فى الصباح تحرك بنا الركب، وشعرت برغبة شديدة فى رؤيه خالد وإحتضانه مودعاً إياه... كانت الفرصة قد فاتت فقد يكلفنا ذلك تأخير عدة ساعات، ولن يرحب رفاق الرحلة بهذا.
لم أكن مستريحاً أن أتركه وأنا مظهر له كل ذلك القدر من الجفاء.وكان كل زملائه فى المعسكر يعرفون أننى رفضت أن أقابله.
لاشك أننى جاوزت الحد فى عقابه، فقد حاول مؤخراً التقرب منى إلى أقصى حد. فهو الذى طلب الذهاب إلى معسكر للتدريب قبل أن أطلب منه ذلك.وطالبنى قبلها بالمشاركة الفعلية فى القتال وقال بأن جسمه قوى، وقد كان كذلك فعلاً ، فأخبرته بأن التدريب ضرورى قبل ذلك.
فطالبنى أن أرسله إلى معسكر تدريب فذكرت له معسكر جاور فوافق على الفور، وبحماس .. ثم سألنى فجأه عن عبدالرحمن وهل هو فى الجنة؟. فقلت: "نعم" فسأل مرة أخرى: وهل فى الجنه نأكل كل ما نريد؟. قلت له نعم. فضحك بنهم طفولى وقال أنا أحب ذلك، نظرت إليه متعجباً، وقلت فى نفسى: (ماله يتكلم هكذا كأنه على وشك الذهاب إلى الجنة ؟... هل هذا معقول؟). كنا وقتها نجلس متجاورين فى أحد الباصات العامة فى طريقنا إلى البيت فى إسلام آباد.
كانت الرحلة إلى شاهى كوت تجربة جديدة بالنسبة لى... لقد ذهبنا قبلاً سيراً على الأقدام فى عام 1981 والآن أعود إليها مرة أخرى بعد سبع سنوات ولكن فى شاحنه ضخمة، كنت أشعر بشئ من اللامبالاه حتى أننى لم أسجل يوميات الرحلة، سوى يومين فقط منها. شعرت أيضا أننى قد تقدمت فى العمر مئة عام مرة واحدة. كان جسدى مرهقاً وخطواتى بطيئة... إستطعت الوصول إلى الإنتعاش مرات قليلة أعود فيها إلى النشاط والحيوية، ثم أسقط مرة أخرى فى هوة الإرهاق واللامبالاة الحزينة.
وفى الواقع فإنه بعد إستشهاد عبدالرحمن تراجعت قواى الجسمانيه كثيراً... ولم أتمكن من

إستعادتها سوى لفترات قليلة متباعدة.
ونادراً ما إستطعت أن أضحك بعمق، ذلك الضحك القديم الذى كان يترك إنتعاشاً فى الروح وحيوية فى البدن.
لكن التحسن نتيجة الرحلة كان كبيراً، كانت المجموعة قسمان، واحده من اليمين" تابعة للقاعدة" وأخرى من مصر هم خليط من القاعدة وتنظيم الجهاد،ثم طبيب كنت و إياه نكون جناح المستقلين.

****

ومع ذلك فإن مسلسل المصائب لم يتوقف... ولو أنصفنا لإعتبرنا أن ماحدث فوق مياه الخليج هو أحدى مصائب العام، وإذن لأفادنا ذلك كثيراً فى تقييم طبيعة معركتنا القادمه وتفكير أعدائنا الجدد. نعم لقد بدأت أمريكا تكشف للعرب فى أفغانستان تدريجياً عن وجهها الحقيقى القبيح، ولكنهم لم يصدقوا مايرونه إلا بعد فوات الأوان.
فى اليوم الثالث من يوليو، وفوق مياه الخليج وبينما طائرة "ايرباص" تحمل حوالى 290 راكباً منهم65 طفلاً من مدينه بندر عباس الإيرانية فى طريقهم إلى دبى، إطلقت عليهم إحدى القطع الحربية الأمريكية صاروخ أرض جو، فهوت الطائرة محترقه بمن فيها. وطبقاً للوقاحة الأمريكية المعتادة فقد إعتبرت بياناتها الرسمية أن الخطأ هو من قائد الطائرة "!!".
وفى وقت لاحق إستدعى الرئيس الأمريكى "رونالد ريجان" قائد تلك القطعة من الأسطول إلى البيت الأبيض، وقلده وساماً عسكرياً رفيعاً!!.
طبعاً لم يهتم أحد من المجاهدين ، من القيادات أوالأفراد، بدلالات ذلك الحدث.
وتراوحت التعليقات مابين الدهشة وعدم الإهتمام (!!).
وليس ذلك بمستغرب على تيارنا الجهادى الذى تبلور فى السبعينات الميلادية في ظل الحقبة السعودية، فتبنى تيارها الفكرى القائم على السلفية ، وإعتمد تماماً على أموال السعودية والخليج التى يضخها سلفيو تلك البلاد للتشعبات السلفية فى البلاد العربية والعالم، وإستمر الحال كذلك حتى (حرب الخليج الثانية) فإنقطعت الوشائج التمويلية القادمة من السعودية للتيارات الجهادية.ولكن الإرتباط "العقائدى" ظل قائماً .

****

<u>هل يرضي عني أبي؟</u>

 إقترب عيد الأضحى وغادر كثير من الأفغان قاعدة جاور متجهين إلى منازلهم وراء الحدود. أما أفراد الدورة التدريبية للعرب فلم يغادر منهم أحد لأنها سوف تستكمل بعد العيد.
قبل العيد بأيام تذكر خالد أمه وإخوته فى إسلام آباد فبكى وطلب أن يسافر كى يقضى العيد معهم.
فقال له قائد الدورة أن لامانع من سفره ولكن والده قد يغضبه ذلك لأن الدورة لم تنته بعد، ثم أعطاه مهلة للتفكير. وبعد قليل تراجع خالد عن السفر، ولكنه من وقت لآخر كان يسأل بعض مدربيه:"هل سيكون أبي مسروراً لأننى أكملت الدورة؟".. فيؤكدن له ذلك.
 عماد شاب ضخم الجثه، مرح وطيب القلب، كان من أبطال مصر فى المصارعة، وكان يدرب تلك الفنون فى الدورة. أخبرنى فيما بعد أن خالد كان مصارعاً جيداً وبعد ضغط شديد

إتقن العديد من المسكات.وأنه إذا حاول الفرار من درس المصارعة كان يرفعه إلى أعلى ويخبطه على البساط... ولكنه كان قوى البنيه.فتحمل ذلك المزاح الثقيل .
أخبرنى عماد أيضاً أن خالد كان يرعى الغنم فى وقت الفراغ، وكان يأخذها فى رحلات فوق الجبال القريبة، ونتيجة لهذا الإهتمام ضاع منه خروفان.
 رغم مرور عامين على معركة جاور فإن الكثير من آثارها كانت واضحة للعيان، فمغارات مهدمة إنطبقت على الأرض، ومغارات جديدة حلت محلها بينما تكومت أطنان من الحديد وشظايا القنابل، وقذائف طائرات مختلفه الأحجام لم تنفجر بعد.
ومأساه عيد الأضحى فى جاور نشأت من هنا.
فبعض الشباب العرب إستهوتهم فكرة إنتزاع المتفجرات من تلك القنابل وإستخدامها فى التدريب، ذلك رغم رخص سعر المتفجرات المبالغ فيه آنذاك، فقد كان ممكنا الحصول على ثلاثة كيلوجرامات من أفضل أنواع المتفجرات بما يعادل دولار أمريكى واحد.
كان هناك قنبلتين من النوع المضاد للأفراد، ضخمة الحجم مثل برميل صغير، مفتوحة الطرفين ذات سطح به حزوز تقسمه إلى مربعات صغيرة بارزة مثل القنابل اليدوية البريطانية من نوع "ميلز".
رأيت القنبلتين قبلاً وإلتقط لهما بعض الصور،كانت أصغرهما هى صاحبة المأساة.
باطن القنبلة كان من المتفجرات النقيه ولكنها مليئة بالأسلاك التى تعبر كتله المتفجرات بشكل يثير الريبة، كان أفضل مايمكن عمله مع ذلك النوع هو ما كان يفعله الأفغان.. أن يفجروه من بعد. وقد عثرنا على واحدة من هذا النوع من جرديز عام 86 لكننا إستمعنا إلى نصيحة الأفغان وتركناها.
 كان المتدربون قد نجحوا فى إنتزاع بعض المواد المتفجرة من قنابل الطائرات القديمة. ويوم الخميس بدأو العمل فى تلك القنبلة البرميلية المحززة، ونجحوا فى دفع الكتلة المتفجرة من أحد طرفى البرميل، ولكن مسئول الدورة طالبهم بالتوقف عن ذلك العمل نهائياً... وكان ذلك قبل غروب شمس يوم الخميس 21 يوليو.

صباح الجمعة 22 يوليو 88 ـ التاسع من ذى الحجة 1408هـ:
كان يوم راحة فى جاور... معظم الشباب العرب صائمون فى تلك المناسبة.لذا فأكثرهم نائمون فى هذا الصباح الباكر... لكن جماعة المتفجرات رأوا أن يكملوا عمل الأمس في قنبلة الطائرة حتى يستفيدوا من وقتهم.
وبدأت أصوات الطرق على القنبلة تعلوا... مع أصوات الشباب... فأستيقظ البعض وبدأوا يتحلقون حول القنبلة كى يشاهدوا المادة المتفجرة وهى تبرز إلى الخارج تدريجياً... إستيقظ خالد وأخرون،وراحوا يتسلون بمشاهدة ذلك الحدث.
قائد الدورة كان نائماً خارج المغارات فى مكان قريب من مكان العمل، فصاح بهم: (ألم أنهكم عن ذلك العمل بالأمس ؟).
فطمأنوه أنهم على وشك الإنتهاء... وكان ممداً على جانبه متكئاً على مرفقه وهو يتكلم معهم... ولم يلبث أن ضاعت الصورة من ناظريه، ودوى إنفجار رهيب، وتناثرت فى الساحة الممتدة أمام المغارات أثنى عشر جثه ممزقة، على مسافة قريبة من المغارة التى هدمتها الطائرات فى حملة عام 86 وضاع فيها عدد كبير من مجاهدى حقانى.

وهاهم الآن ضحايا جدد... أربعة من الأفغان... وثمانية من العرب، من بينهم ولدى خالد.
" لقد كانت مجزرة "هكذا وصفها صابر الصعيدى زميلنا في بارى، وقد كان حاضراً تلك الدورة، ولكنه كان نائماً فى أحدى المغارات ساعة الإنفجار... قال: لقد خرجنا مسرعين على صوت الإنفجار لنجد الأشلاء تملأ الساحة.. فكنا نجمع القتلى داخل البطاطين وننقلهم إلى السيارات، قائد الدورة أصيب بشظايا فى عينيه تركته بعد ذلك شبه أعمى... أما خالد فقد كان على بعد خطوات قليلة من القنبلة. ولم يشأ صابر أن يخبرنى بالتفصيل عن أصابتة. وأراد أن يهون الأمر فقال: (كانت أحدى قدميه معلقه على جزء من الجلد واللحم، وكان مصاباً فى الوجه، وقد مات قبل أن تتحرك بنا السيارة خارج جاور).
أما الطبيب المصري الذى إستقبل القتلى والمصابين فى مستشفى ميرانشاه، فقد سألته عن إصابه خالد، ولكنه أجاب تلقائياً على عادة الأطباء الذين تعودوا على طمأنه مرضاهم مهما كانت الحالة ميئوس منها... فقال:(لا لا ... كانت بسيطة).
فنظرت إلى عينيه فقد ظننته يمزح، لأن الولد قد مات وإنتهى الأمر، وما كان ذلك ليحدث لولا أن الإصابة قاتلة، فكيف يقول أنها بسيطة؟ لكن وجهه ظل محايداً ولايحمل أى تعبير ثم ودعنى منصرفاً بسيارته.
علمت بالحادث لأول مرة عندما عدنا من شاهى كوت إلى ميرانشاه فى أواخر شهر أغسطس. جلست بعد صلاة المغرب مع أبو عبيده وأحد الأطباء الشباب، ثم تطرق الحديث إلى جاور والذين قتلوا وأصيبوا هناك من العرب، فأزعجنى الحديث وسألت عما حدث ومتى؟.
فتساءل أبو عبيده مندهشاً: ألم تسمع عنه؟... لقد أرسلنا رسالة إلى أبى حفص فى شاهى كوت ألم يخبركم بها؟..
قلت: لم يخبرنا بشئ !! ماذا حدث فى جاور ؟ .
فبدأ يروى القصة حتى وصل إلى أسماء بعض القتلى. ثم سكت .. إنتابنى القلق .. فسألته عن خالد كيف هو ؟... قال لى بهدؤ:(البقيه فى حياتك).
أصابتنى الدهشه، وتساءلت مرة أخرى: هل قتل خالد؟
فأجاب: نعم... يرحمه ا .
لذت بالصمت ثم إستدرت فى إتجاه القبلة، وسجدت شكراً.
وما أن إعتدلت حتى إبتسم اباعبيده وقال: كنت أعلم أنك ستفعل ذلك...
كان الوقت ليلا فذهبت مع مجموعة المتدربين الذين عادوا من شاهى كوت إلى مضافه العرب للمبيت هناك قدموا لى العزاء جميعاً... وكانت رقتهم غير متوقعة خاصه شباب اليمن.
صافحنى أحدهم قائلاً: نحن جميعاً أولادك، فترقرقت الدموع فى عينى ولكن ظلمه المكان سترت منى هذا الضعف.
كان الجميع مرهقون، ناموا فى الغرفات وساحة البيت كيفما إتفق، فسوف نتوجه جميعاً إلى بشاور صباحاً.
لم أستطع النوم فقضيت جزءاً كبيراً من الليل فى الصلاة والبكاء، حتى غلبنى النوم... فنمت حيث أنا.

****

لا تقل لي أنك ولي!!

وصلنا بشاور عند الظهر، وفى مكتب حقانى تعرفت على أبو بصير، وهو شقيق الشهيد أبو دجانه الذى قتل فى نهرين عام 86 ،كان صورة طبق الأصل من أخيه الشهيد حتى فى الطباع والميل إلى الفكاهة.
بعد أن عزانى فى إستشهاد خالد... جلست إلى التليفون كى أتصل مع أسرتى فى إسلام آباد، فوجدت إبنتى الصغيرة، فسألتها عن أمها فقالت أنها خرجت فسألتها: إلى أين؟... فأجابت بأن "شير" قد مات. فسألتها عدة مرات حتى أتأكد... ثم ودعتها وقلت لها أننى قادم إليهم. وضعت سماعة التليفون وأنا أسترجع.
فسألنى أبو بصير عن الخبر... فقلت له إن "شير" هذا هو طفل أفغانى عمره عامان كنا نرعاه فى بيتنا لأن أمه قد ماتت وأبوه غير موجود. وقد كان الطفل مريضاً ثم تحسن... ولكنه الآن مات... ليكون ثانى حالة وفاه عندنا خلال شهر.
قال أبو بصير مبتسماً: إن ا إذا أحب عبداً إبتلاه... فلا تقل لى أنك ولي.
فضحكت قائلاً: لن يصدقنى أحد إذا إدعيت ذلك.

****

أتذكر يوم وقفه عيد الأضحى لعام 1408هـ، ونحن فى شاهى كوت، كان الجميع صائمون، وقد ألغيت جميع الدروس العملية، وكان مفروضاً أن القى محاضرة بعد العصر لمجموعة المصريين، وكانت المحاضرات عبارة عن قراءة ومناقشه فى كتاب "حرب المستضعفين".
المنطقه زراعية من الطراز الأول رغم أنها وسط سلاسل الجبال، لكنها غنيه بالمياه وأشجار الفاكهة.
إستيقظت مبكراً وذهبت وحيداً وسط حديقة واسعة من الأشجار كنت مهموماً مكتئباً، فقد شاهدت أثناء نومي ليلاً عبدالرحمن يجلس مع إبني خالد وكلاهما يضحك وقد غمرهما البشر والسرور، بينما أنا واقف من بعيد أنظر إليهما وأبكى بحرقة، وهما لايشعران بى.
وكنت أثناء ذلك متعجباً وأسأل نفسى، ماذا جمع عبدالرحمن بخالد، مع أن عبدالرحمن كان دائم الشجار مع خالد، وإنتقاده لكونه "لايسمع الكلام". قصصت رؤياى على بعض الزملاء متعجباً لكن لم أطرح عليهم تساؤلاً أوحت به الرؤيا فى نفسى، فهل يعقل أن يصبح خالد شهيداً أيضاً ويلحق بعبد الرحمن ؟.كنت أنا نفسى أستبعد ذلك الإحتمال.

غريزة مشوشة

□ فى رابع أيام عيد الاضحى خرجنا فى تدريب ترفيهى إلى ساحة رماية المسدسات. كنا ثمانيةأفراد،ونتائج رمايتنا ليست مشجعة بسبب قدم المسدسات، ومع ذلك إندمجنا فى المسابقة.
كانت الطائرات تمرق فوقنا بشكل روتينى، وعلمنا أنها تقصف بشده منطقة "أورجون"، وظننا وقتها أن هناك هجوماً وشيكاً على الأورجون خاصة وبعض الناس هنا أخبرونا عن هجوم آخر وشيك علي خوست، عبر طريق زدران مرة أخرى. طبعاً كانت كل المعلومات كاذبة وكانت القوات الحكومية على وشك الإنسحاب من أورجون فى إطار خطة عامة لتقليص

الإنتشار العسكرى للجيش بعد إنسحاب السوفييت.
لعدة أيام كانت طائرات السوخوى تمر من فوقنا عدة مرات فى اليوم.كنت قلقاً بشكل خاص من ساحة التدريب التى أمر أبوحفص بشقها وسط منطقة عشبية قريبة من المقابر. فقد شق التراكتور طريق بطول مئة متر وعرض عشرة أمتار وفى نهايته تقاطع معه طريق أخر بطول عشرين متر وعرض خمسة أمتار.
كانت الطرق المشقوقه ذات لون جديد أصفر فاقع فى وسط أرض مكسوة بالعشب والشجيرات الصغيرة ذات اللون الزيتونى الكالح، حذرت أبو حفص من أن ذلك سوف يجذب إنتباه الطيارين، ولكنه كعادته مستخف بالأخطار... كما أن لقب شهيد جاهز للتعليق أمام أى أسم فى أفغانستان.حانت لحظة الحقيقه ونحن فى مسابقة الرماية،كنا جلوساً علي الأرض بينما ذهب أحدنا صوب شاخص الرماية ليحدد عدد الإصابات.
وما كاد يصل إلى الشاخص ونحن ننظر إليه حتي مرقت فوقنا إحدى الطائرات وإذا بإنفجار هائل يدوى فوق هضبه صغيرة أمامنا،على بعد أمتار من الشاخص،ثم إنفجار رهيب آخر على هضبة خلفيه إلى اليسار... نهضنا نركض... وتوجهت غريزيا إلى مجموعة من التلال خلفنا على بعد خمسين متراً...ولكن قنبلة ضخمة أخرى سقطت فوقها... ثم قنبلة أخرى إلى الخلف. ولفتنا سحابة سوداء كثيفة من الدخان والأتربة... ظللت محافظاً على نفس الإتجاه، رغم القنابل التى تتساقط على التلال التى أقصدها والدخان الذى أخفاها تقريباً.
كان أبو حفص خلفى،ونادانى أن أنحرف يساراً فى منطقة مفتوحة لم تسقط عليها قنابل والرؤية فيها واضحة.
تحولت إلى حيث قال أبوحفص فوجدت أبوجهاد وآخرون قد سبقونا إليها والجميع يركضون بأقصى قوة... وليس من مكان يصلح للإختباء،تقطعت أنفاسى وأنا أفر من الشهادة مع إخوانى. ولكن لم تفتنى ملاحظة أن غريزتى التى كنت معتزاً بها، والتى كنت أعزو إليها بفضل ا ، بقائى حياً حتى ذلك الوقت، قد طالها العطب هى الأخرى... وهى غريزة أن أكون في المكان المناسب فى الوقت المناسب، فأكون بذلك خارج دائرة الموت ولو بسنتميترات قليلة، أردت أن أضحك لكن لم أستطيع لأن أنفاسي قد تقطعت، أريد أن أضحك من ذلك الغباء الذى جعلنى أركض صوب القنابل وهو تنفجر أمامى فوق تلك التلال القريبة.
هل أحزانى أتلفت "مواهبى"؟ ... أم أنها رغبة مكتومة فى التخلص من الحياة بعد ذهاب عبدالرحمن ؟.
إبتعدنا نسبياً عن مكان الخطر وتوقف تساقط قنابل الطائرات، فبدأ الشباب يتضاحكون. إحتجت وقتاً أطول كى ألتقط أنفاسى قبل أن أشاركهم ضحكهم، فالجميع يفعلون ذلك بعد زوال الخطر وعدم حدوث خسائر كنوع من الإعتذار عن علامات الخوف والفرار من القتل أثناء الخطر.
قضينا حوالى ساعة من مكان بعيد ولما لم تعد الطائرات عاد إلينا الإطمئنان ورجعنا إلى ساحة الرماية كى نبحث عما فقدناه من أشياء. صاحبنا الذى كان قريباً من الشاخص وقت سقوط القنبلة كان يبحث عن قلنسوته التى سقطت عن رأسه عندما إنبطح أرضاً ساعة الإنفجار.
وعندما وجدها رفعها ضاحكاً وهو يصيح:(وجدتها..وجدتها).فهل كان سعيداً لأنه وجد قلنسوته حقاً؟ أم لأن الخطر قد إبتعد مؤقتاً على الأقل؟.
لقد كان واهماً.. فالخطر مازال قائماً، ولكن الذى تغير هوالشكل فقط. فقد وجد عقرباً داخل

القلنسوة!!.

****

قضينا ليلة مشوشه. فقد أذاع راديو مدينة جرديز عن وجود مرتزقة وإرهابيين فى"شاهى كوت" وأن الطائرات قصفتهم وقتلت عدداً منهم.

كنا نسكن فى بيت صغير وسط الأشجار تطل عليه هضبة واسعة منبسطة تسيطر تماماً على ما دونها، وكنت أخشي أن ينزل العدو قواته فوق تلك الهضبة بواسطة طائرات الهيلوكبتر، وزاد خوفنا نبأ نقله إلينا أحد الأفغان أنه شاهد ما يشبه الهيلوكبتر فى الطرف الآخر من الهضبة.

قضينا الليلة في حالة إستنفار، ومعظمنا فوق الهضبة بكل الأسلحة المتاحة لدينا.

في الصباح بدأنا الإنتقال إلى مركز آخر إلى الجنوب يدعى "مركز بلال" فى منطقة وعرة جداً وفيرة المياه ملتصقه بنهاية جبال زدران التى تكسوها غابات صنوبريه كثيفه تكثر فيها الغزلان البرية. وكانت الإشتباكات بين قبائل زدران وقبائل "زورمات" و "شاهى كوت" شيئاً معتاداً بسبب النزاع على الأرض وأشجار الغابات وحيواناتها البرية.

وأثناء تواجدنا إصطاد بعض رجال شاهى كوت عدداً من الغزلان من غابات زدران، وردت قبائل زدران بأن إصطادت ثلاثة من رجال زورمات وقتلتهم... وهكذا ...

بعد عدة أيام فى مركز بلال زارنا مولوى منصور بعدما طال إنتظارنا له ...

ولكن الزيارة لم تكن موفقه بشكل كامل.

لقد كان مع مولوى منصور ثلاثة شباب من حرس الثورة فى إيران. وكنا قد رأيناهم فى مناسبة سابقة وهم يدربون رجال منصور على إستخدام الهاون، وقد قابلهم شبابنا بالتجهم المعتاد في حالات كهذه. ومع ذلك كان واضحاً أن حرس الثورة هؤلاء يلاقون ترحيباً وتعاوناً من بين سكان زورمات ومجاهدى مولوى منصور.

كنا عائدين من أحدى المحاضرات وصعدنا الطريق الضيق المائل نحو الغرفة التى نزل فيها مولوى منصور وضيوفه. وإلتقط أحدهم لنا صورة بكاميرا كان يحملها فى يده، خلسه بدون أن ننتبه، لكن صوت الكاميرا كان مسموعاً ومفهوماً.وكانت فرصة لجماعاتنا لإظهار وإثبات سوء النية التاريخية الموروثه بين الشيعة والسنة.

لقد أربك ذلك الحادث ورد الفعل العصبى من جانب إخواننا بقيادة أبو حفص، أربك الشيخ منصور، فعقد جلسة تعارف وتفاهم بين جماعتنا وبين الضيوف الإيرانيين.

الضيف الإيرانى فتح الكاميرا ونزع منها الفيلم وهو مغضب ومنفعل.

دعانا الشيخ منصور جميعاً إلى داخل الغرفة كى نتحدث. فتكلم الضيوف عن إيران وعن الثورة الإسلامية فى إيران، والحرب التى فرضتها العراق على الشعب الإيرانى وثورته، وإعتداءات أمريكا وكيدها لتلك الثورة، وتدخلها المباشر فيها، وتمويل الدول العربية للعراق وصفقات أسلحتها... الخ.

إلتزم إخواننا صمتاً "عقائدياً" كاملاً... فتلكم الشيخ منصور قليلاً... وعلقت على كلامه إنقاذاً للموقف، وإنتهت الجلسة بلا أى فائدة. وكنت أدرك تماماً مشاعر مولوى منصور دون أن يفصح عنها. وكنت أدرك منذ فترة عبر تلميحاته أنه يود فى عقد تفاهم عملى بين المجاهدين العرب ، أو المخلصين منهم ، وبين الجمهورية الإسلامية فى أيران ثم جماعة منصور والأجنحة المعارضه داخل المنظمات، خاصه أولئك المجاهدين فى الجبهات بعيداً عن بشاور

والسطوة الأمريكية السعودية عليها.
كان الشيخ منصور معجباً بآرائى، وكان يظن خطئاً أننى من زعماء العرب فى أفغانستان، وأن لآرائى تلك أنصاراً ومؤيدين بين العرب، وأن أصحابى مثل أبو حفص وأبوجهاد، وآخرين من تنظيم الجهاد الذين تعرف عليهم من خلالى، وبناء على ذلك سمح لى بإقامة معسكرات فى شاهى كوت، لقد توقع أن هؤلاء يتبنون نفس الأفكار.
لقد كان مخطئاً، ولما كان كلامه معى فى ذلك تلميحاً فقد أجبته تلميحاً ولكنه لم يشأ أن يفهم وضعى المذرى بين العرب عامة وبين إخوانى تحديداً.
ومع ذلك كانت تلك الدورة من أمتع الدورات، والمجموعة اليمنية التى درست لهم حروب العصابات كانت من أفضل المجموعات التى رأيتها من حيث الذكاء الفطرى الحاد والقدرة على الإستيعاب.
كانت دورة لاتنسى بالنسبه لى، ولمن بقى حياً ممن حضروها من مصريين ويمنيين، وكانت المحاضرات التى ألقيتها فى حروب العصابات، أو شاركت فيها فى التكتيك خير معين لى فيما كتبته بعد ذلك أو ألقيت من محاضرات. خاصه فى معسكر "جهاد وال" فى خوست.

****

أين ا ؟

لقد تلقى مولوى منصور صدمة أخرى من ضيوفه العرب فى شاهى كوت .
جاءت الصدمة من أحد الشباب المصريين، حضر من السعودية خصيصاً لحضور تلك الدورة وهو ينتمى لتنظيم الجهاد المصرى. ولم يكن ذلك كل ما لديه من مؤهلات، فهو أيضا خبير فى شئون الجان"دخولا وخروجاً ".كما أنه خبير في شئون صحة العقائد، وقياس درجة إنحرافها، مع تحديد نسبة الشرك فى معتقدات أى شخص، وقياس درجة كفره، ونوع الكفر صغيراً كان أم كبيراً.
لقد وقع مولوى منصور ـ أثناء سهرة له معنا ـ فريسة بين براثن ذلك الجهبز .
حاول صاحبنا إنتزاع حكما بتكفير الشيعة من مولوى منصور لكنه رفض وقال بأنه ، كعالم من الأحناف،لا يرى ذلك. فألقى صاحبنا ورقته الأخيرة مستخدماً سلاحه الذى لا يخيب وفى نقلتين مثل نقلات الشطرنج أثبت أن مولوى منصور مشرك. ودار الحوار كالتالى،وبدأ صاحبنا موجها السؤال لمولوى منصور: أين ا ؟
فرد منصور قائلا : ا موجود فى كل مكان .
فعاد صاحبنا متسائلا بتحدى :
إذن ا فى الحمام وبيت الخلاء ؟.
حاول مولوى منصور أن يوضح الأمر ، لكن صاحبنا إعتبر أن المناقشة قد إنتهت بإثبات بطلان عقائد مضيفنا..وقضينا الليلة على أسوأ حال .
وفى الصباح حمل صاحبنا حقيبته ورحل معلنا أن مولوى منصور هو أشعرى العقيدة مشرك وأن البقاء فى هذا المكان غير جائز ، والجهاد فى أفغانستان باطل (!!).
وعاد صاحبنا إلى السعودية حيث العقيدة الصحيحة وحيث حكم آل سعود وجهازهم الدينى التوحيدى الذي إستقبل بالترحاب قوات أمريكا التى إحتلت كامل جزيرة العرب بعد عامين

فقط من واقعتنا تلك (!!). كما بارك الصلح مع إسرائيل .
****
فى الأيام الأخيرة فى شاهى كوت داهمنا حدثان جليلان كان لهما أبلغ الأثر فى قضيه الجهاد فى أفغانستان، الأول هو إغتيال ضياء الحق، والثانى هو إيقاف الحرب العراقية الإيرانية. ولكن بما أننا عزلنا أنفسنا تماماً عما يحدث فى إيران، وأخذنا منه الموقف السعودى الأمريكى سياسياً وشعورياً على الأقل، فإننا سنتجاوز عن الحدث الثانى، ونركز على حادث إغتيال الرئيس الباكستانى، الذى كان آخر الكوارث الكبيرة لهذا العام بالنسبة لقضية أفغانستان، وأكثر الكوارث إثارة وغنى بعناصر التشويق البوليسى.
****

أمـــريكا تفترس أولادها:
إغتيال ضياءالحق

كثيرة هى الكتب والدراسات حول المخابرات المركزية الأمريكية CIA وتاريخها وسياستها ..ولا غنى لأى مواطن فى العالم من التعرف بشكل كاف على تلك الوكاله، طالما أن أمريكا هى التى تحكم عالم اليوم.وأن تلك الوكالة هى الوجه الحقيقى للولايـات المتحـدة.
سنقدم هنا موجز صغيراً عن تلك الوكالة الهدف منه موضعى للغاية، وهو محاولة فهم أكثر واقعيه لجريمة إغتيال الرئيس الباكستانى ضياء الحق.
ولأن قضيه ضياء الحق لم يصل التحقيق فيها إلى تحديد شخصية الجانى، وذلك لسبب بسيط وهو أن الجهات التى أشرفت على التحقيق هى نفسها الجهات التى أشرفت على عملية الإغتيال وقد يستغرب البعض ممن أثرت فيهم آلة الدعاية الشيطانية، أن دولة محترمة وكبيرة مثل الولايات المتحدة يمكن أن تقوم بمثل تلك الجرائم البشعة ، وربما نسى هؤلاء، أن أمريكا نفسها ظهرت إلى الوجود كنتيجة لواحدة من أكبر الجرائم البشعة فى التاريخ ، جريمة إبادة أجناس بشرية وحضارات كانت تسكن القارتين الشمالية والجنوبية فى أمريكا، وفوق ذلك الجبل الهائل من الجماجم والأشلاء أقاموا هناك فرعاً جديداً لحضارة الرجل الأبيض المسيحى.
ثم لأجل زراعة ما إغتصبوه من أراضى شاسعة تفوق قدرتهم على العمل، قاموا بخطف أكثر من عشرين مليون أفريقى من بلادهم فى القارة الأفريقية، وكان معظمهم مسلمون، كى يضيفوا إلى سجلهم "الإنسانى" أكبر عملية إسترقاق فى تاريخ البشرية.
فالوحشية والهمجية والأنانية والإرهاب والجشع والإحتلال هى مجرد مقدمة لقاموس طويل لمواصفات الخلق الأمريكى، أو بمعنى أشمل خلق الحضارة الغربية، حضارة المسيحى الأبيض الذى أذل البشرية وأتلف الكون براً وبحراً وجواً.
 من النشاطات الأمريكية العادية قتل (الآخرين) طالما يشكلون تهديداً ولو محتملاً لمصالحهم فى أى مكان.
ولا فرق أن يكون هذا (الآخر) رئيساً للدولة أو للوزارة، أو مفكراً.. أدبياً أو صحفياً.
من أفضل ماكتب فى ذلك هو شهادة وزير الدفاع الأمريكى السابق روبرت ماكنامارا وقد عمل مع كل من كينيدى وجونسون من الرؤساء الأمريكيين فى الستينات، وبعد أن ترك الخدمة

بثلاثين عاماً أصدر كتاباً فريداً من نوعه يحتوى صرخه ضمير إستيقظ بعد ثبات طويل، وتكلم عن أخطائه ضمن أصحاب القرار الأمريكيين فى إدارة حرب .فيتنام والتى قادت إلى أنهار من الدماء والخراب فى تلك البلاد.يقول مكنامارا:

(حاولنا إقناع نجوين دييم، رئيس فيتنام الجنوبية وحكومته أن يغير موقفه من المعارضة، ومن ثم وجدنا ضرورة إقصائه عن كرسى الرئاسة عن طريق إنقلاب خطط له **CIA** ونفذه جنرال فيتنامى.وفى 2 نوفمبر 1963 قتل "دييم" وأخيه "نهو". وعندما تسلم الرئيس كندى الأنباء حزن لمقتل الرئيس الفيتنامى وأخيه إذ لم يكن يرغب فى أن يلقيا نفس المصير.ولم تمضى سوى عشرون يوماً حتى أغتيل الرئيس كندى فى مساء الجمعة 63/11/22 عندما كان فى سيارة فى طريقه لإلقاء كلمة فى دالاس). **(أهـ)**

أكثر التحليلات تشير إلى أن المخابرات الأمريكية نفسها هى التى قتلت الرئيس كندى.

وكما حدث مع ضياء الحق لم تكشف التحقيقات الهوية الحقيقية للجانى. لأن جهة واحدة هى التى أشرفت على كل من تنفيذ العملية ثم التحقيق فيها.

إختلاف آخر بين حالة "دييم" و"ضياء" وكلاهما عميل للسياسة الأمريكية، ثم أصبح فى وقت ما عقبة يجب إزالتها.

فى حالة"ديم" كان المطلوب إنقلاباً بدون قتل الرئيس، ولكن المنفذين للإنقلاب قتلوا الرئيس وأخيه، وهو ما أحزن كندى.

ولكن فى حالة ضياء الحق كان المطلوب هو قتل الرئيس ضياء بدون إنقلاب عسكرى، لأن الإنقلاب كان سيأتى بجنرال آخر على عرش باكستان، وكانت المصالح الأمريكية تقتضى تسليم ذلك العرش إلى(بى نظير بوتو)، فبرنامج المصالح الأمريكية فى باكستان وأفغانستان يحتاج إلى مؤهلات مثل تلك الشخصية المعقدة.

ننتقل إلى تقرير سبق كتاب ماكنامرا بخمسة عشر عاماً نشرتة مجلة شتيرن الألمانية .

(إنظر جريده الفجر الأماراتيه 1980/8/2م صفحة 9)

وميزه ذلك التقرير أنه يرصد بداية فترة إنتعاش المخابرات الأمريكية عندما فهمت أن السوفييت قد "غزوا" أفغانستان فكانت الفرصة السانحة كى تنفض **CIA** عن نفسها الغبار فأعادت تركيب الأنياب والمخالب التى إنتزعت منها فى أعقاب فضيحة "ووترجيت" والتى ضبطت فيها الوكالة تمارس نشاطها ضد الجنس الأبيض المتفوق داخل الولايات المتحدة نفسها.

والرئيس كارتر "الرجل الأخلاقى !!" فتح الأبواب واسعة أمام وكالة الإستخبارات كى تنطلق إلى آفاق الجريمة الدولية وهو الذى دخل البيت الأبيض رافعاً شعار تطهير حظيرة **CIA** من الروث (!!).

وبسرعة أقر مجلس الشيوخ مشروع جديد للتخفيف عن تلك الوكالة، أهم نقاطه كانت:

ـ أن تخضع **CIA** لمساءله لجنتين فقط من الكونجرس بدلاً من ثمان لجان كما كان الأمر فى السابق .

ـ يحق للوكالة إستخدام المراسلين الصحفيين والمبشرين والمعلمين والفنيين الأمريكيين في الخارج من أجل أعمال تجسسية .

ـ الذين يعتزلون العمل فى الوكالة عليهم حفظ أسرارها، والذي يفشى أسماء عملاء الوكالة فى الخارج أو الداخل عليه أن يضع فى الحسبان عقوبة السجن، كذلك الصحفيين الذين ينشرون

أسماء سياسيين تمت رشوتهم من قبل الوكالة فإنهم سوف يتعرضون للملاحقة القانونية.
قال التقرير أيضاً أن رئيس المخابرات المركزية الأمريكية وليام كولبى قد أعترف فيما بعد بأن CIA قد دبرت فى الستينات ـ ومن خلال قسم الأعمال القذره فى الوكالة نفسها ـ قتل وإغتيال العديد من زعماء ورؤساء دول العالم.
وقال التقرير أيضاً أنه قد تم التحقيق فيما مضى فى بعض الأعمال الإجرامية التى كانت تقوم بها الوكالة ضد الأمريكيين الذين رفعوا أصواتهم ضد الحرب فى فيتنام أو من أجل حقوق الإنسان فى الولايات المتحدة.
جاء فى التقرير أيضاً (كانت قائمة إغتيالات رجالات وزعامات العالم والتى وضعتها وكالة الإستخبارات تعطى صورة واضحة عن الزعماء فى دول العالم الثالث الذين ترغبهم الوكالة والذين لاترغبهم. كما حاولت الوكالة إزاحة بعض السياسيين الذين سبق لها وأجلستهم على العرش ولذلك عندما هددوا المصالح الأمريكية).
كتب ذلك التقرير فى وقت كانت الوكالة المذكورة تخرج من مرحلة مرض ونقاهة، ولم تكن ميزانيتها تتعدى 5 . 1 مليار دولار فقط، مع خمسة عشر ألف عميل فى أنحاء العالم المختلفة.
أما وقت إغتيال ضياء عام 1988، ثم إغتيال الدكتور عزام عام 1989. ثم مطاردة العرب فى بشاور و"صحارى العالم"، حسب قول جورج بوش عام 1993 فالوضع مختلف والقوة مضاعفة، ولكنهم كرروا ما قاله أسلافهم عام 1945 عند هزيمة المانيا النازيه عندما قال هؤلاء الجواسيس(أن الحرب لم تنته، ولكن العدو هو الذى تغير) ثم إندفعوا للعمل ضد السوفييت، أوعلى الأصح محاربة الدول الفقيرة تحت ستار مكافحة الشيوعية والنفوذ السوفيتى ولما نفقت الشيوعية فى أفغانستان، وإنهار الاتحاد السوفيتى على أيدى الافغان، إحتفل الأمريكان وحدهم بالنصر وقالو أن هذه المرة (لقد قضينا فى القرن العشرين على أثنين من أهم أعداءنا وهم النازية ثم الشيوعية، والعدو الباقى هو الإسلام).
إذن، وكما فى كل مرة الحرب مستمرة لكن العدو هو الذى تغير.
****

نعود إلى حادث إغتيال ضياء الحق ونعتمد فيه على المعلومات التى ذكرها العميد يوسف فى كتابه "فخ الدب" فى الفصل التمهيدى الذى بدأ به الكتاب وهو من أمتع فصول ذلك الكتاب المثير.أما الفقرات التى سوف توضع بين قوسين كبيرين فهى منقوله حرفياً من نفس المصدر، إسم هذا الفصل: "**الحطام، والمجرمون، وتغطية الجريمة**".يقول الكتاب:
(عندما إرتطمت طائرة النقل التابعة للجيش الباكستانى من طراز C-130 التى كانت مطلية بألوان التمويه العسكرى، كانت مائلة بزاوية 65 درجة كانت في وضع إنقضاضى إلى الأسفل، وكانت قلابات الأجنحة إلى أعلى والجناحان مستويان، وكانت أجهزة الهبوط مرتفعة ومغلقة، وكانت المحركات الأربعة تعمل بطريقة عادية، ووقع الإرتطام بسرعة 190 عقدة .
وبعد لحظة قصيرة إنفجرت خزانات الوقود محدثه كرة عظيمة من اللهب برتقالى اللون والذى إلتهم الطائرة، تبين فيما بعد أن كلتا الساعتين فى غرفة القيادة تشير إلى الساعة الثالثة وإحدى وخمسين دقيقة بالضبط، بعد ظهر يوم صاف مشمس، على بعد بضع أميال شمال المدينة العسكرية الصغيرة "بهاول بور" وقبلها بخمسة دقائق بالضبط كانت قد أقلعت لبدأ الرحلة إلى إسلام آباد التى تستغرق 70 دقيقه، وبعد دقيقتين من الرعب قتل جميع الركاب فى لحظة

واحده ...) .
(وهكذا قتل الرئيس الباكستانى ضياء الحق ومعه الرجل الذى كان يمكن أن يخلفه . . . الفريق أختر عبدالرحمن خان رئيس هيئة رؤساء الأركان المشتركة، وبذلك ذهب أقوى رجلين فى باكستان، رئيس الدولة والرجل الذى ترأس هيئة الإستخبارات لمدة ثمان سنوات حتى سنه 1986، بضربة واحدة، وفقد قادة المجاهدين الأفغان الرجلين اللذين كانا أكثر"مؤيديهم نفوذاً"وقتل أيضاً السفير الأمريكى أرنولد روفائيل الذى عرف الرئيس لمدة إثنى عشر سنة، وكذلك قتل العميد"هيررت واسدوم" الملحق العسكرى الأمريكى فى إسلام آباد، وقتل كذلك 8 لواءات باكستانيين مع معاونيهم، وطاقم الطائرة أى 31 شخصاً فى المجموع) .
يقول الكاتب أنه لا الرئيس ضياء ولا الجنرال أختر، كان مفروضاً أن يكونا على نفس الطائرة. فالمناسبة كانت حضورعرض للدبابات الأمريكية (M -1 إبرامز) والتى كانت أمريكا حريصة على ـ بيعها لباكستان فى إطار صفقه بمليار دولار.
ومثل تلك المناسبات لايحضرها هؤلاء وكان يكفى نائب رئيس أركان الجيش"ميرزا أسلم بيك" ولكن بعد إلحاح شديد على الرئيس من جانب اللواء "محمود دورانى" الذى كان وزير دفاع سابق وملحق عسكرى فى واشنطن وأخيراً قائد للواء المدرع. والمعنى مباشرة بموضوع تجربة الدبابة الجديدة، وافق ضياء الحق على الذهاب وإن لم يكن مقتنعاً بالذهاب .وأيضاً الجنرال أختر فقد كان لديه موضوع للنقاش مع الرئيس فدعاه لمناقشة الموضوع أثناء الرحلة الجوية.
(أما عن إستعراض الدبابات فكان محرجاً جداً للأمريكيين خصوصاً أمام كل هؤلاء الضباط الكبار من الجيش الباكستانى، فقد عجزت الدبابات إبرامز الأمريكية أن تصيب أهدافها برغم الدعاية الكثيفة التى تمتعت بها . . . وهكذا تبخرت صفقة المليار دولار فى حرارة الشمس)..
(وصل ضياء الحق ومرافقيه حوالى الساعة الثالثة والنصف، وصلى بإتجاه مكة قبل أن يسلم على مودعيه، وكان أقنع الأمريكيين بإصطحابه فى رحلة الرجوع ووافقا على ذلك بدون إبداء تحفظات، وإعتذر اللواء أسلم بيك عندما حاول ضياء الحق إقناعه بالركوب معه بأن عليه أن يستقل طائرته الخاصة حيث كان لديه بعض الأعمال فى لاهور، وكان معروفاً عن ضياء الحق أنه كان يصطحب معه أكبر عدد ممكن من كبار الضباط فى الرحلات الجوية لتقليل إحتمال عمل تخريبى، وقبل الإقلاع بوقت قليل وصل صندوقان من المانجو للركاب وتم تحميلها بدون تفتيش مع صندوق يحتوى على نماذج مصغرة للدبابات).
ويستعرض الكاتب قائمة طويلة بأعداء ضياء الحق فى الداخل والخارج، فيبدأ بعائلة ذو الفقار على بوتو الذى أعدمه شنقاً فى سجن روالبندى فى 79/4/4.
ثم سجن إبنته "بى نظير" وأمها "نصرت" ومنع حزبهما السياسى، وعاش أبناء بوتو فى المنفى وقد صدرت عليهم أحكام غيابية خطيرة. وشكل مرتضى جماعة إرهابية سماها ذوالفقار وإتخذ مركزاً لها فى كابل فى نفس مقر منظمة التحرير الفلسطينية هناك، ومن كابل ودمشق نظمت هذه الجماعة حملة قتل وتخريب شملت إختطاف طائرة تابعة للخطوط الباكستانية عام 1981
أما شاه نواز الإبن الثاني فقد مات مسموماً فى باريس وسط إشاعات أتهمت ضياء الحق بقتله وحتى داخل الجيش كان أصدقاء الرئيس قليلون، وكان يتخلص ممن يشك أنهم قد ينافسوه مستقبلاً فكان إما يخرجهم من الجيش أو يضعهم فى أماكن بعيدة عن العاصمة، وكان يراقب

ترقيات الضباط إلى رتبة لواء فما فوق.
أما الأعداء الخارجيون فبدأ بالسوفييت ودور ضياء الحق فى دعم المجاهدين، وتشجيع هجماتهم على القوات السوفيتية المنسحبة وكان نصف الإنسحاب قد تم وقت وقوع الحادث.
وقد إشتاط السوفييت غضباً وأرسلوا تحذيراً لضياء الحق عبر السفير السوفيتى فى موسكو بأنهم ، أى السوفييت ، ينوون أن يلقنوا ضياء الحق درساً.
ثم الهند التى حاربت باكستان أربع مرات وتتهمها بإيواء وتدريب وتمويل الإنفصاليين السيخ: وكونت جهاز إستخبارات خاص لمكافحة النشاط الباكستانى أسمته "راو".
(حتى الحكومة الأمريكية لم تبك على موت ضياء الحق، فقد كان فى تقرير وزراء الخارجية أن ضياء الحق قد تعدى العمر المفيد بالنسبة لهم، ومع رحيل السوفييت من أفغانستان كان آخر شئ تريده أمريكا أن يحل حكم إسلامى أصولى محل الحكم الشيوعى فى كابل، وكان السياسيون الأمريكيون مقتنعون إن هذا هو هدف ضياء الحق . وطبقا لتقديرهم فهو كان يحلم بقوة أسلامية تمتد من إيران وتشمل أفغانستان وباكستان، وفيما بعد تشمل أيضاً أقاليم الأوزبك والتركمان والطاجيك فى الإتحاد السوفيتى.
ومن وجهه النظر الأمريكية فإن هذه الرقعة الشاسعة الملونة بلون أخضر على الخريطة سوف تكون أسوأ من أفغانستان الملونة بلون أحمر).
تكونت لجنه فنيه من سلاح الطيران برئاسه العميد طيار عباس ميرزا مع ثلاثة من كبار ضباط سلاح الجو الباكستانى، وإستدعيت لجنة فنية أمريكية على عجل من أوربا تضم سته من الضباط.
(وكان رأى اللجنه أن طاقم الطائرة قد تم شل قدرته فورياً وفى نفس الوقت بإستعمال مادة كيماوية مثل غاز الأعصاب سريع المفعول.
كان من المفروض أن يكون التشريح هو الفيصل فى تلك المسألة لولا تدخل القوى الخفية، وكان التشريح قد بدأ فعلاً فى مستشفى بهاول بور العسكرية بجثة العميد الأمريكى "واسدوم" وهو لم يكن فى كابينة القيادة "حيث كان إطلاق الغاز". ولا فى كابينه كبار الزوار التالية لها. لذا لم يسفر تشريح جثته عن شئ، وبسرعه وصلت أوامر بوقف عملية التشريح لباقى الجثث) وقال الكاتب أن ذلك القرار كان صدمة لأن التشريح فى تلك الحالات يعتبر أمراً عادياً.
والحجج التى سبقت لتبرير ذلك كانت واهية تماماً، وهناك قرائن على أن جثث الطاقم وكبار الركاب كانت فى حالة تسمح بالشريح، ولكنهم لم يسمحوا لعائلة أختر عبدالرحمن برؤية جثته بدعوى أنها محطمة تماماً، ولم يتبقى منها شئ.
(وقد أعلن مسئول أمريكى أن الجثث لم تكن متاحة للتشريح لأن العادات الإسلامية تقتضى الدفن، خلال 24 ساعة، ومع أن ذلك صحيح فى الظروف العادية، فإنه لايحدث أبداً فى القوات المسلحة، كما يدل على ذلك إستعداد الأطباء وموظفى المستشفى العسكرى فى "بهاول بور" لإجراء التشريح).
وقد أورد الكاتب ملاحظة غريبة، وهى أن التحقيقات كانت فنية ومركزة على الطائرة نفسها والأسباب التى أدت لسقوطها.
(ولكن لم يكن لدى اللجنة أعضاء لإجراء تحقيقات جنائية)!!.
أى لم يكن هناك إهتمام بالبحث عن الجناة بقدرالإهتمام بتبرئة الصناعة الأمريكية من تهمة

الإهمال، للحفاظ على سمعتها التسويقية.
ومن المفارقات فى مجال التحقيق الجنائى ، الذى لم يكن موجوداً سوى بشكل رمزى جداً رغم فداحة الحادثه وأهمية المفقودين فيها،يقول الكاتب:
(ولكنهم سجلوا أنه بالرغم من أنه قد سلمت 31 شهادة وفاة إلا أنه لم يحدث إحصاء فعلى لعدد الجثث فى موقع الحادث أو فى المستشفى، ولذلك فإن إحتمال أن يكون أحد الركاب لم يركب الطائرة أصلاً فى "بهاول بور" هو أمر لايمكن إستبعاده بشكل كامل).
(إن هذا العمل غير مقبول فى أقل الحوادث شأناً . . لقد أصدروا شهادات وفاة لجميع الركاب من واقع قوائم المسافرين فى المطار لامن واقع عدد الجثث الموجوده فعلاً فى موقع الحادث والتى لايعرف أحد إلى اليوم كم كان عددها الحقيقى !!.)..
وعن الغاز المستخدم يقول الكاتب:
(ومن المؤكد أن إستعمال حادث طائرة كوسيلة للقتل تم إختياره لأن إحتمال الحصول على أدلة تدين القتله ضئيل جداً، حتى وإن توصلت السلطات إلى أنه عمل تخريبى، وإستعمال غاز أعصاب متطور جداً وقادر على قتل أربعة من طاقم الطائرة فى وقت واحد يدل على تورط هيئة إستخبارات واحدة على الأقل، والمشكلة تكون فى مصدر الغاز فهو ليس متوفراً فى باكستان فى أغلب الظن.
ولكن KGB،CIA قطعاً تستطيعان الحصول عليه.وكلاً من الخاد وجناح الإستخبارات الهندية الخاص بباكستان كان يمكنهما الحصول عليه عبر إتصالهم بالسوفييت، وإن كان المتآمرون فى القوات المسلحة الباكستانية فمن المعقول أن تكون CIA قد زودتهم بالغاز).
ثم يورد الكاتب شكوكاً قوياً فى توريط عسكريين فى الجيش الباكستانى فى مؤامرة إغتيال الرئيس حيث يقول:
(وأيضاً فإن إحتمال تورط القوات المسلحة الباكستانية عال جداً، وبالتأكيد على مستوى صغار الضباط، وربما على مستوى كبار الضباط أيضاً.
فلم تكن KGB ولا الخاد ولا الإستخبارات الهندية تستطيع أن تمنع تشريح الجثث فى المستشفى العسكرى، وكان الحصول على مواعيد طيران الرئيس يعتبر أمراً سهلاً بالنسبه لشخص عسكرى، كما هو الحال بالنسبة لتفادى الإجراءات الأمنية فى المطار، ولإدخال الفعلى للغاز إلى الطائرة..).
(...ومن المعقول جداً أن أحدا أقنع اللواء دورانى قائد فرقة المدفعية أن حضور ضياء الحق سيزيد من أهمية الحدث، كما أنه من مصلحة دورانى، ومن الجائز أن نجاحه فى إقناع ضياء الحق بالذهاب تم بحسن نية).
ويشير العميد يوسف إلى أن الخطة نجحت بلا أخطاء لولا أن السفير الأمريكى والملحق العسكرى الأمريكى قد قتلا فى الحادث، فلم يكن من المتوقع أن يدعوهما ضياء الحق إلى مصاحبته قبل الرحلة بدقائق ... (ولاشك أن المتآمرين قد روعهم قتل الأمريكيين ولابد أنهم توقعوا تحقيقاً شاملاً ودقيقاً مما سيكشف هوياتهم ولكن ذلك لم يحدث فكان الطور الأخير من هذا العمل الإرهابى الخالى من الرحمة هو التغطية الأمريكية).
وهنا أخالف العميد يوسف لأن ضياء الحق كان يتحرك وسط دروع بشرية من جنرالات جيشه، وأيضاً من أعضاء السفارة الأمريكية وخاصة السفير. . . ثم أنه أحضر السفير الأمريكى

والملحق العسكرى معه فى الطائرة، وكان منطقياً أن يعود بهم فى نفس الطائرة، فلم يكن معهما طائرة خاصة، ولم يكن من اللياقة، أو من الإحساس الأمنى السليم، أن يحضرهما معه ثم يتركهما فى مطار "بهاول بور" وهو مطار شبه عسكرى.
أذن فالأمريكان قرروا التضحية برجالهم فى سبيل الفوز برأس ضياء الحق الذى أمعن فى تشديد الحراسات حول نفسه وفى إتخاذ تدابير أمنية غير عادية... والعميد يقول فى هذا الفصل عن ذلك الأمر (ولابد أن المتآمرين كانوا قد بدأوا يشعرون باليأس مع مضى الأسبوع تلو الأسبوع دون أن يبدى ضياء الحق أى رغبة فى إستعمال طائرته، ولم يكن من المحتمل أن يثير عرض الدبابات إهتمامه بدون جهد كبير لإقناعه.
وأغلب الظن أن مناسبة عرض الدبابات إستعملت كملجأ أخير، وكانت المشكلة هى أن يتم إقناعه بدون إثارة بشكوكه).
فمن الواضح أن الأمريكان إغتنموا فرصة قد لاتتكرر، وليكن الثمن ما يكون، حتى لو كانت حياة سفير وملحق عسكرى.
وقد ألقى عليهم ذلك عبئاً مضاعفاً فى التستر على الجريمة وإضاعة إى أثر وإلغاء أى إجراء قد يؤدى إلى كشف أى خيط يقود إلى المجرم الحقيقي. . . أى يقود إليهم .
ليس خوفاً من الشعب الباكستانى ـ حاشا ـ ولكن خوفاً من الرأى العام الأمريكى وصندوق الإنتخابات.
فالشعب الأمريكى لن يتهاون بشأن تضحيه "جسيمه" بهذا الشكل بأن يقتل سفير وملحق عسكرى ... وعلى أيدى من ؟... على أيدى الإستخبارات الأمريكية نفسها، لقد كان منطقياً عندئذ أن تفرض مزيد من القيود على أيدى CIA، وأن يخسر الحزب الحاكم الفرصة الإنتخابية، فى المجالس النيابية أو الإنتخابات الرئاسية التى كانت على الأبواب والتى حملت إلى العالم وإلى المسلمين وبلاد الخليج العربية خاصة،ذلك الزعيم الكبير والصديق العظيم للشعب الكويتى والشعوب العربية، " جورج بوش" بطل تحرير الكويت، وبطل تدمير العراق، وبطل إحتلال جزيرة العرب، وشفط النفط العربى مجاناً !!.
كانت التغطيه على تلك الجريمة مسألة على قدر عال من الحساسية وكان يلزم أن يكون على رأس السلطة فى باكستان أصدقاء لأمريكا يمكنها الإعتماد عليهم.
الرئيس المؤقت غلام اسحق خان وكان رئيساً لمجلس الشيوخ كان صديقاً تاريخياً للولايات المتحدة، وبعد الإنتخابات العامة فازت" بى نظير بوتو" وهى ليست فقط صديقة لأمريكا والغرب ومن ألد أعداء الإسلام فى شبه القارة الهندية، بل أيضاً من أول المستفيدين والراغبين فى قتل ضياء الحق. يقول العميد يوسف :
(وبذلك إتضح أن إنتخابات نوفمبر سوف تعقد فى موعدها.ومن شبه المؤكد أنه لن يكشف النقاب عن السلطة العسكرية التى منعت التشريحات كما أن تفاصيل التواطؤ الذى لابد أن يكون قد تم بين السلطات الباكستانية والسفارة الأمريكية فى إسلام آباد لن تعرف، ومضت عدة أشهر قبل أن يجبر الضغط من مجلس النواب الأمريكى وزارة الخارجية على السماح لثلاث محققين من مكتب التحقيقات الفيدرالى بالذهاب إلى باكستان.
وكما قال عضو مجلس الشيوخ باسيل ماكولام:(فى هذا الوقت المتأخر هل يستطيع مكتب التحقيقات التوصل إلى ماحدث فى باكستان؟ لاأدرى ولكن نحن ننوى أن نكشف ماحدث فى

وزارة الخارجية.
وبدا إن فريق المحققين كان ينقصه الحماس للقيام بمهمته، فقد عرف أنهم لم يسألوا أحداً أسئله محرجة، وأنهم أبدوا عدم ميلهم للتحقيق فى أدلة تناقض القول بأن الجثث كانت محترقه بدرجة تمنع التشريح.
وبما أن جدول أعمالهم كان معداً من قبل حكومة بى نظير بوتو. فقد كانوا مهتمين بالسياحة أكثر من مساءلة الشهود، وطبقاً لمصدر من جريدة واشنطن بوست فإنهم لم يتركوا إسلام آباد إلا فى رحلات سياحية.وكان سلوكهم يظهر جلياً أنهم كانوا يتبعون تعليمات بعدم التنقيب فى الموضوع).

****

تشابكات تاريخية

تتشابك أحداث التاريخ مثل حلقات يرتبط بعضها ببعض، ماحدث العام الحالى ، قد نبتت /فى معظمه/ داخل أحشاء عام مضى، وأحداث قادمة تبدأ فى التشكيل تحت أعيننا فى عامنا الحالى. ويتفاوت الناس فى مقدرتهم على إستقراء المستقبل، بناء على فهم سلسلة الماضى والحاضر مع البذور الدقيقة التى يتشكل منها المستقبل تحت أنف الحاضر. وهو أمر تتفاوت فيه القدرات الذهنية من حيث الإدراك والتفسير ومن ثم الإستنتاج.
فى عام الكوارث العظيمه ، عام1988 ـ كانت تتشكل بدايات لأحداث قادمة لاتقل خطورة أو مأساوية، البعض من ذلك كان متعمداً. أو فلنقل أن الإطار العام للكوارث التى حلت بنا فى أفغانستان كان قد تحدد بفعل إتفاق القوى العظمى "أمريكا والسوفييت"، وخاف كل منها منظومة العملاء الخاصه به، بينما كان الجهاد تنزوى قواه البشرية بالقتل، وقواه المعنوية بالإنحراف والضغط الواقع على عناصره، وقواه المالية بالحصار.
كان الإطار العام للكوارث هو تلك القاعدة الكافرة التى وضعتها القوى العظمى ويمكن تلخيصها بقانون "لا حكم للإسلام فى أفغانستان".
وداخل ذلك الإطار العام وقد كان معروفا لكثير جداً من الناس، جاءت التفاصيل فى داخله.
بعضها كان من الممكن رصده وبعضها كان متعذراً على الكثيرين، والآخر كان من الدقة بحيث لم يكد يلحظة أحد.
كان من الملاحظ أن الدعم العسكرى والسياسى للمجاهدين قد بدأ يتهاوى بصورة غير منطقية، منذ توقيع إتفاق جنيف فى إبريل والذى سبقه تدمير مخازن أوجرى للأسلحة، ثم تلاه بأشهر قليله قتل ضياء الحق.
كان المطلوب إذن إرغام المجاهدين على قبول "المشيئة" الدولية بأن لايحكم الإسلام أفغانستان.
وأقصى الممكن هو تواجد وجوه إسلامية فى حكومة علمانية تضم تيارات متباينة.
فى المقابل تزايدت الإمدادات العسكرية السوفيتية لنظام كابل كماً ونوعاً، من صواريخ سكود، إلى طائرات ميج 27، إلى الغازات السامة التى بدأت تستخدم وسط تجاهل دولى تام.
وقتها كنت أتوقع نوعاً من التجميد يؤدى إلى شيوع حالة اليأس فتتحال المقاومة، وتبقى فى كابل حكومة شيوعية منقحة بتيارات مختلفة إسلاميه وعلمانية، ولم يكن عندى شك فى تواطؤ أحزاب بشاور فى ذلك البرنامج.
ولم أتوقع هذا العام أن تحدث هزيمة عسكرية كبيرة للمجاهدين تؤدى إلى سرعة إنجاز ذلك

الحل، ولكن كارثه جلال آباد كانت بوادرها تلوح... إنما كإنتصار كبير محتمل... وبرزت إلى جانبها أيضاً مدينه قندهار كمشروع إنتصار مخالف تماماً وتم إحباطه ـ ـ لأنه كان من صنع محلى بحت على أيدى المجاهدين الميدانيين ـ ـ فتم قمعه بعنف... ليس فقط من حكومة كابل بل من أحزاب بشاور وعلى رأسهم حزب حكمتيار الذى وصف إحتمال سقوط قندهار، بأنه "مؤامرة" تهدف إلى إعادة الملك ظاهر شاه إلى الحكم، وكان كاذباً كالعادة.

كانت السحب تتجمع بالتدريج فوق سماء جلال آباد خلال عام 1988، ولم تلبث تلك القطع المتناثرة أن إلتحمت فى سحابة سوداء ضخمة أرسلت صواعقها لتحرق الحرث والنسل فى أسوأ كارثه للمجاهدين ، العرب تحديداً ، والأفغان عامة ، طوال سنوات الأزمة.

 بعد إغتيال ضياء الحق بدأ دور سياسى جديد لأحزاب بشاور. فقد تحركوا إلى المساحة المخصصه لهم فى حيز الحل الدولى وبدأوا مفاوضات مع السوفييت، لكن قله نادرة التى تخيلت أن يصل دور هؤلاء القادة إلى الفعل النشط ضد وصول الإسلام إلى الحكم أو إنتصار المسلمين بشكل واضح فى ميدان المعركة.فتورطوا من عام 1988، ونصفه الثانى على وجه التخصيص وحتى دخولهم إلى كابل فى سلسلة تآمر على وطنهم ، ولا نقول دينهم ، وبشكل وثيق مع القوى الأمريكية أساساً ثم السوفيتية عند بعضهم.

لقد كان سعيهم محموماً نحو السلطة ... فى أى موضع منها... وبأى شكل من الأشكال.

 كثيرون لم يجيدوا قراءة ، أحمد شاه مسعود ، أو أسد بانشير كما أطلقوا عليه فى الغرب وكنت واحداً من هؤلاء. وقد صدرت فى ذلك العام 1988، إشارات تفيد بأن مسعود هو الوحيد من بين قادة الداخل الأقوياء الذى عرف طبيعة دوره القادم وبوضوح.

لقد ساعده وضوح الرؤية ، إلى جانب مؤهلاته الأخرى ، لأن يكون هو أقوى رجل فى أفغانستان خاصه فى الفترة ما بين فتح كابل فى إبريل92وحتى وقوع كابل فى قبضة "طالبان"فى أكتوبر 96، وفى ظنى أن مسعود هو أكثر رجال أفغانستان كفاءة وإن كان من أقلهم إلتزاماً بالقيم من أى نوع.

 منذ بدايات الإنسحاب السوفيتى فى 15 مايو 1988بدأت عملية إنسحاب واسع للجيش الأفغانى،لم يلاحظ الكثيرون إبعاد تلك العملية العسكرية السياسية التى لاتخلو من روعة حرفية، رغم أن الحظ لم يحالفها بشكل كامل.

فكادت أن تؤدى فى مرات عديدة إلى إنهيارات عسكرية وسياسية للنظام الحاكم كان يمكن أن تودى به، لولا أن الطرف الآخر ، المجاهدون ، كانوا غير مهيئين لإنتهاز الفرص.

فقد كادت تسقط قندهار ثم خوست، وتقدم المجاهدين إلى أكثر من منتصف الطريق إلى جلال آباد ولكن فشلت كل تلك المحاولات، فقط هى جلال آباد التى تطورت العمليات فيها إلى درجة ... الكارثه !!.

لملم عام 1988 أيامه الأخيرة، والسوفييت تحت أنقاض زلزال غير عادى ضرب أراضيهم فى أرمينيا، وإختلط الحزن مع العجز مترافقاً مع ظلال الهزيمة التى تأبى إلا أن تظهر رغم الديكورات الدولية على ماحدث فى أفغانستان. بينما واشنطن تحتفل بصورة مبالغ فيها بتولى رئيسها الجديد ، جورج بوش ، كانت صورة متناقضة، لكنها غنية بدلالات لما سيكون عليه مستقبل العالم، وأن الزعامة لم تعد بأى حال ثنائية، وأن الوضع الموروث عن الحرب العالمية الثانية قد زال فعلاً.

ـ فلننظر بإختصار شديد نقاط التشابك بين أحداث عام1988 مع الأعوام التى أعقبته،مكتفين

بأهم النقاط:
"الإنسحاب بالدفع الأمامى" واحد من المصطلحات الطريفة للدبلوماسية الأمريكية المغرمة دوماً بالتسميات الغربية ذات الطابع الدعائى.
فهناك سيارات "بالدفع الأمامى ، وأخرى بالدفع الخلفى"، وهناك دفع "بالعجلات الأربع.
لقد أصر الأمريكان ورضخ السوفييت على أن تكون الدفعة الأولى للإنسحاب السوفيتى هو أكبر الدفعات. وأن تنسحب نصف القوات السوفيتية قبل حلول شهر أغسطس، وكانت إتفاقية جنيف قد وقعت فى 14 إبريل1988.
فكان الرئيسان الأمريكى والسوفيتى سوف يلتقيان فى موسكو بتاريخ 29 مايو، لذلك روعى أن ينسحب من 20 إلى30ألف جندى سوفيتى من أفغانستان قبل ذلك التاريخ "لترطيب" أجواء اللقاء.
ومن جهتى لا أشك أن الرجلان قد ناقشا فى ذلك اللقاء عملية إغتيال ضياء الحق ، والعبء الأكبر فيه يقع على الأمريكان لكونه واقع فى أراضيهم. وكان ضياء الحق هماً سوفيتيا فى الأساس ومن قبل أن يتحول إلى هم أمريكى، ولكون أمريكا فى المقابل تريد التأكد من أن السوفييت لن يغدروا بالإتفاق الأفغانى فلاشك أنهم أصرو على أن ينسحب نصف الجيش السوفيتى من أفغانستان قبل أن يوفوا هم بالتزامهم بقتل ضياء الحق.
كل ذلك طبيعيا بمنطق السياسة الدولية، ولكن جلال آباد كانت أول مدينة أفغانية يخليها السوفييت رغم أنها سياسياً وعسكرياً هى المدينه رقم 2 فى البلاد، أليس غريبا ان يبدأوا بمجازفة كهذه ؟
فهل كان هناك تصور مبدئى للكارثة التى سوف تحيق بالمجاهدين هناك. أو بمعنى آخر هل كانت فخاً متعمداً من القوتين العظمتين؟
هذا شيء لم يفكر فيه أحد وقتها. على الرغم مما قاله أحدهم وهو محلل غربى الذى تكلم عن إحتمال مطروح للبحث بأن تنسحب القوات السوفيتية والجيش الأفغانى من مدينة جلال آباد تاركين الفرصة للمنظمات "الجهاديه" السبعة كى تثبت فشلها على أرض الواقع فسوف ينشب القتال فيما بينها فتقيم بذلك دليلاً أمام شعبها والعالم بأن تلك المنظمات عاجزة عن إدارة مدينة واحدة، فالحل الدولى هو بالتالى الأقدر على تسيير البلاد.
إن ذلك لم يحدث ولكنه يثبت أن هناك تفكير فى عملية إجهاض للجهاد الأفغانى، عملية مكانها تحديداً هو جلال آباد.
لم نتخيل شيء مثل ذلك وقتها، ولكن تلك المدينة ظلت باقى عامها ذاك موضع إهتمام الإعلام الغربى، رغم أن ماكان يحدث فى قندهار وقتها أكثر أهمية وخطورة!!. ونعلم أن الإعلام الغربى وأضواءه كان يتم توجيهها من السفارة الأمريكية فى إسلام آباد، فهل كانت تلك السفارة تعلم شيئاً خاصاً عن جلال آباد؟. هذا أيضاً مجرد إحتمال، لكن الذى لاشك فيه أن أول ظهور لإستخدام فعلى لصواريخ سكود الجديدة كان منطقه جلال آباد.
فقد نقلت أنباء الرابع من نوفمبر أن مابين ست إلى ثمان من تلك الصواريخ قد تساقط على مواقع المجاهدين فى محافظه ننجرهار أى مواقع المجاهدين على حواف النطاقات الدفاعية حول جلال آباد عاصمة تلك المحافظة.وكان المجاهدون قد نشطوا كثيراً خلال الفترة الأخيرة فى تهديد تلك النطاقات والإستيلاء على مواقع مهمة ،منها "تورخم" النقطة الحدودية مع

باكستان، على رأس الطريق الدولى الأهم بالنسبة لكابل مع العالم الخارجى غير السوفيتى.
إستمر هطول صواريخ سكود على مواقع المجاهدين خاصة حول المدن الهامة المهددة، وقال الجنرال سليمان قائد سلاح المدفعية فى جيش كابل فى تصريح لجريدة "النجم الأحمر" الناطقة بإسم الجيش السوفيتى أنه تم اطلاق نحو ثلاثين صاروخ سكود على مواقع المقاومة فى الجبال وعلى الحدود الأفغانية الباكستانية حتى يتوقف القصف على كابل.
وكان قصف المجاهدين لمطار كابل بالصواريخ من طراز "صقر" قد أدى إلى مصرع عشرة طيارين وجرح عشرين آخرين" وكالات الأنباء 88/11/18".
وقد قتلت صواريخ صقر بعض الأفراد فى جلال آباد وجرديز، وردت حكومه أفغانستان، بقصف قرى باكستانية حدوديه بصواريخ سكود.
"وكأن صواريخ سكود الروسية جاءت لتوازن صواريخ صقر المصرية رغم الفارق الكبير فى المدى والقدرة التدميرية "
وقد إندفعت الطائرات الأفغانية لإختراق الحدود وقصف قرى باكستانية لكن أثنتان منها أسقطتها وتم أسر أحد الطيارين" وكالات الأنباء 88/11/4".
مركز إعلامى فى بشاور ذكر أن الغازات السامة قد إستخدمت ضد مواقع المجاهدين فى ننجرهار "حول جلال آباد" بواسطة قنابل الطائرات وصواريخ سكود "الوكالات 88/11/22"
لكن أحداً لم يهتم لأن الإعلام الدولى لم يؤكد النبأ، الذى كان صحيحاً هذه المرة.
ولذلك سجلت ساحة جلال آباد إستخداماً روتينياً لصواريخ سكود وللغازات السامة، وهذا مايثير الشكوك فى أنه كان يجرى تجهيزها بهدؤ كمقبرة جماعية للمجاهدين ، وهو ما حدث فى العام التالى 1989.
وقبل أن تغرب شمس1988 كان المجاهدون قد إستولوا على أكثر من 40 كيلومتر تبدأ من النقطة الحدودية فى تورخم إلى إتجاه جلال آباد.
وقد وقفوا على بعد حوالى15 كم من منطقة "سمر خيل" الإستراتيجية وكان بها حامية قوية وتبدأ بمدخل جبلى يمكن أغلاقه بإحكام.
فإلى الشرق هناك جبل "سمر خيل"وهو مرتفع وقاس التضاريس ويعتبر مفتاح جلال آباد من طرفها الجنوبى، ثم هناك فى مقابله على الجانب الآخر من الطريق مجموعة هضاب قليلة الإرتفاع ذات أرض غير صلبة وعليها تركزت نقاط دفاعيه إضافة إلى النقاط المنتشرة على الطريق، أما جبل سمرخيل نفسه فلم تكن عليه نقطة دفاعية واحدة رغم شهرة الجيش الأفغانى بأنه لايترك صخرة، إلا وأنشأ عليها "بوسطة" ، أى موقع دفاعى ، فما بالك بذلك الجبل الذى لاتخطئ عين خبيرة أو غير خبيرة بأنه منطقة حاكمه على كل من حولها، فهل يعقل أن يكون ذلك مجرد خطأ؟. إن قمه جبل سمر خيل يمكنها التحكم فى حوالى نصف المسافة على الطريق المؤدى إلى باكستان المتلوى فى وادى منبسط تحت أقدامها.
أما فى إتجاه جلال آباد فليس هناك هيئة جبلية أخرى تتحكم فى الطريق الواصل إلى المطار "15 كم تقريباً"، ثم إلى مركز المدينة"30 كم تقريباً"، ليس سوى المزارع والأنهار والقرى.. لكن لاجبال على الطريق.
أن تحكم جبل سمر خيل فى مدخل جلال آباد الجنوبى حقيقه لاتخطئها إلا عين لاترى الشمس، اذن لماذا لم يركز الجيش الأفغانى والسوفييت مازالوا متواجدين فى البلاد رغم الإنسحاب المستمر، فلماذا لم يركزوا دفاعاتهم على جبل سمر خيل خاصة وإن

المجاهدين يزحفون على الطريق العام من تورخم فى إتجاه جلال آباد بل وإستولوا على منطقة " سمر خيل " نفسها لفترة بسيطة قبل أن يطردهم هجوم حكومى مضاد. إن خطورة الموقف ظاهرة للعيان وإستمرت متفاقمة لعدة أشهر "حتى مارس 89" هل أن ذلك كله كان مجرد خطأ؟ القول بذلك مجازفة كبيرة... إذن لايبقى إلا القول بأن الجيش الأفغانى "نيابة على السوفييت وحلفائهم الأمريكان" كان فى نيته إستدراج المجاهدين الأفغان إلى مايسمى" ساحة قتل" وهى ساحة تركيز ساحق للنيران على الخصم فى وضع لايسمح له بالإختباء أو الدفاع الجيد. الساحة حدها الأسفل يبدأ من جبل سمر خيل وحدها الأعلى هى الطوق الدفاعى الأول للمدينة وحدها الأيمن " بالنسبه للمجاهدين" نهر كابل وحدها الأيسر يقع إلى بعد من عشرين إلى30 كيلومتر بعيدا عن النهر فى أرض منبسطة قليلة الزراعة وشبه صحراوية .

****

قندهار المدينة المغدورة

لقد ظلمت منظمات بشاور مجاهدى هذه المدينة الباسلة، وخذلتهم فى أحرج الأوقات ...وكل ذنبها المعلن أنها مدينة ظاهر شاه آخر الملوك والعدو اللدود لحكومة باكستان.

لأهالى قندهار تركيبتهم الخاصة ومزاجهم الخاص ، فكان لهم بالتالى أسلوبهم القتالى الفريد. كان فيهم الكبرياء القريب من الغرور، وشعور بالتعالى يقود بطبيعته إلى إحتقار الآخرين، وفيهم قدرة على السير إلى نهاية الشوط فيما إختاروا من أمور.

فالصالحون منهم هم من الأولياء، والطالحون هم أخوة ربما أساتذة لأبليس اللعين، أما المقاتل فهو إما أن يهاجم لايرده إلا الموت أو يفر فلا يرده إلا الموت أيضاً.

إستولى هؤلاء الشجعان على زمام مدينتهم مرتين على الأقل خلال فترة الجهاد... وكانت على وشك العودة على أيديهم مرة أخرى بينما الإنسحاب السوفيتى فى ثلثه الأخير، حتى إن "المصادر الغربية" إياها حذرت من إحتمال سقوط قندهار فى أيدى مجاهديها وقالت بأن ذلك سوف يشكل."ضربه خطيرة لحكومة كابل" .

ليس سراً أن أهالى قندهار قد بادلوا منظمات بشاور نفس المشاعر من إنعدام الثقة، والكراهية المكتومة، وقد لامست ذلك بنفسى عندما زرت معسكرات المهاجرين فى كويتا ولمدة يومين فى خريف هذا العام 1988، ومعظمهم كانوا من قندهار.

وقالوا لى بصراحة... لانحب منظمات بشاور ولانريدها... نريد الملك ظاهر شاه. ثم عقدوا مقارنة طويلة بين أيام الملك والأحوال فيها ، وبين أيام المنظمات فى المناطق المحررة والأحوال فيها، وكانت نتيجتهم منطقية واضحة لاتقبل اللبس: لانريد زعماء بشاور.

الذى لايعلمه كثيرون هو أن مجاهدى قندهار قليلاً ماتركوا مدينتهم بل ظلوا حتى النهاية يمتلكون قطاعات معينة منها، فكانوا مثلا يحتلون جانباً من شارعها الرئيسى يتترسون فى مبانيه الطينية القديمة، بينما تترس جنود الحكومة فى مبانى الجانب الآخر، ويتبادل الطرفان طلقات الأسلحة الثقيلة وقذائف "الآر بى جى" أو مدافع عديمة الإرتداد.

عيب أساسى فى منطقتهم هو فقرها الشديد فى الجبال ، والقليل الموجود منها قليل العمق قائم بذاته، فيسهل تطويقه وعزله.

والمناطق المنبسطة تربطها حتى هيرات، وإلى غزنى ثم كابل بلا عوائق جبلية خطيرة لذا فإن

الحفاظ على مدينة كهذه هو بلاشك مهمة عسيرة إذا كان العدو هو الجيش السوفيتى.
أما وقد رحل معظم السوفييت، فكان من الأصوب هو الإستيلاء على قندهار، حتى لو ألغى السوفييت إنسحابهم ذلك أصلح للمجاهدين من إتمام الإنسحاب تحت هذه الشروط التى تكفل إنسحاباً آمناً للسوفييت،مع تسعير الحرب وتصعيدها فى أفغانستان.
أى بإختصار تسوية تصون دماء السوفييت فقط، وتريق المزيد من دماء الأفغان.فإذا قضت "المشيئة الدولية" أن تستمر الحرب فى أفغانستان، فمن الأفضل أن يحترق السوفييت فيها.
المهم أن قندهار تراخت بشدة فى شهر أكتوبر... وتفسخت الحامية العسكرية، وحدث مايشبه مشروع صدام داخلى ، أو إنقلاب كما وصفته الأنباء الحكومية وأحزاب بشاور.وكان الدور الأكبر للزعيم حكمتيار الذى حرك رجاله ففتحوا الطريق أمام النجدات الحكومية العسكرية المتوجهة من هيرات صوب قندهار، وكانت قد دمرت فى الطريق عدة مرات، حتى جاءت النجدة من الزعيم الأصولى الذى إدعى أنه أنقذ البلاد من مؤامرة لإعادة ظاهر شاه!!.
وقطعاً لم يكن الأمر كذلك، بل كانت طعنة من الخاف قادمة من بشاور إلى قلوب مجاهدى قندهار. (وقد دار الزمان دورته ورد مجاهدو قندهار الصاع صواع عديدة لأحزاب بشاور، على أيدى حركة طالبان التى إنطلقت من قندهار مثل الإعصار صوب كابل والعواصم الإقليمية الأخرى وكانت تلك الحركة فى جوهرها ثورة شعبية ضد إنحراف المنظمات وفسادها الذى دمر الحياه العامة فى البلاد).

****

كان نجيب ا يتمتع بما هو أكثر من مزايا زعيم عادى فى العالم العربى، فقد كان قاس القلب دموياً، مهوساً بالسلطة، يعلم أن لابقاء له على كرسى السلطة سوى بالإعتماد الكامل على ... دولة عظمى.
لكن سؤ حظه جعله يراهن على الحصان السوفيتى الخاسر، لذا حاول تقديم أوراق إعتماده إلى قوة المستقبل المنفردة، لكن أمريكا لم تقبل إعتمادة لأسباب مجهولة، مع أن أمثاله قد قبلوا فيما بعد، ورغم أنه إتخذ كل الإجراءات المناسبة، بما يؤهله كعضو فى منظومة "العالم الإسلامى".
يكفى أن تأمر واشنطن الملك فهد أن يفتح أبواب الكعبة أمام نجيب كما فتحها قبلاً أمام "بى نظير بوتو" وأشباهها.
فى خطوة جبارة "لأسلمة الدولة" التى كانت ماركسية، أقام نجيب ا مولداً فى كابل، حضره ممثلون عن 25 دولة من بينها الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى!! وفى"خطابه التاريخى" الذى ألقاه فى المولد إتخذ خطوة ضخمة أخرى لاتقل خطورة بأن أنشأ وزارة "الشئون الإسلامية والأوقاف"!!، إسوة بأخوانه فى الدول العربية، وبذلك أرتقى فى مدارج الإسلام حتى شارف "التطرف الدينى" ثم أعلن بشجاعة نادره أن أفغانستان دولة إسلامية ...
وأمام المؤتمرين أعلن إستعداده لعقد مفاوضات مباشرة لإيقاف القتال فى أفغانستان، وأن مكان التفاوض ممكن أن يكون مكة ، لو وافقت الحكومة السعودية على ذلك" الوكالات 10/23".
لقد أخطأ حين ظن أن مفاتيح مكة هى فى أيدى حكام السعودية، الذين فتحوا الأبواب بعد قليل ليس أمام التلميذ النجيب، ولكن لسادة الكرملين كى يعقدوا ما أطلقوا عليه أسم مفاوضات بين السوفييت ومنظمات بشاور.
عقدت المفاوضات فى الطائف، بعد أن سبقها لقاء مباشر فى إسلام آباد بين مندوبين من الجانبين: أحزاب بشاور ، التى يرأسها الآن برهان الدين ربانى ، وبين مندوبين من السفارة

السوفيتية "فى 27 نوفمبر 88م".
ونشير هنا إلى إن حكومة أحمد شاه قد ذبلت مثل الوردة على غصنها،وعادت المنظمات السبعة إلى نظامها المفضل فى تناوب رئاسه" الإتحاد" مرة كل ثلاثة أشهر لكل منهم.
كان الهدف من إقحام السعودية فى ذلك الحدث الجديد هو إعطاؤه صبغة أو ختم"معتمد إسلاميا" فقد كان هناك حرج لدى الزعماء الأفغان فى مواجهه شعبهم والشعوب الإسلامية فى جلوسهم إلى طاولة واحدة للمفاوضات،خاصة وأن هناك موضوعاً واحداً فقط هو المطروح أمامهم وهو: " أنتم مسئولون عن إعادة الأسرى السوفييت فى أفغانستان والويل لكم إن لم تفعلوا!! فلا مكان لكم على طاوله الغنائم السياسية فلستم أهلاً للثقة".
لكن هؤلاء التعساء أضافوا إلى ذلك الطلب ـ بعد أن صاغوه بلهجة دبلوماسية خادعة ،أضافوا بنوداً وهمية لم يجرى بحثها ، على الأقل معهم ، فدورهم السياسى أدنى من ذلك بكثيرفقال حكمتيار مثلاً أنهم سوف يستخدمون الأسرى السوفييت كورقة ضغط لإرغام السوفييت على دفع تعويضات حرب (الوكالات 88/6/19).
ثم أدعى زعماء بشاور أنهم يسعون إلى أن تشمل المفاوضات إلى جانب موضوع الأسرى، الذين قالوا أنهم يرفضون أن تقتصر المفاوضات عليه ، حتى تشمل مواصلة إنسحاب القوات السوفيتيه ومستقبل حكومة كابول،والعلاقات المستقبلية بين أفغانستان والإتحاد السوفيتى.
لقد إستؤنفت تلك المفاوضات فى باكستان فى بدايات العام التالى وأسفرت عن نتيجة عمليه واحدة فقط. . . وهى تسليم الأسرى السوفييت إلى بلادهم بدون قيد أو شرط. . لاتعويضات حرب، ولاخرائط ألغام، ولامساهمة فى برنامج الأمم المتحدة لإعادة إعمار أفغانستان.
وهى سلسله من الوعود الوهمية التى لوح بها السوفييت، ماعدا التعويضات الذى لم يأتى ذكرها قط على ألسنتهم، ولكن بعض زعامات الأفغان لوحت به لفترة وجيزة حتى أتتهم أوامر "دوليه" بإغلاق أفواههم. . . فأغلقوها!!.
وبينما ربانى يقود السفينة الأفغانية كى يسلم مابها من أسرى سوفييت مجاناً،كماسيفعل بعد ذلك عدة مرات فى موضوعات أخرى.فإذا بإعلام الأخوان المسلمين فى بشاور، وقد أرسل مدداً من الأقلام الخبيرة كى يساند التيار الأخوانى القائد فى أفغانستان، ويؤدى دوره التاريخى فى أكبر قضية دولية بعد الحرب العالمية الثانية.
فى مطبوعة جديدة وجادة أسموها"التقرير الأسبوعى"، الصادر عن دار الجهاد فى بشاور فى 88/11/18 وتحت عنوان(المفاوضات مرة أخرى) فنسجل الفقرة الأولى فهى تكفى، وتقول الفقرة:
(المفاوضات المباشرة التى إنعقدت يوم 11/27 بين المجاهدين والسوفييت تشكل نجاحاً سياسياً للمجاهدين بكافة المقاييس حتى لوإقتصرت تلك المفاوضات على مناقشة موضوع الأسرى، فهى تعتبر خطوة تليها خطوات، وبداية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحروب بين دولة كبرى معتدية، ومقاومة وطنية، ومن باب التذكير، وليس المقارنة فقد إنعقدت مفاوضات طويلة فى باريس بين وفد أمريكى وآخر يمثل حكومة فيتنام الشمالية إبان التدخل الأمريكى فى فيتنام ولم يشارك فيها ممثلون عن جبهة التحرير الوطنيه الشيوعية "الفيتكونج" وإنتهت إلى الإنسحاب الأمريكى النهائى من فيتنام).
فقرة صغيرة ولكنها فى حاجة إلى تعليق طويل، ويكفى أن قادة الإخوان هم شريك كامل فى جريمة أفغانستان. فلا غرو أن مارسوا الكذب والتضليل لحساب صبيانهم هناك وحتى اللحظة الأخيرة.وسيظل

دور (الإخوان) قائماً طالما هناك قوى دولية تريد إخضاع المسلمين فى أى مكان. حقا، لقد ضمنوا لأنفسهم مكانا تحت الشمس فى ظل النظام الدولى الجديد، كما كان الحال فى ثوبه القديم... ولكن إلى متى ؟؟.

****

صناعة المستقبل:

ربانى - مسعود

كان (ربانى) نشيطاً للغاية أثناء فترة رئاسته لإتحاد منظمات بشاور فقد كثف إتصالاته مع مندوبى الأمم المتحدة، وقام بزيارة إلى الولايات المتحدة كى يصافح فى زيارة واحدة إثنين من رؤساء البيت الأبيض.

ريجان بعد أن أمضى رئاستين إزدهر أثنائهما (الجهاد الأفغانى) حتى بلغ ذورته ثم أخذ يهبط منها نحو الأسفل، وجورج بوش الزعيم القادم الذى سوف يجهز على أى مكسب إسلامى فى أفغانستان، ولكنه مع ذلك تعهد لربانى (أنه سينتهج تجاه المقاومة وتجاه الدفاع عن أفغانستان سياسه حرة مشابهة لتلك التى إنتهجها سلفه) (الوكالات 12/11/88م).

ثم خاض ربانى غمار أول مفاوضات مباشرة مع السوفييت،لا لشئ إلا لتسليمهم غنيمة باردة، هى أسراهم فى أفغانستان، أى آخر ورقة ضغط كان يمكن إستخدامها ضدهم من أجل دفع تعويضات حرب.

من الآن فصاعداً سوف يثبت ربانى خلال نشاطه السياسى أنه الذى لا مثيل له فى تقديم التنازلات بلا مقابل، من أجل تثبيت مركزه الرئاسى فقط لاغير.

وبينما تولى ربانى مجال العمل السياسى الخارجى، عمل صهره مسعود منذ البداية على توطيد قوته فوق أرض شمال أفغانستان.

واذا كنا لم نكد نرى ذلك أو نفهمه فإن مجله تايم الأمريكية وضعت يدها على النقاط الحساسة (أنظر جريده البيان - دبى - 12 اكتوبر88م).تقول المجله الأمريكية:

(يبدو أن نهايه الصراع قد إقتربت ولم يعد ينبغى على الثوار الأفغان أن يعدلوا تكتيكاتهم العسكرية فحسب، إذا ما أرادوا الإطاحة بالحكومة العسكرية فى كابل، وإنما أصبح ينبغى عليهم أيضاً أن يجلسوا ليحددوا أيا من المجموعات الأفغانيه ستكون صاحبة الرأى الأساسى وتسيطر على الأمور فى كابل، ويبدوا أن مسعود قد إتخذ قراره بهذا الصدد وصمم أن يكون الدور الرئيسى لحكومة مابعد الحرب بيد حزب الجمعية الإسلامية) .

وفى مقطع آخر أكثر أهميه تقول التايم:

(وكانت خفة حدة الهجمات على القوافل والقواعد السوفيتية القريبة من بانشير فى المدى الأخير، قد حملت بعض المراقبين على الإعتقاد بأن مسعود ربما يكون قد توصل إلى إتفاق مع السوفييت يسمح للقوات السوفيتيه بالإنسحاب دون أن تتعرض لأى أذى من جانب الثوار، إلا أن مسعود نفى هذه الإشاعات فيما أكد مساعدوه إن الثوار يواجهون الآن أولوية أكثر أهمية وإلحاحاً من تبديد بعض الطلقات على القوات السوفيتية المنسحبة ألا وهى الإستعداد لمعارك الربيع المقبل)

.. وبالفعل فلقد أثبتت أحداث السنوات التاليه الآتى :
أن ربانى وحزب الجمعية الإسلامية . قد قرر أن تكون له اليد العليا فى أفغانستان ، وأنه لابد أن يكون قد حصل على دعم خارجي قوي من أجل ذلك ، ومن المؤكد أن السوفييت منحوه ذلك الدعم لأن ذلك كان واضحاً حتى قبل فتح كابل (ابريل 92).
بينما منحت باكستان ـ منذ القدم ـ تفويضاً مطلقاً لحكمتيار والحزب الإسلامى التابع له أن يكون فى المواقع الأولى فى السلطه أو يكون أول المزاحمين عليها.
والأغلب أن أمريكا وافقت على تقسيمه بهذا الشكل على أن تكون محوراً لحرب أهلية طويلة المدى، وهو ماحدث بعد الفتح، ولمده أربع سنوات ونصف حين إستولت حركة طالبان على كابل وهدمت المعادلة القديمة للحرب الأهلية، أى معادلة الحزب والجمعية.
أو معادلة(حكمتيار ضد ربانى ومسعود) .

عام الإنسحابات الكبرى

أيضاً كان عام 1988 هو عام الإنسحابات الكبرى. فقد سحب السوفييت جيشهم الأحمر بينما الجيش الأفغانى لم يكن فى أفضل حالاته. وكان أشد ما يعانيه هوالهبوط المعنوى الخطير لجنوده. كما أن نسبة الضباط الجدد غير الحزبيين قد بدأت تتزايد، فضعفت كثيراً الشراسة القتالية للضباط الشيوعيين الذين قاتلو بضراوة في سنوات الحرب الأولى فقتل أكثرهم، والقلة الباقية شغلت مناصب الجيش العليا والمتوسطة، فامتلأت الصفوف الأمامية بضباط لايعلمون سوى لأداء الوظيفه وخوفاً من بطش قيادتهم الأعلى، وهم أيضاً خائفون من الجنود الذين تحت إمرتهم ويتحينون الفرصة لقتلهم حتي يفرون إلى المجاهدين، ثم سرعان ما يعودون إلى قراهم مرة أخرى .
والجندى الذى أجبروه على دخول الجيش وحمل السلاح ، ربما بدون تدريب يذكر ، يخاف من ضابطه المباشر فهو قد يقتله لأقل هفوة، وخائف من جنود الميليشيا الذين يقفون خلفه بإستمرار لضربه فى الظهر إذا حاول الفرار، وهو خائف من مجرد السير حول موقعه خوفاً من حقول الألغام الدائرية التى وضعت خصيصاً لمنعه من الفرار.
كانت حاله الخوف والشك الداخلى تدمر ترابط الجيش وتهلك قواه ناهيك عن مخاطر الحرب ذاتها.
ومع الإنسحاب السوفيتى ظهر عنصرجديد زاد فى ضعف تماسك الجيش، ذلك العنصر هو إزدياد الشك فى إمكانية كسب الحرب وأنهم لن ينجحوا فيما فشل السوفييت فى تحقيقه.
وإذا ماخسروا الحرب فماذا سيكون مصيرهم؟ وإذا نجحت الأسلحة الجديدة ومجهود حكومة كابل فى التفاهم مع المجاهدين وتشكيل حكومة مشتركة جديدة، فهل يلغى ذلك ماف الثارات القبليه وقد أكلت نيران الحرب أكثر من مليون ونصف مواطن على الاقل؟.
إن الثأر لايموت فى أفغانستان، وحتى إن مات صاحبه فهناك من يرثه عنه ويؤديه.
حتى قيادات الجيش نفسها يئست من إحراز نصر عسكرى، وتساورها شكوك عميقة فى مستقبلها الشخصى حتى فى ظل تسوية سياسية مع المجاهدين.
فى ظل تلك الروح المعنوية الكئيبة جرى الإنسحاب السوفيتى ورافقه إنسحاب للجيش الحكومى، كان له أهدافاً عسكرية وأخرى سياسية.
عسكرياً كان المطلوب من الجيش هو تحقيق نظرية الأمن الجديدة للدوله والتى تهدف إلى :

1 ـ المحافظة على المدن الرئيسية ومنع المجاهدين من الإستيلاء على أى منها.
2 ـ تصفيه قوات المجاهدين على أبواب المدن وتكبيدهم أكبر قدر ممكن من الخسائر فى الأرواح، بحيث يضطرون فى النهاية إلى قبول التسويه السياسية، ومن موقف ضعيف أيضاً.
3 ـ إستخدام الأسلحة الجديدة(صواريخ سكود ـ ميج27 ـ القنابل العنقوديه والغازات السامة)، فى تحطيم القواعد الخلفية للمجاهدين وتجمعاتهم فى الأراضى المحررة، بهدف إضعاف قواتهم العسكرية من جهة، ومنعهم من تكوين قواعد إدارية ومدنية، ذات قيمة من جهة أخرى.
ثم أخيراً تخويفهم من الإبادة فى حال دخولهم أى مدينه بالقوة، وبذلك يتم ردعهم معنوياً ومادياً عن مجرد التفكير فى إقتحام إى من المدن الأسياسية.
تلك كانت نظرية (أمن الدولة الأفغانية) بعد الإنسحاب السوفيتى كما أوضحتها الأحداث فى السنوات التالية.
أما الجوانب السياسة التى راعى ذلك الإنسحاب تنفيذها فكانت أكثر ذكاء وحنكة وفهما لخصوصية الواقع الأفغانى.
وقد أحرزت قدراً معقولاً من النجاح، وفى بعض الحالات كان النجاح كبيراً. ولولا حالة الجيش السيئة من الناحية المعنوية والإنضباط العسكرى أيضاً، ولولا إهتزاز صورة الدولة وعدم الثقة فى إستمراريتها لنجح ذلك الإنسحاب فى تحقيق ماعجزت عنه الحملات الهجوميةالكبرى.
كان من الواضح أن الهدف السياسى لذلك الإنسحاب هو إعطاء المجاهدين (فرصة للفشل).
والفشل هنا هو الفشل السياسى وعدم القدرة على إدارة شئون المناطق المحررة مع إعطاء المجال لظهور كل العيوب الكامنة داخل تكوين المنظمات المسلحة والتى غطت عليها موجة الجهاد والحماس فى القتال ضد السوفييت. فكان لابد من إعطائهم أرضاً وإعطائهم وقتاً حتى يكشفوا سوءاتهم ويهدموا بنيانهم بأنفسهم، وينفض الناس عنهم.
بالطبع لم تقف حكومه كابل مكتوفة اليدين فى إنتظار نتائج التجربة بل كانت دوماً فى وضع فعال وموجه وصانع للإحداث.
وقبل إجراء الإنسحاب كانت تمهد له تمهيداً طويلا بين المجموعات المسلحة المحيطة بالمواقع التي تنوي الإنسحاب منها . وتجري مفاوضات سرية مع كل منهم ، وتعد كل واحد أنها سوف تترك له المواقع والأسلحة التي بحوزتها وتسلم له كل شيء فيتحفز كل منهم طامعا في غنائم طائلة.
وأحياناً أخرى تعقد الحكومة تحالفات بين أكثر من طرف، ثم تكون بنفسها تحالفاً مضاداً بين أطراف أخرى، وكل محور على وعد أنه سوف يتسلم كل شيء. والقوات المنسحبة لا تأخذ معها كل شيء فهى تترك أسلحة ومنشآت عسكرية ومعدات ثقيلة وغيرها...وتكون تلك المواد هى، موضوع وأداة، النزاع المسلح بين المجاهدين.
لقد أخلى الجيش الأفغانى مساحات واسعة جداً فى هذا العام وكان الإنسحاب مخططاً له سلفاً ، ولكن وقعت حالات قتال أو إطلاق نار. على القوات الأخيرة المنسحبة وسبب ذلك خسائركبيرة لها، ولكنها أيضاً هجمات غير مخطط لها وغير مقصودة لذاتها فى غالب الأمر.
وإنما إيذاناً ببدء الصراع على الغنائم أو للحصول على المزيد من عتاد المنسحبين.
ثلاث نتائج سعت إليها السلطات الشيوعية من عملية الإنسحاب وحصلوا عليها بدرجات متفاوتة من النجاح.
1 ـ إشعال قتال داخلى بين مجموعات المجاهدين، من أجل إقتسام الغنائم، أو فرض الهيمنة

والنفوذ على الأراضى المحررة.
2- تشجيع عوده المهاجرين إلى الأراضى المحرره مع إنتشار السرقات والقتل وإختلال الأمن مما يزيد الإضطراب ويحول الحياة فى تلك المناطق إلى كابوس حقيقى .
3- رفع الحواجز وتشجيع الحركة بين المناطق المحررة والمدن الكبرى التى تسيطر عليها الحكومة، مما أتاح فرصاً واسعة للإختراق الأمنى والتجسس الحكومى، مع تمييع العداوة العقائديه القديمة بين المسلمين والشيوعيين. وإتاحة الفرصة للأهالى لعقد مقارنه بين الإستقرار والنظام والأمن فى مناطق الحكومة وبين الفوضى وإختلال الأمن فى المناطق المحررة.

على أى حال كان الوضع فى جنوب البلاد أفضل من الشمال الذى جرى تجهيزه لتصفيات سياسية بل وعرقيه، وكان مسعود هو الأكثر وعياً وجاهزيه لذلك البرنامج.

وقد جاءت تلك الحقيقه فيما نقلته مجله" التايم " الأمريكية على لسان أحد مساعديه فيما أوردناه قبل قليل بأن هناك إستعداد لمعارك الربيع. وهى معارك لم تكن بحال مع الجيش الحكومى بل من أجل تطهير الشمال من أى قادة أقوياء لأحزاب آخرين خاصه حزب إسلامى حكمتيار، كذلك من أجل إضعاف شوكة " البشتون" بتصفية قادتهم الأقوياء وإزالتهم من المواقع الحساسة.

كان الجيش الأفغانى يجرى إنسحاباً إستراتيجياً ورهانه كما ذكرنا كان على تطورات السياسة الدولية والداخلية.

داخلياً كان عليه إستثمار أخطاء المجاهدين فى الأساس، ودولياً عليه إستثمار النواحى الإيجابية بالنسبة له فى الموقف الدولى "الأمريكى والسوفيتى". وهو موقف كان بلا شك واضحاً إلى أقصى درجة عند نجيب ا أكثر مما كان فى أذهان قادة المنظمات المشوشة، وإلا لما إكتسب نجيب ا لقب بطل البقاء لدى الصحافة العالمية.

كان بطل البقاء يعلم أن قرار سادة العالم أن تنتهى الحرب الأفغانيه بلاغالب أو مغلوب أو بمعنى أصح بهزيمه الطرفين ، كما إنتهت فى صيف نفس العام حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران ـ ومازال من المطلوب إستمرار الحرب الدولية فى أفغانستان بهدف إيقاع أكبر قدر من التدمير فى البنية التحتية الإقتصادية والقاعدة السكانية، بحيث يصعب أو يستحيل قيام أى كيان سياسى مستقل أو شبه دولة فى تلك الرقعة من العالم.

ذلك القدر من الخراب المجنون يتكفل بتغيير القناعات الدينية ومبدأ الجهاد مع فقدان الثقة فى قيام حل إسلامى لمشاكل البلاد السياسية والإجتماعية والإقتصادية، فتكون أفغانستان ساحة دائمة للنفوذ الخارجى وتأثيراته المختلفة، وربما تصفية حساباته وعداواته على أراضيها ، كما كانت لبنان يوماً.

تلك الصورة ليست كئيبة فى عين نجيب ا طالما هى تترك أمامه مساحة لابأس بها للمناورة والبقاء إلى فترة ربما تكون غير محدودة... فالمهارة لاتنقصه أبداً ولكنه حتماً فى حاجة إلى قدر لابأس به من حسن الطالع، ودعاء الوالدين.

****

نهاية العام:

أحزان فى موسكو
كرنفال فى واشنطن

كانت شمس العظمة والقوة تغرب عن سماء موسكو، ربما ، لآخر مرة وإلى الأبد. ولكن قليلون فى العالم كانوا يدركون معنى ذلك وأسبابه ونتائجه، وجهزوا أنفسهم. بالطبع لم نكن من بين هؤلاء، رغم أن نظرة عابرة على الصحف فى شهر ديسمبر كان كافية لادراك ذلك.
فى اليوم الذى تذكر فيه الصحف أخبار الزلزال الذى ضرب أرمينيا، وكان من أكبر زلازل المنطقة من حيث إتساع التدمير و أعداد القتلى.
حتى أن الرئيس السوفيتى وعد بتنفيذ برنامج إعادة إعمار قيمتة ثمانية مليار دولار.
كشفت الكارثة على سوءات نظام يتداعى.فهذا أخصائى فرنسى من الفرق الأجنبيه التى توافدت على المنطقة للمساعدة فى الإنقاذ يستبعد إمكانية العثورعلى أحياء كثيرين تحت الأنقاض بسبب التأخر فى العمليات خلال الأيام الأولى. ورأى أن نوعيه الأسمنت فى المبانى التى إنهارت هى السبب فى سقوط هذا العدد الهائل من الضحايا وأوضح أن الأسمنت يتحول عادة إلى لوحات تتشكل تحتها جيوب نجاه لكن الأسمنت تحطم هذه المرة إلى قطع صغيره وسحق كل شئ..
 أما المليونير اليهودي الأمريكى (أرنولد هامر) الذى أنجز بنجاح مهام الدبلوماسية السرية فى إتفاق جنيف الخاص بأفغانستان.
وأشتهر بأنه البطل الخفى الذى هندس الحل الدولى للمأزق الأفغانى، فإنه الآن يمد يد العون اليهودى للإتحاد السوفيتى فى محنة الزلزال فيرسل طائرة تنقل معونات طبيه مع مليون دولار نقداً.
وإسرائيل التى كانت أكبر المستفيدين فى إنهيار الإتحاد السوفيتى فيما بعد فقد أرسلت طائرتين عسكرتين تحملان 7 طن معونات طبيه ـ إعترض على نوعيتها للسوفييت .
فعادت الطائرات مرة أخرى وجاءت بنوعيه المعونة المطلوبة(جريده الخليج 88/12/23م) .
وفى واشنطن توجه الرئيس ريجان وزوجته إلى السفارة السوفيتيه لتقديم التعازى.
كما جمع أفراد الجالية الأردنية مبلغ3 مليون دولار خلال حملة دامت 6ساعات فى لوس أنجلوس.
فى نفس اليوم الذى أوردت فيه وكالات الأنباء الأخبار عن الكارثة السوفيتية (فى 13 ديسمبر) كانت أجهزتها تبث"تفاصيل إحتفالات تنصيب جورج بوش لمنصب الرئاسة فى الولايات المتحدة الشهر المقبل".وقالت بأنها ستكون إحتفالات لم يسبق لها مثيل منذ تنصيب أول رئيس عليها منذ مئتى عام.وسيتم لهذا الغرض إنفاق مبالغ طائله لتغطية الإحتفالات.
وقالت وكالة رويتر فى تقريرها(وفى إحتفال تنصيب بوش ستشهد العاصمة واشنطن مواكب موسيقية وعروضاً لفرق الفرسان ويشارك كبار نجوم السينما وآلاف الضيوف فى الإحتفالات التى تستمر أياماً عدة حتى يوم التنصيب فى 20 يناير حيث ستبلغ الذروة .
ويقول مسئولو لجنة التنصيب أنهم أعدوا ما بين 20مليون، 25 مليون دولار كميزانية خاصة لتغطيه نفقات الإحتفال)(ويتوقع أن يغص فناء مبنى الكابيتول الغربى بنحو 150ألف ضيف

لرؤية تنصيب بوش ونائبه كوالى).
ويقوم مسئولون بجمع قروض بدون فوائد سيتم تسديدها من بيع تذاكر إحتفالات التنصيب ومن تبرعات نقديه أدناها مئة ألف دولار (!!).وقد أثارت التحضيرات لإحتفالات التنصيب إنتقادات الحريصين على القيم فى أمريكا.
ويبلغ ثمن تذكرة الدعوة لزوجين ثلاثة آلاف دولار حيث يتناولان عشاء فاخراً فى محطة الإتحاد فى18 من الشهر المقبل. وسيجرى بيع تذكرة مشاهدة عروض الفرق الموسيقية وعروض وحدات الكاوبوى والهنود الحمر فى الصف الأمامى فى شارع بنسلفانيا بمائه دولار. كما توجد مقاعد رخيصه لاتتجاوز 12.5 دولار" (وللمشاركه فى حفلات الرقص الثمانية فستكلف ثمن تذكرة الحضور 175 دولاراً للفرد. بينما الفرد الموصى به سيدفع 30 دولاراً فقط) ـ (جريدة الخليج 88/12/23م) .

هكذا كانت موسكو تحاول تضميد جراحها التى فقدت السيطرة عليها، حتى جاءها ذلك الزلزال بكارثة أخرى لم تكن متوقعة، فهى تودع عاماً مضى وتستقبل عاماً جديداً كأسوأ ما تكون عليه أحوال الدولة فى الداخل والخارج.
أما واشنطن فكما نرى، تسكر وتعربد فى إحتفالات العظمة الكونية، وتنصيب (قيصر) جديد فى البيت الأبيض سيأتى لها فى فترة رئاستة اليتيمه القادمة بما لم يأت أى قيصر آخر جلس فى البيت الأبيض .
لقد جاء لبلاده بما وضعها فوق قمه العالم بلا منافس حتى فى المدى المنظور.
جاء لها بنصر مؤزر هدم دوله السوفييت المنافسة وهو نصر حققه مسلموا أفغانستان.
وجاء لها بأكبر إحتياطى نفطى فى العالم ، وهو الموجود فى بلاد المسلمين فى جزيرة العرب فوضعه تحت أحذية جنود بلاده فى إحتفال دولى صاخب لم يسبق له مثيل أيضاً،كما كانت إحتفلات تنصيبه فى واشنطن ، وأطلق على ذلك الإستعراض المسرحى إسم "حرب تحرير الكويت".
 ثم أمسك بمفاتيح المنطقة العربية وسلمها لإسرائيل، بثرواتها وشعوبها وحكامها وجيوشها، لتكون إسرائيل قوة عظمى إقليمية لاتنازع.ولتصبح أكبر من إسرائيل الكبرى التى إدعتها كتبهم المقدسة. وحتى يطمئن اليهود أن أصبح لهم فى عصرعلوهم الأخير دولتان:واحدة فى بلاد العرب وهى إسرائيل، وأخرى فى العالم الجديد،وهى الولايات المتحدة الأمريكية.

****

وداعا..عام الكوارث

الخميس 30 ديسمبر 88:

وصلنا إلى ميرانشاه قادمين من بشاور،كان معى أبو حفص وصابر الصعيدى،وشاب جزائري. ذهبنا إلى بيتنا القديم إلى جانب المستشفى، وإلى جانبه البيت الآخر وقد إستقلت به أسرة عبدالرحمن والمكونه من زوجته وأبوها العجوز، وإبنها الأكبر إبراهيم وعمره أقل من سنتان ثم الإبن الآخر عبدالرحيم والذى ولد بعد وفاه أبيه بفترة قصيرة،كان بيتهم يلفه صمت وكآبة. كنت مرهقاً فنمت حتى أذان العصر،بينما ذهب أبو حفص ليقابل أبوعبدا (أسامة بن لادن) ثم ذهبا معاً فى جوله تشمل قاعدة جاور لحقانى وقاعدة جهاد والى لحكمتيار .
وصلت مجموعة من الشباب العرب، وكانوا فى الطريق إلى حقانى لزيارته فى بيته، بعد أن عاد منذ يومين فقط من داخل أفغانستان، وكان قد غادر فى يوليو الماضى ميرانشاه نحو سرانا،

في نفس الوقت الذى كنا فيه نتوجه نحو شاهى كوت.
لكننى رفضت الذهاب معهم لكون الوقت غير ملائم كما أننى لن أستطيع الكلام معه بحرية .
الجمعه 31 ديسمبر 88:
فى الصباح توجهت لزيارة قبرعبدالرحمن، وجلست هناك فترة طويلة فى المربع المحاط بالأحجار والذى يضم قبره ومقابر أصدقاء قدامى كانوا أيضاً من أعمدة الجهاد الطاهرة.
كان هناك الشيخان أحمد جول، وفتح ا حقانى، وعلى بعد خطوات من ذلك التجمع المبارك توجد مقبرة صديقى القديم (شاكرين) والذى إستشهد فى ليجاه عام 1982 ، والتى تتميز بحشد كبير من الرايات المرفوعة على أعواد بامبو طويلة فى نهاية أحدها مايشبه مروحة من ذلك النوع الذى يعلق فى أسقف البيوت، لذا يمكن تمييزها من بعيد على الرغم من زحام الرايات، وأعواد البامبو حول قبور الشهداء التى تشكل غالبية قبور المنطقه.
كان حقانى فى إجتماع مع قومندانات باكتيا خلال هذا اليوم، ولكنه سأل عنى وبحث فلم يجدنى، أخبرنى بذلك"جعفر المصرى". كان الإجتماع فى أحد المكاتب التابعةلحقانى قرب بيت العرب، بقيت هناك حتى صلاة المغرب، وبعد الصلاة وجدت حقانى ونائبه نظام الدين خلفى.
فصافحانى بترحاب واضح،وإصطحبنى حقانى معه إلى البيت فى سيارته من طراز(رانج روفر). كان يعانى من البرد والصداع ولكنه كان نشيطاً خفيف الحركة.
أدخلنا حقانى إلى ملحق جديد مكون من غرفة ضخمة ملحق بها غرفة صغيرة بها سريران أنيقان ، للملحق كله حديقة كبيرة لها بابان إلى الخارج، واحد منهما يؤدى إلى المطبخ وغرفة للحرس،أخبرنى حقانى أنه أخذ ترخيصاً لهذا التوسع فى المبني بغرض بناء ملحق خاص لكبار الزوار الذين لايرغبون فى الإختلاط بالآخرين، خاصة أولئك الموظفين فى الحكومة الباكستانية. وقد وصل بعضهم إلى ميرانشاه بالهيلوكبتر من أجل الحديث معه بعد غيبته الطويلة تلك داخل أفغانستان والتى كانت بهدف القضاء على فتنة مجموعة من رجال القبائل أعلنوا إنضمامهم لحكومه كابل بعد أن إستلموا منها أسلحة وأموال.
تحدثت معه طويلاً وأخبرنى عن تطورات تلك الأزمه قائلاً: (إن منطقه زدران بخير، والذين تعاملوا مع الحكومه لايزيد عددهم عن مئتى شخص وقد عوقبوا وسجنوا وبعضهم فى سجن جاور، والمنطقة الآن هادئة.
أما فى زورمات فالناس هناك كانوا متوقفين عن الجهاد، ويذهبون إلى مدينة جارديز، ولابد من تواجد قائد كبير معهم لأن الحكومة تحاول خداعهم وكسب الوقت، فتتصل بالقادة الصغار وتحدثهم عن رغبتها فى التسليم لهم دون الآخرين فيحدث الطمع والشقاق.
وقد فتحت مدينة تعمير الصغيرة "**وتقع إلى الغرب من جارديز على بعد حوالى**"**35 كيلومتر**"
كما فتحت كذلك عدة بوسطات حكومية.
قوة الجيش فى جارديزصغيرة وتعداداها ألف وخمسمئة جندى تقريباً ومثلهم من جنود الميليشيا، ويعانون من قلة الوقود والفحم الذى كان يأتى من روسيا عن طريق كابل إضافة إلى أزمة وقود وذخائر، والمدينة محاصرة وحالها أسوأ من خوست.
وكان إجتماع اليوم مع الكومندانات من البدو "الكوتشى" لوضع برنامج كبير ضد مدينة خوست، شبه إقتحام).
وقال الشيخ حقانى بأن ميليشيات خوست قوية وتقاتل بحماس بعكس ميليشيات جارديز التى

لاترتاح كثيراً فى تعاملاتها مع الحكومة.
وبالنسبه للفتوحات الأخيرة - فى أورجون وتعمير وغيرها - فقد أشترى حقانى كميات ضخمة منها بما يعادل 19 مليون روبيه باكستانية عبارة عن ذخائر ومدافع ورادارات .. ، وقال أن ذلك إحتياطى للمستقبل نقوم بتخزينه فى زدران ونكا، وبغر(على حدود باكتيكا مع باكستان).
ثم كلمته عن فكرتنا فى تخريب طريق زدران ونسف الجسور التى عليها عندما علمنا أن هناك حملة حكومية لإقتحامه من جديد فلقننى درساً لا أنساه حين قال: (نحن نحاول إصلاح الطريق، لا تخريبها، من أجل أن يستخدمها الناس والمجاهدين وأما الدفاع عن الطرق فيعتمد على معنويات الناس وليس على شكل الطريق سليماً كان أم مدمراً).
وعن الوضع السياسى قال أنه لم تصله معلومات كثيرة ولكنه يستبعد أن توافق باكستان على مجئ ظاهر شاه .
ثم أدهشنى بموقفه المرن من مبدأ الحكومة الموسعة التى لاتضم (شيوعيين بارزين) حتى لا يحدث قتال بين الأفغان وحتى يعود المهاجرون، وحتى لايجد الروس مبرراً لإعادة التدخل إذا سقطت البلاد فى الفوضى.
لم يعجبنى الرأى كثيراً لكننى لم أعلق عليه معطياً نفسى فرصة أكبر للتفكير فإذا كان حقانى يقول ذلك فلا شك أن عناصر ضعف ، أكثر مما أتوقع قد داهمت مواقف المجاهدين. وكان يجب علي أن أبحث عن مستجدات الموقف بدلاً من الدخول فى مجادله تأخذ طابع المزايده مع حقانى الذى لا أرى بحال مجالاً للمزايده عليه.أحضروا لنا العشاء الأخير لعام88، وكان مكوناً من بقيا طعام الغذاء مع عسل نحل من جبال زدران - وهو نوع شمعى القوام أبيض اللون،إضافه إلى (دوغ) وهو الماء المتبقى بعد إستخلاص كل شئ من الحليب.
فى بداية الجلسة قبل حديثنا الطويل عزانى الشيخ حقانى فى إستشهاد إبنى خالد وقال إنه لم يسمع إلا متأخراً بتلك "المصيبة العظيمة" على حد قوله.
قلت له إن خالد وعبدالرحمن قد إستشهدا فى وقت متقارب وكنت أتمنى أن أكون معهم، ولكن الشهاده قدر ونصيب.
نظر حقانى فى عينى مباشرة وقال: (عسى ا أن ينفع بك المسلمين والحديث يقول خيركم من طال عمره وحسن عمله).
ثم سألنى عن إستعدادى للعمل فى مجلته العربية التى ينوى إصدارها فقلت له أننى مستعد. وأجلنا الحديث فى التفاصيل فى وقت لاحق، وأخبرته أن يطلبنى من خلال بيت العرب إذا إحتاجنى فى أى موضوع، فأنا سأذهب صباحاً مع الإخوة العرب إلى معسكر جهادوال ، ثم ودعته وإنصرفت. وكان ذلك آخر لقاء لى معه فى ذلك العام وإعتبرت ذلك ختاماً طيباً لعام مضنى، فمكانة حقانى فى نفسى هى مكانة فريدة، جعلته أهم الشخصيات فى حياتى وربما الشخصية الأهم على الإطلاق والأبعد أثراً،حتى أن طبيعة حياتى قد تغيرت تماماً بعد تعرفى عليه، بحيث يمكن القول أنها الفيصل مابين مرحلتين، مرحلة ماقبل حقانى ومرحلة مابعد التعرف عليه وبدء الجهاد معه.

(إنتهى هذا الكتاب يوم الجمعه 97/8/8 فى مدينه قندهار/ قرية عرب خيل - جنوب المطار)

****

ملحق الكتاب:

ثرثرة الأم الثكلى

مقدمة : تعرض العرب فى أفغانستان للكثير من المتاعب وقدموا أيضا تضحيات جسيمة، ومع ذلك كان دورهم فى القضية الأفغانية هامشيا ـ أو أقل كثيرا مما كان ممكنا ومفترضا ـ لأسباب إستعرضناها بإسهاب فى ثنايا هذا الكتاب .

وكالعادة كانت النساء هن الأكثر هامشية حتى داخل الدور العربى المهمش . وذلك ينبع من النظرة (السلفية العربية) للنساء وحرمانهن حتى من أدوارهن المشروعة . وناتج أيضا من الطبيعة المنغلقة والمحافظة جدا للمجتمع الأفغانى ، وبشكل أقل المجتمع الباكستانى فى مناطق الحدود التى تحتضن معظم التواجد العربى .

قليلات هن اللاتى إستطعن أن يجدن لهن دورا صنعنة بأنفسهن ، وأعانهن على ذلك ظروف خاصة جدا داخل الأسرة والظروف المحيطة بها .

لقد عانت النساء وقدمن الكثير من التضحيات ، ونتيجة للإنغلاق الإجتماعى الذى حاصرهن كانت معانتهن النفسية أشد وتأثيراتها عليهن أفدح .

وداخل الوسط العربى المهمش كنت و(أسرتى معى) نعانى من حالة خاصة من التهميش المضاعف، حيث كنت أوضح المعارضين للأحزاب الأفغانية الأصولية.

ثم لأسباب مذهبية حيث لم أكن سلفيا ولا إخوانيا، ثم لأسباب ثقافية جعلتنى والوسط العربى لا نتكلم نفس اللغة ولانفهم الشىء الواحد بطريقة واحدة .

وقت إستشهاد خالد كنا الأسرة الوحيدة التى نالت مثل ذلك الشرف ، أى إستشهاد أحد الأولاد فى داخل أفغانستان. وقد حافظنا على تلك (الميزة) حتى نهاية الحرب، وهى ميزة كانت ثقيلة الوطأه على أفراد أسرة كانوا دوما فى حالة إنصهار كامل يعوضهم عن غربتهم الدائمه عن المحيط الإجتماعى.

طبيعى أن تكون (الأم الثكلى) هى الأكثر تأثرا بفقدان الإبن،لذا كان من العدل أن أترك حيزا قليلا فى ثنايا تلك (الثرثرة) لهذه الأم . عسى أن يساعد ذلك على إستكشاف المزيد من الزوايا المهجورة فى طبيعة ذلك التجمع الجهادى التاريخى للعرب فى أفغانستان .

وعسى الا تستمر نقاط ضعفنا ونقائصنا عالقة بنا إلى الأبد ، وربما نكتشف نقاط ما يمكن إعتبارها مصدر قوة فنهتم بها .

فلأسترح قليلا وأترك مهمة الثرثرة فى الأسطر القادمة لشريكتى فى رحلة المعاناة والتشرد والموت ، وهي التي حملت أثقل الأعباء معى فى رحله الحياة .

تقول الأم الثكلى:

كان خالد يحب كثيرا الذهاب إلى الجبهة مع والده، وكان يطلب منى ذلك دائما ولم أكن أمنعة . وكذلك عبد الرحمن الأصغر منة بحوالى 4 سنوات كان يذهب أيضا مع والده .

وكان الروس مازالوا على أرض أفغانستان ، ومن المحتمل دوما ألا يعودوا جميعا أو أن يعود بعضهم ويستشهد آخرون،وأفغانستان كانت أرض الشهادة والروس يضربون بكل الطرق فكانت شهاده أيهم متوقعة .

كان خالد فى الصف الثالث إعدادى ،وكان عنده ملحق ومن المفروض أن يذاكر لأنه بعد

شهرين سيمتحن مرة أخرى .
كان خالد سعيدا جدا بسفره ، وأخذ كتبه معه وملابسه ، وكنت أتوقع أن يرجع فى عيد الأضحى ليقضى العيد معنا .
تأخر علينا خالد ، وكان متعلق بى كثيرا ويسأل عنى كثيرا ولا يحب البعد عنى لوقت طويل ، ولكن سبحان ا تأخر كثيرا . أبوه أيضا تأخر علينا ولكنى كنت قد تعودت منه على ذلك لهذا لم أشعر بالقلق عليه .
وكان إذا إستشهد أحد من الإخوة العرب فإن الخبر يملأ الدنيا . ولكنى شعرت بالقلق على خالد لأنه لم يرجع فى موعده على العيد .
وكان عندى فى البيت طفل أفغانى يتيم (فى سن الرضاعة) أشرف على تربيته وكانت أمه قد ماتت عند ولادته، كان الولد جسمه ضعيف فكنت مشغولة برعايته صحيا . بقى على العيد يوم أو يومين ، وأطفالى سعداء بدخول العيد، وكانوا يقولون ياأمى إقترب العيد ، وكنت أشعر فى قلبى أن مصيبة أومشكله كبيرة سوف تحدث فكنت أصرخ فيهم .. أسكتوا .. أى عيد هذا الذى تتكلمون عنه . رغم علمى بأن العيد هو للأطفال وليس للكبار ، فهم الذين يشعرون بالعيد وفرحه العيد.
طبعا خالد كان قد إستشهد يوم وقفة العيد ، وكان يوم جمعه ولم أعلم بذلك فى وقتها . وقلبى كان يشعر أن مصيبة ستحدث ،وكنت أجهز أشياء العيد للأولاد ولكن بدون أى شعور بالسعادة وأحاول دوما أن أسكت الأولاد وأمنع ضجيجهم الطبيعى ، خاصه عند قدوم الأعياد .
نزلت إلى السوق فإشتريت لهم ملابس العيد ، وكذلك ملابس جديدة للطفل الأفغانى اليتيم وكان إسمه (شير على).
كنت أشعر أننى أشد الناس حزنا على وجه الأرض وأدركت بعد ذلك أن قلب الأم يشعر بالأحداث قبل وقوعها .
دخل العيد وخرجت مع الأولاد لزيارة أسرة أبو معاذ ، وكان أطفالى لا ينطقون الإسم صحيحا فكانوا يقولون(أبو معيز) بدلا من (أبو معاذ) ، يقولونها ببراءة وكانت زوجته تضحك لذلك . وجدنا عندهم بعض الأسر العربية تزورهم بمناسبة العيد . كانوا جميعا يعرفون بإستشهاد إبنى خالد وكنت الوحيدة التى لا تعلم بالأمر . وكانوا يحاولون إدخال الفرح والسرور إلى نفسى .
وكان أبو معاذ يشترى الألعاب للأولاد ويشجعهم كثيرا على اللعب والفرح . ولكن ظل صدري منقبضا وأشعر بأن مصيبة سوف تحدث ولم أكن سعيدة .
إنتهت أيام العيد وأنا مازلت منقبضة الصدر لسبب لا أعلمه . مرت ثلاث أسابيع على ذلك الحال ولم يخبرنى أحد بالنبأ وقضيت الأيام كالمعتاد عندما يكون زوجى فى الجبهة ، فأرعى البيت والأولاد وكان ربنا أكرمنى بقدرتى على قيادة السيارة فكنت أقضى بها مطالب البيت فكانت أمورى ميسرة وأتحرك خلف مصالح الأولاد .
بعد ثلاثة أسابيع تقريبا،وفى الساعة الثانية بعد منتصف الليل تقريبا دق جرس التليفون فأيقظني من النوم مرعوبة وكانت أختى تكلمنى من لندن .
سألتنى / كيف حالك ، هل أنت بخير ، البقية فى حياتك .
بالطبع كنت متوقعه منذ فترة وقوع مصيبة ما . وطول الوقت وأنا أدرك أننى قد أفقد أحد ممن يذهبون إلى الجبهة إما زوجى أو أحد أولادى .
فسألتها : فى من ؟.

أجابت : فى خالد ؟.
تعجبت لأن أبو وليد هو الموجود دائما فى وجه المدفع فى الأماكن الخطرة . فسألتها مرة أخرى : فى من ؟ .. فى الولد أم فى أبيه ؟. ففهمت أختى أننى لم أكن أعلم شيئا عماً حدث فقالت : إستعيذى بالله من الشيطان وإقرأى القرآن وعودى إلى النوم وسوف أتأكد من الخبر مره آخرى ثم أتصل بك ؟ .
لقد أرادت إنهاء المكالمة بسرعة. كنا حوالى الثالثة صباحا أو أكثر عندما عدت إلى النوم حتى الصباح . ولم يشعر الأولاد بما حدث .
بدأت فى البحث عن الخبر ولم أكن متأكدة هل أنا فقدت زوجى أم ولدى؟ .
ركبت سيارتى إلى بيوت صديقاتى لأسأل عن الأخبار. وصلت بيت أبو عبيده لأسأل زوجته فأخبرتها عن المكالمة التلفونية مع أختى فى الليلة الماضية ، وأنها قالت بأن خالد أبنى قد إستشهد. حاولت أم عبيده أن تكون مرحة فقالت لى: إجلسى.. إجلسى ولا تفكرى كثيرا ولا تهتمى. وحاولت إدخال السرور على قلبى وتنسينى الموضوع.خرجت من عندها كى أتحرى الخبر . كنت متأكدة أننى فقدت أحدهما الزوج أو الإبن .
عدت إلى البيت مرة أخرى ، من هناك حاولت الإتصال مع صديق عزيز جدا على زوجى ، وهو أحمد المنياوى فى أبوظبى . وقلت له عن الخبر الذى سمعته . فرد قائلا : سوف أبحث وأتأكد ثم أتصل بك تلفونيا . وحقيقه الأمر أنه كان يعلم بالخبر. بعدها إتصلت بى إبنة أختى من أبو ظبى وكررت نفس الكلام تقريبا.
جلست إلى جوار التليفون فى إنتظار الخبر ، وبالفعل جاءتنى مكالمة أخرى من إبنة أختى نفسها وقالت بإنفعال وصوت مرتفع:
ياخالتى إن الخبر صحيح وكنا نعرفه منذ أسبوع، لقد إستشهد خالد .
كنت مازلت غير متأكدة من دقة الخبر لأن أبو الوليد هو المعرض دوما للاخطار.
فذهبت إلى بيت إحدى الأخوات العرب . وقلت لها: لقد إستشهد إبنى خالد.
فبكت وقالت: كيف تقودين السيارة وأنت فى هذه الحالة ؟.. رددى هذا الدعاء (اللهم إربط على قلبى كما ربطت على قلب أم سلمه اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلفنى خيرا منها) .
وفعلا رددت الأدعية وإسترحت كثيرا . ثم قدت سيارتى عائدة إلى أولادى فى البيت . وفى الطريق مررت على بيت عائلة الدكتور محمد إبراهيم السودانى . وهو من أصدقاء زوجى المقربين . فوجدته هناك فسألته: لقد سمعت عن إستشهاد إبنى وأريد أن أعرف هل الولد إستشهد أم أبيه ؟ .
فقال:الخبر صحيح ، وخالد إستشهد وهو حى يرزق ؟.
فقلت له:كيف أنه إستشهد وإنه حى يرزق ؟.
فردد على مسامعى الآية الكريمة(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا،بل أحياء عند ربهم يرزقون) .
ولما أردت العودة إلى بيتى طلب من سائقه أن يقود السيارة بدلا عنى وطلب منى عدم القيادة وأنا فى هذه الحالة .
فى البيت جاءنى تليفون آخر من أحمد المنياوى وأكد لى هو الآخر أن خالد هو الشهيد . كنت أشعر أن صدرى مغلق وإن فوقه حجر ثقيل . ولكننى تماسكت حتى لا يشعر أطفالى بما حدث فأسرتنا مترابطة والأطفال متحابون للغاية .
ولكننى أتذكر أننى عندما كنت أكلم المنياوى على التليفون أننى كنت أصرخ بصوت مرتفع

قائله:خالد ؟ .. خالد ؟.
فأنزعجت أبنتى أسماء وجاءتنى بسرعة وتشبثت بى . فقلت للأولاد:لا تخافوا ياأولاد ..
أخوكم خالد جريح ولم يمت .
وكانت الدموع تنهمر من عينى بصمت وبغزارة وقلبى حزين وأستمع إلى القرآن بإستمرار
وأثناء حديثى مع المنياوى على التليفون كان يصبرنى قائلا: إن خالد لم يمت أنه حولك الآن .
فأرد عليه قائله: سامحك ا يأحمد .. كيف أنه حولى الآن ؟ فيقول: إنه حى يرزق عند ا سبحانه وتعالى .
وطلب منى أن أبقي في مكانى ولا أتحرك.
فقلت له: يا أحمد أريد أن أذهب كي أراه.. أرى قبره
فقال لى: سأرتب لك هذا السفر.. كوني مطمئنة وسأتصل بك مرة أخرى.
جلست فى بيتى والقرآن يتلو إلي جانبى من جهاز التسجيل والدموع تنهمر من عينى.
جائتني إبنتي أسماء تسألني عن سبب بكائي، (وكانت فى الثانيه عشر من عمرها).
وقالت ببراءه: إحمدى ا يا أمي أنه لم يمت وأنه جريح، فالحمد ..فلاتبكي.
 إتصل بي المنياوى مره أخرى وأخبرنى أنه رتب الأمر مع الإخوه السودانيين فى وكالة إسرا للإغاثة. وأنهم سيصحبونني إلى بشاور ومنها إلى ميرانشاه لزيارة قبر ابنى خالد.
وقال أنني يجب أن أصطحب معي أبنى الأكبر (وليد) حتي يكون محرماً لى، فلا يعترض أحد على سفري منفردة.
 بعد المكالمة أخذت إبنى وليد (16 سنه) على جانب وأخبرته بنبأ إستشهاد أخيه خالد، وطلبت منه عدم إخبار أخوته الصغار، فهم يظنون أن أخاهم جريح، حتي لاتكون الصدمة كبيرة عليهم.
تصرف وليد بمستوى مسئولية الأخ الأكبر ولم يخبر إخوته بالأمر، وكان يبعدهم عني حتي لايشاهدون دموعي المنهمرة، وكان يحاول قدر طاقته توفير أجواء الراحة لي.
جاءت أم عبيده مع ثلاث أخوات وطلبن مني عدم السفر لزيارة قبر إبنى في ميرانشاة، بدعوى أن ذلك حرام شرعاً أولاً.. ثم ولعدم وجود زوجي ثانياً.
فقلت لهم أرجوكم فأنا سوف أسافر مع محرم هو إبني وليد ولست في حاجة إلي موافقتكم على السفر،ولا أريد منكم أن ترفعوا صوتكم بالكلام لأن أطفالى لايعلمون بأمر إستشهاد أخيهم خالد.
كنت في إنتظار الأسرة السودانية التى سوف تصحبني إلى بشاور، بينما النسوة العرب يحاولن إثنائي عن السفر، ،وقد تكلمن معي بطريقة فظة أنهكت أعصابى.
فقدت صبري وصرخت فيهم بألا يرفعوا أصواتهم فيفجعوا الأطفال بخبر إستشهاد أخيهم وأكدت لهم أنني سوف أسافر لامحالة.
ثم ذهبت إلي صديقتى (أم معاذ) وأخبرتها بنبأ إستشهاد إبني وعزمى على السفرلزيارة قبره وسألتها إن كان من الممكن أن تجلس في بيتى أثناء غيابى لترعي شئون الأطفال. وقد كانت في السابق تقضي الأيام في بيتي أثناء غياب زوجها فى الجبهة.فلم تمانع وجهزت حقيبتها وأصطحبتنى إلى البيت.
كان النهار قد إنقضي ووصلت السيارة التي ستنقلني إلى بشاور وطوال الوقت لم أتناول أى طعام، ولم يتوقف لى دمع.
إصطحبنى إبنى وليد، وتركت باقي الأولاد مع أم معاذ في بيتنا، كما تركت الطفل الأفغاني

اليتيم (شير على) كي ترعاه أم معاذ وكانت إبنتي أسماء تساعدها فى ذلك.
وصلنا بشاور قرب الفجر وكنت أشعر بالمرض والإرهاق، حاولت زوجة الدكتور محمد إبراهيم أن تقدم لي الحليب للإفطار فلم أستطع تناول شيئ.
فى ذلك الوقت كان كل العرب في بشاور قد علموا بمقدمى،وأن خبر إستشهاد أبنى قد وصلني.
فتوافدت النساء العربيات على بيت الإخوة السودانيين من كل حدب وصوب.
بينما الإخوة السودانيين يرتبون أمر رحلتي إلى ميرانشاه فالروس كانوا مازالوا موجودين، والطرق أحياناً تكون خطرة.
كانت حالتي الصحيه تتدهور، ولا أستطيع النوم أو الأكل أو الشرب.
وبدأت الأخوات العربيات دورهن معي ـ أى تحطيم أعصابى.
أحداهن إقتربت مني قائلة: أم وليد تعالى إجلسي عندنا لماذا تجلسين عند السودانيين؟ .. نحن عرب مثلكم!!.
رفضت العرض وقلت لها إني مستريحه هنا.
لم يحاولن التخفيف عني وزحامهن أتعب أعصابي. كان ممن حولي زوجة(أبو أحمد) وهو مهندس ميكانيكي، ومعها أخت أخرى كلتاهما بذلت جهداً للتخفيف عني.
أما الأخريات فكان همهن الضغط علي حتي لا أسافر لزيارة قبر إبنى، وتكلمن معي بغلاظة وفظاظة بدون مراعاة لمشاعرى كأم فقدت إبنها.
وكان ضمن الموجودات أم محمد زوجه الدكتور عبد ا عزام.
وأذكر أنها قالت لي كلمة شديدة جداً،و لم أكن فى حالة تسمح لى بمجرد سماعها.
قالت لى: لماذا تذهبين؟ إن إبنك الآن فى التراب؟.
كانت كلمه من أشد ما يمكن، شعرت أنها أشد من ضربة الرصاص فى قلبى. سمعت الكلمة ولم أرد.
جاء وقت صلاة الظهر، والنساء مزدحمات فى البيت وحاولت أم أحمد وزميلتها مساعدتي علي أن أقوم للصلاة، وسألتني أم أحمد: هل أحضر لك ماء للوضوء؟.
كنت صامته لا أتكلم، ولا أشعر بمن حولى من شدة الصدمة. حاولتا مساعدتى على القيام من مكانى لأجل الوضوء والصلاة.
وما كدت أقوم، حتى سقطت على الأرض لا أشعر بشئ وكأنني كنت مع الموتي.
جرت النساء وهن لا يدرين ماذا يفعلن، صاحبة البيت إقترحت إحضار طبيبة باكستانية قريبة.
كانت حالتي سيئة،نبضي ضعيف وضغطي منخفض فإقترحت الطبيبة إعطائى مسكناً حتي تهدأ أعصابي وأستريح.
وأعطتني إبرة وتمددت على السرير. وصلت الدكتورة (أم صهيب) وهي زوجة مجاهد عربى، وجلست إلى جانبى لمراقبة حالتى.
معظم النساء غادرن المكان، كنت من الصدمة صامتة طول الوقت، وغير قادرة حتي على البكاء.
وصلت إلى البيت أم عبدالرحمن (بي إم)، ووجدتني نائمة على الأرض فوق مرتبة قطنية.
فشعرت بالرعب لحالتي، فقد كانت لى أختاً لم أجد منها سوى المعاملة الطيبة، وكانت تحبني

من قلبها وكنت أشعر بذلك.
نظرت إلى ونادتني: أم وليد.. أم وليد.
وكنت ممدة مثل جثة هامدة فتضربني بقوة على كتفى قائلة:إبكى .. إبكى.. ستموتين إذا بقيت هكذا.. إبكى.. إبكى..
وفجأه إنفجرت مثل بالون وأخذت فى بكاء عميق صادر عن مشاعر محتقنة ومخنوقة كنت عاجزة عن إخراجها نتيجة الكلام القاسي للنساء اللاتي تجمعن حولى، كنت أعاني من صدمة قاسيه من كلامهن.
شعرت بالراحة من ذلك البكاء، وبدأت أفيق من المسكن الذى حقنتني به الطبيبة، وتحركت من السرير.
بدأت النساء العربيات يتوافدن مرة أخرى للإطمئنان على.
ولكن زوجه الدكتور محمد إبراهيم خافت على وبمعاونه بعض الأخوات السودانيات حاولت إطعامي ولو ملعقه من الطعام.
وبالفعل تحسنت حالتي بعدها وأخذت أتمشي داخل البيت على قدمى.
بعض الأخوات المصريات جئن وتكلمن بكلام جارح وكررن ما قلنه سابقاً أن أبيت عندهن ولا أبيت عند السودانيين.
ولكنني رفضت هذا الكلام فقد كنت أشعر بالراحة مع الأخوات السودانيات ومعاملتهن الطيبة.
ثم زارتني أخت مصرية لم أكن قد تعرفت عليها قبلاً وكانت أخت مثقفة وملتزمة، كما كانت طيبة ولطيفةجداً وأذكر أنها مالت على أذني وقالت لي شيئاً لا أذكره ولكنني أنفجرت ضاحكة، وكنت قد نسيت طعم الضحك.
وأنا فى أشد حزنى ضحكت من قلبى فقلت لها إبقى معي ولا تتركينى، وكنت لأول مرة أراها.
كل من حولى كانوا يتعجبون من حالى وكيف إنتقلت إلى الضحك بعد الحالة السيئة التي كنت فيها.
ثم زارتنى أم محمد (زوجه الدكتور عبد ا عزام) مرة أخرى وكانت مصرة على أن أذهب معها للمبيت، ونتيجة هذا الإصرار سمحت لى زوجة الدكتور إبراهيم بالذهاب معها، فإنتقلت إلى هناك، وكانت زيارة لا بأس بها.
ثم وصل رد الشيخ حقانى من ميرانشاه بشأن سفرى إلى هناك، وقد طلب تأجيل الحركه لمدة يوم نظراً لوجود مشاكل وأخطار على الطريق.
فى اليوم التالى جاء أخ عربى إسمه ابو خديجه(عبدالعليم) وكان برفقته زوجته وقال بأنه أخذ إذناً من حقاني بنقلى إلى ميرانشاه في سيارته.
كنت على وشك الحركة معهم، وأخذ هو فى تجهيز سيارته فحدثتني عبد العليم من وراء الباب وقال:إن إبنك خالد ، رحمه ا ، كان ينوى زيارتكم على العيد وأراد أن يتحرك قبل الحادث، ولكن أبو عبيده رفض إعطائه الإذن بذلك...
طبعاً هذه الكلمة ذبحت قلبي وأثرت في نفسي كثيراً ولم يكن عندى وقت ولا أريد أن أتحقق من صحتها ولكنها آلمتني كثيراً.
بعد قليل وصل أبو عبيده وطلب محادثتي من وراء الباب فقال:(يا أم وليد لاتصدقي ما وصلك من كلام عبدالعليم أنا لم أمنع خالد).

كان أبو عبيده ، رحمه ا ، موضع إحترام الجميع لمواقفه الطيبة وحسن أخلاقه ومعاملته.
فأجبته بأنني أصدقه فيما يقول.
جاء أبو خديجه (عبدالعليم) وزوجته وإصطحبوني مع وليد في سيارتهم إلى ميرانشاه.
ذهبنا إلى بيت حقاني وكانت والدته فى إنتظارنا، وكنت أحبها جداً جداً، كانت سيدة مجاهدة قلبها كبير يسع المسلمين جميعاً.
قابلتني مقابلة طيبة وقدمت لي العزاء فى إبني.
وكانت هي وزوجة حقاني تفقهان كثيراً فى أمور الدين بعكس كثير من النساء فى ميرانشاه.
كانت النساء عندما يقدمن لى العزاء تصرخ المرأه منهن وتولول بمجرد دخولها الغرفة التي أجلس فيها ثم تقدم لى العزاء.
وكانت تلك طريقتهن في التعبير عن المشاركة في الحزن وكن جميعاً يعرفن خالد، وكان محبوباً من كل الناس هناك صغيراً وكبيراً.
ولكنهن وجدنني ثابتة وصابرة، صحيح أن الجرح كبير والفراق صعب، وكنت أتوقع حدوث مثل ذلك الأمر فى أى وقت، ولكنه قضاء ا ولابد لنا من قبوله والتسليم به وأن نحمد ا عليه.
رتبوا لى زيارة قبر خالد، فجهزوا لى سيارة ودليل يعرف المكان والقبر، فذهبت مع وليد إلى هناك.
جلست إلى جانب القبر جهه الرأس، ودعوت ا له وأخذت أكلم إبنى خالد فى قبره وشعرت بالراحه من ذلك.
وكان أطفال المنطقة القريبة قد تجمعوا حولى وحول القبر وكانوا يعرفون خالد منذ يوم الدفن.
في البداية كنت أريد أن أعرف كيف مات وكيف كان شكله عندما قتل، كان هناك أناس قد رأوه وقتها منهم هؤلاء الذين نقلوه إلى المستشفى، وقد فارقته الحياه أثناء الإنتقال من موضع الحادث فى جاور إلى المستشفى في ميرانشاه.
أحببت أن أسألهم، لكن لم يخبرني أحد عما أريد. فقط عرفت أن السبب هو قنبلة كبيرة إنفجرت وسط مجموعة من العرب وكان خالد أصغرهم (14 ونصف عام).
وا أعلم كيف كان شكله بعد الإصابة، كنت مشتاقة أن أراه.. ولكن صرفت النظر عن ذلك وقلت (عسي أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) فمن الجائز إن منظره من تلك الإصابة كان لايحتمل وربما أن الإنفجار مزقه هو ومن معه، وتوقفت عن السؤال عن حاله عند الإصابة.
ولكن زيارته أراحتني كثيراً وكذلك كلامي له وهو في قبره.
ثم عدنا إلى البيت عند حقانى، وبقينا هناك خمسة أيام.
وأثناء عودتي إلى بشاور مرت بنا السيارة قرب المقابر فطلبت أن أزور خالد مرة أخرى فى مقابر الشهداء.
وفعلاً زرته مرة أخرى ثم أكملت الرحلة إلى بشاور ثم إلى إسلام آباد حيث تركت أولادي فى البيت مع صديقتى أم معاذ.
عند عودتى لم أجد أحدا فى البيت، وتعجبت لأنني كنت قد تركت كل الإحتياجات فى البيت قبل سفرى حتى لاتضطر أم معاذ إلى التحرك من البيت.
أخذت أبحث عنهم فوجدت الأولاد فى بيت أحد المصريين ويدعى (أبوسهل). وجدتهم جالسين على البلاط البارد ومعهم (شير على) الذى نظر إلى ونادانى (ماما.. ماما) وكأنه يشكو لى من



قبل شهر من الفجيعة.. الأم مع خالد و "شير على"
و باقى العائلة فى آخر رحلة جماعية.

شئ يعانى منه، وكان عمره عام
عدة أشهر.
ولم يكن عندى قدرة أو إستعداد لأن
أتكلم مع
أى أحد فى أى شئ، فنقلت شير
والأولاد إلى البيت فى
سيارتنا (ميكرو باص).
كنت فى أشد حالات الإرهاق. وفى
الليل شعرت أن الطفل(شير)غير
طبيعى وأن شفتاه زرقاوان، فأيقظت
وليد أبني وقلت له بأني أشعر أن
الطفل يحتضر ولابد أن نأخذه فوراً إلى المستشفى.
فقال أبنى: يا أمي أنت مرهقه ونحن فى الليل
فأصبرى حتى الصباح.
فقلت له: لايمكن الولد تعبان ويبدو كأنه يموت. وفعلاً أخذت وليد وشير فى السيارة وذهبنا إلى المستشفى، وأحمد ا الذى يسر لنا أمورنا بهذه السيارة التى لدينا.
الدكتور عندما أستلم الولد تعجب قال إن هذا الولد عاني من حرارة شديدة منذ حوالي خمسة أيام فلماذا تركتموه كل هذا الوقت ؟.
فقلت له بأنني كنت فى سفر وأن هذا الطفل يتيم أقوم برعايته. كنت أشعر بالخجل ولا أدرى ماذا أقول، وحاولت أن أشرح له أنني تركته وأولادى أمانه عند أسرة من الأصدقاء.فكتب له الدكتور بسرعه دخول إلى قسم الأطفال، وجلست إلى جانبه ووضعوا له إبره محاول في رأسه، وقمت أنا بالسهر عليه، وأعمل له (كمادات) ماء بارد على رأسه. ولكن حالة الطفل بدأت فى التدهور وبدأ اللون الأزرق فى الظهور فى قدمه اليسرى حتى غطاها كلها.
كنت فى غايه الإرهاق، وأتحرك مثل الإنسان الآلى بدون وعى، وكنت أقبض على يد الطفل حتي لا ينزع إبرة المحاول المغذى المغروسة فيه، وبيدى الأخرى أجهز كمادات المياه وأضعها على رأسه.
ظللت على هذا الحال أربعة أيام، ولم أر أحداً من الصديقات، وكانت حالة الطفل تتدهور.
فذهبت إلى قرية المهاجرين وأخبرت أهل الطفل بما يحدث وأحضرت معي أمرأتين كبيرتين فى السن لمساعدتى.
فجلسا معي في الغرفة، فلما رأينه يحتضر حاولن أن يصرخن ويولولن، فطلبت منهن الصمت وذكرت لهم أن أبني قد إستشهد ومع ذلك لا أصرخ مثلهن فشعرن بالخجل وتوقفن.
وكانت القرية قد علمت بنبأ إستشهاد إبني خالد وذلك قبل سفرى، فقد زرت القرية وأخبرتهم عن الأمر.
وقد كان خالد محبوباً ومشهوراً لديهم، وكانوا معجبين بطيبته ونشاطه وقوته الجسدية مع صغر سنه.
وقد أقاموا عزاء سريعاً عندما علموا مني بنبأ إستشهاده وبدأو فى تلاوة جماعية للقرآن الكريم، وكان لديهم مقرئ ضرير ذو صوت شجي قرأ آيات كريمة كان منها "ولاتحسبن الذين قتلوا

فى سبيل ا أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون".
فأبكاني وأبكى الجالسين، وكان للنساء تجمع وللرجال تجمع آخر، وقد شارك كل السكان المهاجرين في ذلك العزاء، وشعرت فيهم بالصدق والإخلاص.
كما شعرت حقاً بالمواساة والراحة، أكثر مما شعرت لدى العرب الذين أسمعوني قارص الكلام ولاذع الإنتقاد لمجرد رغبتى فى زيارة قبر إبني.
نصحني الطبيب المشرف على علاج الطفل (شير) أن أعود إلى بيتى كي أنال قسطاً من الراحة بعد أن قضيت خمسة أيام بلياليها إلى جانب سرير الطفل المحتضر، وقال إن النساء اللاتي حضرن يمكنهن أن يقمن بما يجب، وأظن أنه شعر أن وفاة الطفل وشيكة.
وكنت قد أصبت بالإغماء عدة مرات وأنا إلى جوار الطفل. قبل مغادرتى المستشفى ظننت أن الطفل بدأ يتعافي، فقد رفعوا من رأسه ويده الأنابيب المغروسه بالأبر.
وأفاق الطفل ونظر فى عينى وناداني (ماما) ففرحت وضممته إلى صدرى وكنت في غاية السعادة.
وجريت إلى الدكتور خارج الغرفة أبشره بذلك التطور وسألته إن كان يمكن أن أسقيه الحليب فسمح لى بذلك.
وأعطيته الحليب بالمعلقه وكان يقبل مني حتي فرغ الكوب كله.
ثم مال الولد نائماً وأصدر شخيراً من صدره فوضعته في السرير حتي يستريح، ثم غادرت المستشفي حتي أستريح أنا الأخرى فى البيت وسط أولادى الذين طلبت منهم أن يوقظونى بعد قليل حتي أذهب مره أخرى للإطمئنان على الطفل.
وكانوا يسألونني مراراً عن أحواله بتعبيرهم الساذج (ماما .. هل إتصلح شير) يقصدون"هل شفى" فأخبرتهم أنه تحسن ويحتاج إلى بعض الوقت حتى يعود إلى البيت.
غفوت قليلاً ثم إستيقظت كي أذهب سريعاً إلى المستشفى.
وهناك لم أجد الطفل ولا المرأتين، فسألت عنه، فأخبرتني الممرضات أن الطفل قد مات، وأن قريباته قد أخذن جثته وغادرن المستشفى.
أدركت أن التحسن الذى طرأ عليه قبل مغادرتي المستشفى كان صحوة الموت، وأن الأطباء كانوا يدركون ذلك لهذا رفعوا عنه أنابيب الدواء وتركوه يموت بهدوء.
ذهبت بسيارتي إلى قرية المهاجرين وأنا لا أكاد أشعر بشئ ولا أعي كثيراً مما حولى .
في القريه تجمعت النساء حولي وقلن أن شير سوف يدفن غداً صباحاً فى مقبرة القرية، وأنني يجب أن أكون موجودة حتي أضعه بيدى فى لحده لأن أهل القرية يعتبرونني في مقام والدة الطفل.
عدت إلى البيت وكان إبني وليد يرافقني، ولم يلبث أن جاءنا أحد كبار السن من القريه كي يؤكد ماعلمته عن موعد الدفن وضرورة حضورى لدفن الطفل صباحاً.
وكرروا نفس الرسالة مرتين في نفس اليوم، ثم مرة أخيرة في صباح اليوم التالي بواسطه أحد كبار السن المحترمين في القرية.
لكن وليد أبني أشفق على من الإرهاق الذى حطم قواي وطلب مني عدم الذهاب، فشرحت له إستحاله ذلك لكون الطفل بمنزلة واحد من أسرتنا، وان أهله يعتبروننا كذلك .
تحركت مع وليد في سيارتنا نحو القرية وكانت فوق هضبة متسعة قليلة الإرتفاع، فوجدنا النساء كثيرات وقد تجمعن في كتلة كبيرة وأشرن لى أن أتحول إلي هضبةأخرى قريبة جعلوا

فوقها مقابر القرية حيث تجمع الرجال لدفن الطفل، وكانوا فى إنتظاري هناك.
تحولت بالسيارة إلى الهضبة الأخرى، وكان الرجال قد إزدحموا بأعداد كبيرة فوق الهضبة عند المقابر وضاق بهم المكان حتي إزدحمت بهم الطرق الصاعدة إلى سطح الهضبة. كان منظراً مهيباً وكأنها جنازة أحد العظماء، تركت سيارتي بالأسفل، وصعدت إلى أعلى ببطء وأنا أعتمد على وليد وكنت في حالة صحية يرثى لها.
وما أن بدأت الصعود حتي أفسحوا لي طريقاً فسرت وسط صفين من الرجال المزدحمين صاعدة إلى أعلى نحو القبر الذى تجمع حوله عدد كبير منهم، كان منظراً يقشعر له البدن ذلك الجمع الجنائزى الصامت وأنا أصعد متهالكة مع إبني صوب المقبرة.
ألقيت نظرة إلي داخل اللحد فوجدت (شير)ملفوفاً في كفن أبيض وقد تركوا وجهه مكشوفاً مع جزء من صدره.
كان وجهه أبيض اللون رائقاً، وكأن ما أراه ليس موتاً بل غفوه طفل مكتمل العافية، ولا أثر للإزرقاق المؤلم الذى غطى شفتيه أثناء مرض الموت.
شعرت برجفة شديدة في بدنى وطلبت من وليد أن يسندني بقوة خشية أن أتهاوى، ثم إستدرت عائدة من حيث أتيت إلى أسفل الهضبة من بين صفين عظيمين من الرجال الصامتين.
غادرنا المكان في سيارتنا ولاحظ إبني أنني لا أسير في إتجاه البيت، فسألني أن نعود مباشرة إلي البيت حتي أنال قسطاً من الراحة، فقلت له: إن هناك عملاً لا أستطيع العودة إلى البيت أو النوم قبل أن أنجزه.
شيئ ما جذبني نحو بيت أسرة أبو سهل حيث كان الطفل شير في أواخر عمره.
وجدت النساء هناك فصرخت فيهم بأعلى صوتي: إتقوا ا يا مسلمين.. إتقوا ا ..
كنت مثل المجنونة ولا أشعر بنفسي وأنا أكرر لهم تلك العبارات:
إتقوا ا يا مسلمين الطفل مات وكان يعاني من إرتفاع الحرارة لمدة خمسه أيام.. ا سيحاسبكم على الإهمال وعلي موت الطفل اليتيم، لماذا تركتم الطفل هكذا لمدة خمسة أيام؟
فبكين ورددن قائلات: لم يكن معنا رجل.. فلم نستطيع أخذه إلي طبيب.
قلت: وهل يحتاج إنقاذ الطفل إلي إذن؟.. لقد كان لديكم جيران من العرب وكان يمكن الإستعانة بهم.. لماذا تركتم الطفل هكذا.. إتقوا ا يامسلمين، سيحاسبكم ا على موت هذا الطفل، وعلى إهمالكم فيه.
كانت النساء يبكين بحرقة يطلبن مني أن أسامحهن وقلت للجارة التي تسكن بالأسفل:
لماذا لم تطلبى من زوجك ان يأخذ الولد إلي الطبيب؟.
كانت النساء تعتذر وتبكي بشدة، ولم تكن زارتني اياً منهن منذ عودتي من ميرانشاه، ولم تحاول أي واحدة أن تسأل عني، وبالتالي لم يعرفن ماذا حدث للطفل في المستشفي، غادرت بيت أسرة أبو سهل والنساء ينتحبن وشعرت أنني أزحت كابوساً من فوق صدرى.
لقد تأثرت النساء بشدة من كلامي معهن وشعرن بالجريمة التي تسببن فيها بوفاة الطفل اليتيم، خاصة وإنني قبل مغادرتي منزلهن صحت فيهن بأنني لن أسامحهن ولن أسامح أزواجهن على ما حدث للطفل اليتيم وإنني سوف أخاصمهم أمام ا عزوجل.
وحدث بعد ذلك أن تعرض أبو معاذ إلي حادث سيارة مع مجموعة من أصدقائه كاد أن يودي بحياتهم. كما تعرض أبو عبيده إلي حمي شديدة وخطيرة، فجاءت زوجتاهما إلي وطلبتا مني أن أسامح أزواجهن فيما يتعلق بالتقصير نحو الطفل اليتيم، وكان قلبي غاضباً وتأثرى شديداً

ومازالت جروحي لم تندمل فرفضت في البدايه ثم سامحتهم بعد الإلحاح.
المهم عدت إلى البيت مع إبني وأنا في حالة يرثي لها.
فأخبرتني إبنتي أسماء ان أباها قد إتصل من بشاور وسأل عنى، فأخبرته بأننى فى جنازة (شير). ولكن بعد حوالى ساعة وصل (أبو وليد) من بشاور وإستقبله الأطفال بضجيجهم المعتاد، فقابلني مبتسماً وهو يقول (مبروك شهادة خالد.. لقد عملها وسبقني إلي الجنة).
إبتسمت لقوله وكنت متماسكة رغم ما أعانيه من آلم الفراق، والإنهاك البدني والنفسي طول الأيام الماضية، منذ سماعي بخبر إستشهاد إبني وحتي وفاه (شير على) الذى كان أحد أفراد أسرتنا لعدة أشهر.
عرفت بعد ذلك لماذا إتصلت بي أختي من لندن وكانت في قلق على حالتي، ذلك لأن مجلة الجهاد التي تصدر من بشاور كانت قد نشرت نبأ إستشهاد إبني (خالد مصطفي) وذكرت أن أبوه يعمل صحفياً ثم أضافت المجلة ، كالمعتاد، الكثير من الرتوش على الخبر وقالت بأن أم خالد قد صدمها الخبر وسقطت مغشيا عليها، وبالطبع لم يكن ذلك صحيحاً لأن الخبر لم يصلني إلا بعد وقت طويل من نشره فى المجلة، فالخبر كان قد إنتشر في كل مكان وكنت آخر من علم به.
كان كل شئ في مدينه إسلام آباد يذكرني بإبني خالد وكل أهل الحي سألوني عنه، وكانوا يصابون بالصدمة عندما أخبرهم بوفاته، وحتي عساكر المرور فى إسلام آباد، وكانوا يعرفون شكل سيارتنا المميزة،كانوا يوقفون السيارة ويسألوننا عن خالد. كان الوضع العاطفي والنفسي لايحتمل فعملنا على الإنتقال إلي بشاور بعيداً عن أجواء إسلام آباد.
كان ذلك مفيداً إلي حد ما. ولكن تحسنت معنوياتي كثيراً بوصول أمي إلينا بعد ذلك بعدة أشهر، فقد ملأت علينا البيت بهجة، وسعد بها الأطفال كثيراً رغم أنهم ضايقوها بالمشاغبات الطفولية ولكنها أحبتهم وتعلقت بهم.
ولما كانت أمي تعاني من مرض السكر مع الوزن الزائد وتآكل المفاصل وإرتفاع في ضغط الدم فكانت لاتقوي علي السير، فأحضرنا لها كرسياً متحركاً فرحت به كثيراً كما فرح به الأطفال الذين تنافسوا فى دفعها عليه فى أنحاء البيت والحديقة، فكونوا معها فريقاً واحداً أشاع بهجة الطفولة والمرح في حياتنا التي غمرها الحزن لعدة أشهر.
وحرصت أمي على ألا تتكلم معي عن خالد، وكان الأطفال قد علموا بشهادة أخيهم، ومع ذلك لم يستوعبوا أنهم لن يروه مره أخرى، فكانوا يسألون عن موعد عودته هو (وشير)، فلما قلت لهم إن أخوهم في الجنة كانوا يجيبون(يكفي ذلك قولي له أن يعود) .
لكن وجود أمي وروحها المرحة الطيبة غطي على أية مشاعر بالوحشة والحزن خاصة لدى الأطفال.
إستمر الحال على هذا المنوال حوالي ستة أشهر.ولكن إنهار الوضع فجأه في أحد الأيام ، وكان يوم جمعه ـ بعد عودتنا من رحلة خلوية سعيدة، فبعد وصولنا إلى البيت بقليل، جاء الأطفال ينادونني لرؤية جدتهم التي لا تتكلم.
أسرعت لرؤيتها ..كانت نظرات عينيها يقظة لكنها لا تتعرف علي من حولها ولا تتكلم.
فحملناها إلي المستشفي، وبقيت إلي جانبها للعناية بها ليلاً ونهاراً، وبقى (أبو وليد) يعتني

بالأطفال في البيت ويحضر لي الطعام والأدويه إلي المستشفي.
وإستمر ذلك الحال تسعه أيام ثم توفيت أمي في اليوم العاشر.
ومرة أخرى إفتقدت زيارة أخواتنا العربيات لي في ذلك الوقت العسير الذى قضيته في المستشفي تماماً كما حدث عند موت الطفل اليتيم.
كان ذلك صعباً على نفسي، ولكن قبل وفاة أمي بيوم واحد زارتني (أم احمد) زوجه المهندس ونصحتني بالإستعداد لدفن أمي لأن أمر وفاتها وارد.
في هذا اليوم طلب زوجي من إبني الأكبر أن يبقي معي في المستشفي عندما لاحظ حالة الإرهاق الشديد التي أعاني منها.
في اليوم العاشر والأخير إستيقظت أمي وفتحت عينيها وتعرفت على من حولها لأول مره منذ أن داهمتها تلك الغيبوبة، ومازحت إبني وليد بكلمات قليله، وردت عليه السلام، فسألتها إذا كانت تعرفني فقالت: نعم أنت وفاء إبنتي. ثم غفت مرة أخرى وأغمضت عينيها، لقد كانت صحوة الموت كما رأيتها للمرة الثانية بعد أن عشتها مع الطفل اليتيم (شير على).
لقد فتحت أمي عينيها وتكلمت لأول مرة منذ عشره أيام ولآخر مرة في حياتها.
كنا مع أمي فى غرفة منعزلة، وفي الليلة الأخيرة طلبت من إبنى وليد أن يبقى متيقظاً إلي جانب جدته حتي أغفو قليلاً.
ولكن قرب الفجر خيل إلّي إن أمي تناديني فإستيقظت ملهوفة وأنا أسألها ماذا تريد.. ولكنني وجدتها مازالت مستغرقة فى إغمائها وإبنى قد تمدد نائماً على الأرض فوق أوراق الجرائد وقد أعياه التعب.
كنت أخشي أن تموت أمي قبل أن ألقنها الشهادة أو أن أتلوها عليها.
ذهبت إلي أمي فوجدت جسمها بارد مثل الثلج ويغطيها عرق بارد ولكن قلبها مازال ينبض أشعلت نور الغرفة، وكان الفجر قد إقترب، فذهبت إلي الممرضة المناوبة حتي تأتي لإلقاء نظرة على أمي.. ثم أيقظت إبني وليد، ورفعت الأنابيب المتصلة بجسم أمي ومسحت عنها العرق وأخذت ألقنها الشهادتين وأطلب منها ترديدها.. ولكنها كانت غائبه عن الوعي.. أذن الفجر.. وأمي مازالت بها الروح..وأنا ألقنها الشهادتين وأدعو لها،حتي فاضت روحها فأغلقت لها عينها وغطيتها بملاءه السرير، وقمت وتوضأت وصليت الفجر، وجلست أتلو"سورة يس" إلي جانب جسدها الممدد.
مع شروق الشمس إتصلت تلفونياً مع بيت الدكتور عبد المعز وطلبت منهم إخبار (أبو وليد) أن أمي قد توفيت.
ثم جلست أنتظر وصوله وأنا جالسه فوق كرسي من الخشب أمام جثه أمي.
بسهولة ويسر نقلنا جثة أمي من المستشفي إلي بيت (أبو احمد) المهندس، وطلبت مني النساء المتجمعات هناك أن أقوم بتغسيلها ولكنني لم أستطع، فقامت بعضهن بالمهمة وألقيت نظرة أخيرة على أمي قبل أن يحملوها إلي الدفن. ولاحظت إن وزنها قد صارخفيفاً جداً حتي إنني كنت أحركها بسهولة.
تم دفن أمي في أحد مقابر بشاور ـ وبعد فترة وجيزة دخل علينا عيد الأضحي، أي الذكري السنويه الأولي لإستشهاد إبني خالد، وقد زادت الجروح جرحاً آخر.
كانت ثلاث صدمات قاسية فى أقل من عام.
وكان أقساها تلك المعاملة الفظة الخالية من المشاعر والتي تلقيتها من معظم الأخوات العربيات

لقد ظلت أعصابي مرهقة للغاية، ولكن معنوياتي عادت إلي طبيعتها مع إشتراك عائلتنا عن قرب في معارك خوست، من معركة المطار التي شارك فيها زوجي وحتي معركة فتح خوست التي كانت أعظم إنتصار شاهدناه. وقد مرت الكثير من الأحداث الخطيرة علينا في تلك الفترة، وحتي عندما إنتهت الحرب بفتح كابول بدأت مشاكلنا تزداد في باكستان وعانينا الكثير من المصاعب وواجهنا أخطاراً أشد، إنتهت بفراري مع الأولاد من باكستان، تاركين زوجي وحيداً فى أفغانستان حتي تجمعنا بها مره أخرى عام 1996م.

إنتهى الكتاب الثالث

::

الكتاب الرابع:

معركة جلال آباد ـ الحماقة الكبرى(أو حرب المعيز)